

ج) مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع ، ١٤٤٧ هـ

جان ، منى محمد  
ورثة الخراء - حلفاء (الجزء الثالث) / منى محمد جان - ط ١ -  
الرياض ، ١٤٤٧ هـ  
٤١٦ ص ١ .. سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/٦٩٦٨  
رسمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٤٣-٨٠-١

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services\_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

aladab@subele.com



للتواصل :

0541212202

0541212210

المملكة العربية السعودية-الرياض

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447441



تنفيذ الطباعة

مطبعة الكتاب العربي - الرياض

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تعريبه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

# ورثة الغبراء

## حلفاء

(ج ٢)

منى محمد جان



١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

لكل النظرات المتشككة ...

## مقدمة

في حين أنها لحظاتنا الأخيرة....

سأطلق سراح أسراري...

كلمات خفت سماعها....

أغلقت أذني عنها بإحكام...

تلك الحروف رحلت...

لن تعود مجدداً...

## مصطلحات

البين:

١- البين المهجن:

من ولدوا نتيجة اقتران ذكر البين وأنثى من البشر.

٢- جيل الأولين:

الجيل الأول والوحيد الذي أزهر من أورا، يتوحدون في تلون شعرهم، وشممهم، أعينهم إما بالذهب أو الفضة.

٣- جيل الصفوة:

الجيل الذي أزهر بعد جيل الأولين ومن أفئدتهم، يتوحدون بلون الشعر، والوشم إما بالذهب أو الفضة، أما العينان فخلافاً لهما.

٤- الجيل الباسل:

من أزهروا من أفئدة الأولين أو الصفوة، أوجدوا في زمن الحرب ومن أجل الحرب، تتلون أعينهم بأي لون غير الذهب أو الفضة، يختلف لون الشعر والوشم أحدهما بالفضة والآخر بالذهب.

٥- الجليل الضال:

من أزهروا بعد احتراق أور، لا يملكون مثل صفات البين الآخرين  
كما أنهم لا يملكون المعرفة.

٦- البين المخلط:

من أزهروا نتيجة دمج قلبين من أنثى بين وذكر بشري، شيء واحد  
من أجسادهم هو الملون بالذهب أو الفضة.

٨- آفاريون/ آفار

الصفوة من البين من تختارهم أور ليكونوا رسلًا لها.

٩- بين مخلط وحشي:

البين المخلط الذين دمجوا قلوبهم مع قلوب الحيوانات.

١٠- المخلدون:

البشر ممن هربوا بقلوب البين لتلتحم قلوب بين معهم كلياً ويصبحوا  
خالدين.

الجان:

١ - جيل الساقطين:

من هبط من السماء للأرض من الجان

٢ - الجيل الأعظم:

الجيل الذي أنهى الحرب مع الإن

٣ - الجيل الفاسق:

الجان الذين ولدوا بعد الحرب ممن يعملون بالسحر

٤ - الجان المهجن:

من يتنج من تزاوج الجن مع الإن.

## الفصل الأول

### البعثة

قلبي المنبوذ....

يلاحق صدى لحن بعيد...

في أمس باغتني بالواقع...

باحثاً عن حيث أكون حقاً أنا...

همت في ليال أهدأ من الصمت...

مقاتل في حروبي المجهولة....

ما زلت أومن بالسعادة....

التي تهمس بها روحي...

لذلك أركض بعيداً...

حيث أكون أنا....

## سكارم

«لن تكون يوماً قوياً، لن تكون يوماً جديراً، لم تكن إنتاج حب، لن تحظى بمن يحبك، لن تكون يوماً أفضل من غيرك»

على هذه الكلمات أزهر سكارم، هو البين المخلط وجد من دمج قلبين هجينين، من أنثي بن لم يكتمل حملها بالهجناء، حيث إن جسديهما التهمت الأجنة داخلهما، لتستأصلا فؤاد المهجين قبل أن يتلاشى داخل أجسادهما، ومن هنالك تقوم أورا بدمج القلبين معاً، زارعة إياهما في الأرض مع غُصن منها، ليندمج الفؤادان بقلب واحد لبن مزهر من الأرض، أطلق عليهم المخلطون. أبدعت أورا في تشكيلهم لتنتج جيشاً لا يُقهر، كثير منهم امتلك خصائص علاجية كما سامة في أجسادهم، فلا يموتون من السموم التي تصيبهم، هؤلاء المخلطون يزهرون من الأرض على هيئة زهرة واحدة فقط تُزهرُ بسرعة، يقتضي الأمر متي عام منذ زراعة الأفئدة وحتى يزهروا على هيئاتهم البالغة، سرعة لم يشهدها أحد من قبل، أما بالنسبة لأنصاف أفئدتهم البشرية فهي وإن وجدت ليست قادرة على التفاعل أو الشعور.

بلا هدف، رغبة أو مشاعر أزهر سكارم، ليمسي جندياً في جيش أورا الذي لا يعرف الرحمة، دربه أجيال مختلفة من البين، الأولين، الصفوة،

الباسل، والضال، جميعهم رددوا الأمر ذاته: «من أجل أورا، خالقنا، مع حياتنا، من أجلها نحيا ونموت».

لم يتم سكارم حقاً، لم يمتلك الوجدان ليفعل، حتى العفويات التي يتلقاها نظير إخفاقاته في التدريب لم توله، كل الشائيم والإهانات لم تعز شيئاً إنها مجرد كلمات تعبر أذنه من دون أن تملك مستقراً لها في عقله أو فؤاده الجلف.

ثم أزهرت غارينا، التي كانت مختلفة عن كل البين بأرهلها التي جعلتها تتلاشى عن الأعين فور ملامسة الماء، لم يشعر بشيء محوها، لا شيء على الإطلاق، لكنه وجد عينيه تتبعانها، وجد قدميه تقوده لها، مع هذا لم يكن هنالك شيء داخل جوفه. أثناء وجوده على الحرية أقبل عليهم جان هجين بمعركة، لقد شهد سكارم قتاله. ظل يصرح مطالباً إعادة والدته إليه، كان ذلك لإلهاب، حينها تصدى له واردون<sup>(١)</sup> وأقوسيانا<sup>(٢)</sup>، كما جنود آخرين، بينما سكارم لم يترك ساكناً، لربها كلمة «أمي» لامست شيئاً بشرياً دفيناً داخله، ليجد ذاته يتساءل لأول مرة: «ما هي الأم؟»

انضم لإلهاب إليهم في الجيش لسبب لا يعلمه سكارم، ولم يكتف

١ - أحد حود أورا المحنصين والذي ساهم في تعذيب لريو عندما تم لسه.

٢ - قاتل والدته لريو وعشيرة سيون.

به، وبالرغم من أن طرقهما تقاطعت عدة مرات إلا أن الهجين لم يلق بالآ له، بل كل المخلوقات لم تلق بالآ للمخلطين كما لو أنهم محجوبون عن الأعين، لذلك حُصص لهم مخيم خاص للعيش كما التدريب على الحرية المترامية الأطراف، ثم حان الوقت الذي تم فيه توكيل سكارم بأول مهمة له، أمر بالدخال مع جنود من المخلطين كما الهجاء إلى أرض ليست بعيدة، هالك حيث وجدت مجموعة من البين الأنقياء، قيل إنهم مجموعة تهدف لتدمير أوراء، هم خونة للأرض ولبن أوجدتهم، ولا بد من إيقاف حراكهم، أمروا بأسر من استطاعوا منهم، ليحضروا المحاكمة أوراء العادلة. انطلق الجنود بقودهم أقوسيانا، جدي أوراء المخلص، عبروا البحر ومه إلى ياسة ذات جبال كثيرة، لم يعلموا أين موضع أعدائهم في هذه الأرض المسبحة، عدا أن هذا لا يهم، كل ما عليهم هو الركض عبر الأرض وفي نهاية المطاف سيجدون صالتهم، عبروا الجبال، الأنهار، البحيرات، كما الصحراء، وبعد أسرع كامل من البحث، وفي الطرف المقابل من حيث رسوا، وصلوا لأرض ذات مرتفعات صخرية مُلئت بالأنهار، وفي أحد الوديان وحدوا صالتهم، ليبدأ القتل والقتال، خصم سكارم كانت نتأش، نظرت إليه بطريقة لم يعهدها، كانت كمن تكتم في مواضع صرخة يجب أن لا تُسمع، وعياها حلتا مشاعر هرية عنه، هذه الأنش بدأت هجومها بإرسال جبال ورقية صوبه، والتي ما أن لمست حتى احترق جسمه، عدا أن هذا لم يؤلمه، لكن بدا أن هذا ألم البين عوضاً عنه.

ليرد سكارم الهجوم بإذابة الجبال من حوله باستعمال سمه الذي جعله يتحرك بسرعة صوب البين منسللاً عبر جبالها، إلا أنها لم تتفاد الهجوم، مما جعل جسدها يحترق، لم تصدر صوتاً أو تتأوه لم تجفل حتى أو تترنح، ثم حركت الأرض من تحتها لترتفع متجهة نحو سكارم كما لو كانت موج بحر، لتجرفه معها دون توقف، اعتقد المهجين أنه سيُدفن في هذا الهجوم مختنقاً، عدا أن البين أحكمت الأتربة من حوله ساحة لرأسه بالبقاء خارجاً حتى يتنفس، لم يرغب سكارم بالفشل في هذه المهمة فقط لأنه لا يرغب بمواجهة العواقب، حتى وهو لا يشعر بألم العقاب، لكن لسبب ما لم يرغب به فحسب، لذلك استخدم هجوماً قاموا بتعليمه إياه فبدأ بإخراج الجذور من جسده والتي تحولت لفروع، جذوع، أوراق، ثم لأزهار، كان سيُهْلِك ذاته بهذا الهجوم الذي أطلقوا عليه الشامل، وقبل أن يصل لآخر مرحلة إذا بالبين تصرخ مذعورة: «توقف لا تفعل، لا تُهلك ذاتك».

نظر إليها بعينين خاليتين من الحياة والمشاعر، ليرى الحياة كلها تدمع من عينيها، ثم سقطا من الجرف وإلى النهر لينجرفا بعيداً، حيث حفرة داخل كهف مائي صغير، نهض سكارم بسرعة يبحث عن خصمه، راغباً في إنهاء الأمر، وعندما وجدها تتجلى من الماء أقبل إليها مسرعاً مخرجاً من جسده جذوعاً خشبية مديبة لهاجتها، وقبل أن يصل إليها بخطوة واحدة، قالت له: «توقف أنا والدتك، انظر لدي أزهار الهدرانج مثلك».

توقف سكارم متجمداً حيث خطأ، ناظرًا إليها بتعجب لم يشعر به، هامساً الكلمة التي سمع إلهاب ينطقها دون أن يفهم معناها أو حجمها: «أمي!»

وفي المسافة المتبقية بينهما أحاطت سكارم بذراعيها وصوت بكائها يصدي على جدران الكهف، ودموعها الدافئة لامست أطراف كتفه، ليعيد الجذوع التي نمت من جسده إليه مجدداً، لم يبعدها، لم يحتضنها، لعله لم يشعر، لكن ما دُفِنَ من وجدانه البشري، اشتاق لها، وحن إليها.

«لا تعلم كم اشتقت إليك، كم رغبت أن أكون معك، أنا والبنّ الأخرى، إلا أنها قُتِلَتْ، أورا سرقت فؤادها، وفي لحظاتها الأخيرة أقسمت لها أن أعود من أجلك، أن أنقذك من أورا يوماً ما، أعذر لكل ما مررت به، أعذر لأملك، لهجرانك، لكل جروحك ودموعك، لكن شاءت الأقدار أن نلتقي مجدداً، فتعال معي، صاحبي بعيداً عن أورا، حيث يمكنك أن تكون حرّاً، سعيداً، سأحميك من كل شيء، سأظهر فؤادك من أورا، قلب مخلوق آخر هو كل ما يحتاجه الأمر، انظر إلي أعذر كثيراً، أخبرني هل منحوك اسماً؟»

نظر إليها مُتَعَجِّباً من حديثها، لقد كانت تعتذر عن الكثير من الأمور التي لم يفهمها، هو لم يشعر بالألم يوماً، لربما في البداية لكن بعد قرون لا شيء يؤلم، لم يشعر يوماً بالنبذ أو الهجران، هو مخلوق وجد لخدمة هدف

واحد لا يعرف سواه، والجروح لم تعد تنزف حقاً، أما الدموع فلم تجد لها مكاناً في عينيه يوماً، لم قد يبكي بقلب متحجر؟ إلا أنه وجد نفسه يجيب دموعها ولهفتها قائلاً: «سكارم»

لتجيبه بابتسامة ملأت وجهها، ثم انتفض جسدها، ونزفت الابتسامة دماً، فتلاشت سعادة عينيه لتحال لذعر، حزن وندم، مدت يدها ممسكة إياه من ذراعيه بقوة قائلة له: «اهرب منها، من مسارها، كن حراً»

ثم أنثُلت بعيداً عنه محلقة في الهواء، ليتساقط دمها مطراً على جسده، رفع عينيه متابعاً حركتها، ليجد حبلاً غليظة اخترقت جسدها ممزقة فؤادها، ومن خلفها برز أقوسيانا. علم سكارم أنه يفترض به البكاء الآن، الصراخ منادياً باسم والدته كما فعل إيلهاب، هذا ما يجب فعله عند خسارة الأم، حتى ذلك الجزء البشري منه لم يتزعزع هو ببساطة انطفأ، تبع سكارم أقوسيانا، متخطياً جثة والدته دون النظر للخلف، عائداً نحو الجزيرة، هنالك كان ينتظره جحيم الفشل، لكن هذا لا يهم فالأذى ليس بجديد عليه. أو هذا ما اعتقد، كل جلدة تحملها جسده آلمته في عظامه، كل حرق بالنار كواه به الجان الهجين أحرق فؤاده، كل سم تذوقه جعل دمائه تغلي، لماذا؟ هو لم يشعر من قبل، هذا الجسد لم يهتم من قبل، فلماذا الآن؟ لماذا يتألم حتى بدأ يتأوه؟ لماذا تذرف عيناه الدموع في وحدة الليل؟ هذه الدموع التي لم يمتلكها من قبل، هذه الوحدة التي سيطرت على روحه،

وصورة والدته التي لم تفارق مخيلته، هو لم ينظر إليها عند رحيله، إلا أن صورتها ملقاة على الأرض ودماؤها تسيل من حولها حفرت في باطن عقله، وتلك الدموع التي وجدت مكانها في عينيها الميتتين، لماذا كانت تبكي حتى وهي ميتة؟ هل هذا ما يجعل إلهاب يتعلق بوالدته أيضاً؟ هذا الحب الذي لا يتلاشى حتى مع الموت، هل هذا ما يُقَاتِلُ من أجله؟ هو أيضاً يرغب بهذا، سكارم أيضاً يرغب برابطة كهذه مع أي مخلوق، ليدرك أن البنّ غارينا التي تبعثها عيناه نبضت داخل فؤاده، وكما لو أن فؤادها هي الأخرى نبض من أجله، أقبلت عليه في ظلمة الليل، تحت ستار المطر، تحرره من عذابه ومعذبيه، هي مَنْ لَمْ تَمُتْكَ مشاعر بعد قدّمت لنجدته، متجاهلة ما قد يصيبهما إن قُبِضَ عليهما. لم يكن سكارم وحده من يخضع للعقاب، عدا أنه لم يتمكن من نبذهم لسبب ما: «لنحررهم أيضاً»

غارينا: «لا يمكننا، سيلحظون ذهابنا جميعاً»

«ليس إن تحررنا بسرعة»

اتجه سكارم نحو من هم خالون من الحياة كما المشاعر قائلًا: «بعيداً عن هنا يوجد شيء آخر، حياة أخرى، لنرحل، لقد اكتفيت من هنا، أريد أن أشعر بها هي الحرية»

«سيقتلوننا»

«ستعلم أين نحن»

«هل يوجد حياة في الخارج حقاً؟»

سكارم: «قيل لي أن نبتعد عن مسارها، لذلك علينا أن نبتعد عنها، أخبرني أن الحياة بعيداً عنها، لنذهب، فالموت أفضل من هذا اللاشيء». ولأنهم منصاعون بطبيعتهم وافق المخلطون على الهروب تحت أجنحة الليل، صنعت غارينا دثاراً من أزهار الديفيلايا مغطية به الهارين، وتحت المطر تلاشوا، بهدوء اتجهوا صوب البحر حيث صنعت غارينا سفينة من أزهارها المتلاشية، مبحرين بعيداً عن كل شيء وإلى أقرب أرض لهم وهناك اتبع سكارم ما سمع بعض البين يتحدثون به، قلب مخلوق آخر كل ما يحتاجه الأمر للحصول على الحرية، وهذا ما قاموا به، إضافة قلوب حيوانات الأدغال المطرية مع أفندتهم، لتلتحم معاً فتغير هياتهم لما يشبه الدواب، لينبض جوفهم بوجود ثلاثة أفئدة مختلفة، وهذا بدّل العالم في أعينهم، هو كون يبصرونه لأول مرة، لمشاعر تغلغت فيهم، فيقود الظلم والاضطهاد الذي عانوه تحت أورا غيظهم، مقسمين على الموت عوضاً عن العودة، ومع هذه المشاعر الجديدة علم سكارم وغارينا ماذا يكونان، هما مرتبطان معاً، لا يهيم أي شطر هو المرتبط بالآخر لكن يكفي أنهما معاً، وعندما علم الحب، ذرف دموعه على والدته التي بكته شوقاً.

بعد استقرارهم في أدغالهم كما التحام أجسادهم بأفئدتهم الجديدة، أقبل إليهم شاوران مع عائلته، هؤلاء الغرباء الذين تفوقوا عليهم في كل شيء، ليكون هذا قوتهم، أو معرفتهم بكل ما لم يعلمه المخلطون، من حقيقة أورا، العالم، الروابط التي تجمع بين الأقدار، كل الحقائق التي لم يعلموها، لقد فتحت عليهم هذه المعرفة عالماً جديداً كلياً، ومع قائدهم الجديد وتسخيرهم قدراتهم تمكنوا من صنع وطن لهم مدينة أثران، شيدوا أساس أرضها والبناء فيها، من الهرم الكبير، إلى المباني السكنية، ساحات القتال، المركز الطبي، كل شيء كان من صنعهم، كم أحبوا هذا، العمل لأنفسهم وليس لأحد آخر.

أحب المخلطون قائدهم الجديد، شاوران كان صارماً للغاية، دفعهم لأقصى قدراتهم جاعلاً إياهم يتفوقون على أنفسهم كل يوم، بالرغم من صرامته إلا أنه لم يحتقرهم يوماً، لم يؤذهم متعمداً، لم يضرب الخطأ فيهم، استغل نقاط قوتهم كما ضعفهم، وعندما حل الليل كان يتم بهم بحق، يتحاور معهم بحكي لهم قصصاً عن الماضي، يجيب أسئلتهم، وعندما عزف لهم العود أول مرة، أدركوا وجود أصوات عذبة ساحرة في هذا العالم، أنغام العود وأوتاره فتحت أرواحهم على شعور جديد، إلا أن أكثر ما أحبه سكارم هي علاقة شاوران مع عائلته، رأى مدى حبه لعشيرته وهي له، ورأى ابنتها التي مثلت الحياة المسلوقة من المخلطين، كانت

مرحة بطريقة لم يكونوا يعرفونها، فيتذوقون متعة الحياة، المزاح بعضهم مع بعض، الرقص تحت المطر، النظر للنجوم، الركض مع حيوانات الغاب، تسلق الأشجار، كل ما حُرِّم عليهم، وكم كانت الحياة تستحق هذه اللحظات.

عدا أن سعادة سكارم وغارينا كان ينقصها طفل لهما، رغب الاثنان بطفل من صلبهما، إلا أن الأمر لم يحدث يوماً، وعندما علما أنه من المستحيل حصول هذا تحطم فؤادهما، لماذا لا يحق لهما الحصول على أمنيتهما الوحيدة؟ كيف تمكن شاوران وجلنار من الحصول على طفلة؟ بالرغم من الكذبة التي قيلت لهما عن حقيقة كون لبيين ولدت قبل أن تصبح جلنار خالدة إلا أن هذا لم يُزل الرغبة أو يقلل منها، كان حزن غارينا عارماً، كونها لا تستطيع منح من تحب طفلاً، كونها لن تكون أمّاً يوماً، رأت بعينها معنى الأسرة، رأتها في لبيين مع والديها، أرادت هي الأخرى ذلك، لتمنح طفلها ما لم تُمنح هي، الحب الذي سلب منها.

من حين لآخر كانت سينا ترنحل لبعض الوقت لتعود ومعها مخلوقات أخرى ترغب التحالف معهم، لم يعلم كيف لها أن تجد المخلوقات على هذه الأرض الفسيحة، إلا أن ثقته بشاوران كانت أكبر من فضوله فلم يبحث عن الأمر يوماً. في عصر مُمطر، اتجه سكارم مع غارينا نحو الغابة وحيث مصب سيلان النهر الأزرق، هناك بقعة وجدها قبل بضعة أيام

بينما كان يدرب نفسه على قوة الحيوان لديه، لقد كانت حفرة عميقة في الأرض احتوت على مياه زرقاء صافية<sup>(١)</sup>، أراد أن يشارك هذه المنطقة مع عشيرته، لدى اقترابها سمعا أصواتاً تنهامس، فانخفض الاثنان حتى لا يكشفها عن نفسيهما، بهدوء تحركا، ليجدا مشهداً أدهشهما كما أصابهما بالذعر، هو مظهر ليين بشعر تغير للون الفضي والذهبي وأسفل منها حقل من أزهار طفت على الماء، بل حتى هي كانت تطفو فوق الماء باستخدام طوف خشبي، ومن جسدها انبثقت جذور تشابكت مع سينا لتدلهما على وجهتها. كل ما فكر به الاثنان هو أنها وقعا فريسة لـ أورا مجدداً، فليين بدت مثلها لحد مخيف، ومن هول ما رأيا لم تتمكن غارينا من موازنة جسدها على فوهة الحفرة، ليختل توازنها فتهوي على طوف ليين، تحرك شاوران مسرعاً ليرى من تلصص عليهما عالماً سر ابنته، وقبل أن يصل إلى غارينا كان سكارم يقف بينهما، إلا أن جلنار تجاوزته متجهة نحو ليين وسينا التي انقطعت رابطتها بها قائلة بذعر: «لقد فقدتها، هي تنجرف بعيداً!»

حلت جلنار ابتها بين ذراعيها منادية اسمها بصوت عال فيما هزت جسدها بقوة، إلا أن ليين لم تستجب، في هذه الأثناء قيد شاوران كلاً من



سكارم وغارينا بحبال منه، لم يتمكننا من التخلص منها، صارخاً عليها:  
«ما الذي تفعلانه هنا؟ ما الذي رأيتماه؟»

سكارم: «لقد قمت باستغلالنا، لقد خدعتنا أنت جندي أورا، نحر  
مجرد أدوات لك، سأقتلك، سأقتلكم جميعاً».

وقبل أن يجيب شاوران إذا بجلنار تستدعيه فرعة: «شاوران، لين  
تنجرف بعيداً، أنقذها».

بدا الذعر في عيني شاوران، شيء لم يره سكارم قبلاً، حمل ابته بين  
ذراعيه يناديها، ضخ شيئاً من الجلنار في جسدها عله يساعدها للعودة عنا  
أنها انجرفت بعيداً للغاية.

سينا: «كل ثانية تحتسب، علينا إعدادتها، سأحاول إعادة الارتباط بها».  
مدت جذوراً من جسدها نحو ليين إلا أنها لم تتشابك معها كما لو  
أن جسدها يأبى الارتباط مع أحد، نظر شاوران نحو سكارم قائلاً:  
«استخدم سمك عليها حالاً» ثم جذبه إليه بسرعة.

انتفضت جلنار في مكانها: «هل فقدت عقلك؟ ستؤدي ليين»

شاوران: «لعل ألم جسدها يعيد عقلها».

سكارم: «ما كنت لأساعدك، حتى لو عنى هذا موتي».

شاوران: «ماذا عن موتها هي إذاً؟».

حينها اعتصر حباله التي طوقت غاريننا، للتأوه، فارتعب سكارم من رؤية عشيرته تتألم، وقبل أن يتصاعد الموقف، نهضت جلنار واضعة يدها على شاوران قائلة: «توقف حالاً! لا تؤذيها، سكارم نحن لسنا حلفاء أورا، ليبين مميزة، لديها قدرة على رؤية الأرض وتحديد مكان المخلوقات لجعلهم حلفاء لنا، لذلك تتمكن سينا من إيجادهم وإحضارهم، نحن حقاً لا نستغلهم، أرجوك أنقذ ابنتي».

سكارم: «كيف لي أن أثق بكما؟»

أطلق حينها شاوران سراح غاريننا باسطقاً ذراعه أمامها قائلاً: «استعلمي سُمك علي، هذا دليل كافٍ على حسن نوايانا، بالرغم من خصائص أزهاره إلا أن الأفيون لديك لا يمكن دحضه بالكامل، هذا يكفي، اليس كذلك؟»

أوما سكارم لغاريننا لترسل حبالاً شوكية طوقت بها ذراع شاوران لتدفع بالأفيون إليه، ليتأوه قائدهم مترنخاً هامساً من بين أنفاسه: «أنقذها الآن».

حينها فعل سكارم الأمر ذاته مع ليبين، ضخ إليها قليلاً من السم، لحظات مضت ضخ فيها المزيد من السم في جسدها، ليتغير لون ليبين، ثم فجأة فتحت عينيها فزعة، لتصرخ ألماً من سم سكارم الذي انتزع أشواكه فور أن فتحت عينيها، بينما انجذبت كل من جلنار وسينا نحوها لتشتبا

جسدها المتخبط وصبًا، ظلت جلنار تناجيها قائلة: «صغيرتي استخدمني الجلنار، بسرعة أرجوك استخدمني أزهارك حلاً».

بالرغم من وصفها تمكنت ليين من استخدام الجلنار لتخفف الألم، ثم فقدت وعيها، وكذلك فعل شاوران الذي أطلقت غارينا سراحه بعد أن استنفدت سمها فيه، حتى كاد أن يذبل.

لم يعلم سكارم وغارينا إن تسببا بأذى لمخلوقات صادقين معهم أم أنقذا أعداء لهم، وذلك حتى قصت لهما جلنار الحقيقة، عن معجزة ولادة ليين التي لم يكن عليها الوجود من الأساس، عن قدراتها التي تجعلها ترى الأرض، وفي آخر الأمر قالت لهما: «ما كنا لنخدعكم، أقسم بحياتي، وبحياة عائلتي، نحن نقاتل في صف واحد، شاوران وسينا كانا في مكانكما يوماً ما، لقد آذنتها أورا كما فعلت بكم، لذلك ما كانا ليستغلا المخلطين، هو يعي جيداً التعطش للحرية، الرجاء في الحياة، ومن أجل هذه الحياة التي حظي بها معي ومع ابنتنا هو يقاتل، حتى لا يخرس كل شيء، وكذلك أفعل أنا وسينا، إن كنتما تعتقدان أننا نكذب أو نخدعكما، فسنرحل من هنا ولن نظهر أنفسنا مجدداً، لكن لا تخبرا أحداً عن ليين إن علم أحد عن قوتها إن علمت أورا عما لديها فسأفقد ابنتي».

غارينا: «لماذا لم تخبرانا؟ ألا تثقان بنا؟»

سينا: «ليس وكأننا لا نثق بكما، لكن نحن لا نثق بالشر الذي يسكن

الأفئدة، فهو ساكن هادئ إلا أنه يجد الوقت المناسب للانقضاض مدمراً من حوله، لقد شهدت هذا عدة مرات، ولا يمكن لقاء الأفئدة أن يكفي للثقة، انظروا إلى ما فعله قائدكما من أجل ابنته، أي فرد منا مستعد لفعل الأمر ذاته لأجل هذه العائلة، هل أنتما مستعدان لفعل هذا أيضاً؟ التضحية بما لديكما من أجل هدف أسمى من مجرد الحرية؟

لم يجد سكارم وغارينا الجواب لهذا، عدا أنها أحبا الأشخاص هنا، ولربما ثقتها بهم قد اهتزت للمحظات معدودة، إلا أن هذا لا يغير واقع ثقتها الكبيرة بهم، لكن أن يقدموا أرواحهما من أجلهم، هل هذا أمر ممكن؟ وفي المقابل هل سيقدم أي منهم حياته لها؟

عادت سينا مع سكارم وغارينا لـ أثران، بينما تخلفت جلنار ترعى شاوران وليين، فإعادتهما بأجساد تصارع الموت، ستثير الكثير من التساؤلات، أولها ولاء سكارم وغارينا، لذلك التزموا برواية واحدة: «هم رحلوا البضعة أيام من أجل استكشاف الأرجاء من حولنا، ومعرفة الأرض بشكل أفضل». قصة صدقها الجميع.

آنذاك كان المخلطان كثيري الشرود، يفكران في الأمر ذاته: «هل سيقدمون حياتهم من أجلنا؟» زارا حيث يرقد شاوران وليين عدة مرات، بالرغم من عدم موتها إلا أنها لم يستيقظا بعد، مما جعلهما يشعران بالذنب لما اقترفاه، وخاصة أن جلنار لم تلمهما على ما حدث، بل استقبلتهما

كما تفعل دائماً مبتسمة، إلا أن الإعياء خط معالمة عليها، لا بد أنها تقضي الكثير من الوقت تعتني بهما، وهذا فضلاً عن حراستها من أي عدو قد يأتي إليهما.

غارينا: «لماذا لا تلقين اللوم علينا؟»

جلنار: «أنتم لم تتعمدا إيذاءهما، كما أني أعلم مدى حب ليين لكما، بسبب حقيقتها لم تحظ هذه الفتاة يوماً بالأصدقاء، عاشت حياتها في معزل عن كل شيء، لقد بغضت هذا، إلا أن خوفي عليها كان أكبر، لذلك خضعت لتلك العزلة، لكنني أراها الآن تبسم كما لم تفعل من قبل، هي سعيدة وهذا يكفي. كما أن شاوران فخور بتدريبه لكم، وخاصة أنت سكارم، لطالما أخبرني أنه يرى ذاته فيك، لذلك يدفعك لحدودك أكثر من الجميع، أخبرني أنك من سيقود المخلوقات في مكانه ذات يوم، أن هذه المدينة ستكون لك، هو يثق بك كما يثق بنفسه».

شعر سكارم بفواذه يمتلئ بشعور بدا مألوفاً، مثل نبض القلب الذي شعر به لدى حضن والدته له، كما لو أنه بين عائلته، ليتذكر حينها حديث قائده للمخلوقات حين وحد صفوفهم: «أنا سأقدم حياتي لأي مخلوق هنا، وسأنتظر المثل منكم، لنحي معاً ولنمّ معاً».

أجل شاوران سيقدم حياته لأي واحد منهم، وهو سيفعل المثل الآن، إذا كان نقاء الوجدان لا يكفي، فلعل تقديم الحياة كافٍ كإثبات إخلاصه لهم.

بعد ثلاثة أيام من الحادثة استيقظت ليبي، لقد تمكنت من التغلب على سم الهدرانج باستعمال الجلنار فيها، بالرغم من أنها لم تتحدث كثيراً مع سكارم وغارينا إلا أنها علما غضبها منهما، بدا على عينيها الإرهاق من كثرة البكاء، ثم صبت جام غضبها عليهما، عندما اعتذرا لها عما بدر منهما. «لماذا ظننتما أننا نخدعكما؟ ألم يكن كل ما قدمناه للمخلوقات كافياً؟ هذه الحرب ما كانت لتطالنا، كنا سعيدين حيث نحن في عزلتنا، إلا أننا أتينا لمشارككم حربكم، لإنقاذكم من أورا، وهكذا تجازيان أبي؟ لقد قدم الكثير لكم، لقد كان لكم نعم القائد، المدرب، والمرشد، ثم أنتما تؤذيانه وتشككان في نواياه، لماذا؟»

كلاهما يعلمان أن ما يُقال حقيقة، وذنب ما فعلاه أثقل كاهلهما فلا يعلمان كيف يكفران عنه.

جلنار: «ليبي هذا يكفي، الجميع يرتكبون الأخطاء، أنا وأنت لا نعلم حقيقة ما مرّ به الآخرون ابتداء من والدك، سينا، وهما، لقد سمعنا القصص، علمنا فظاعة ما قاسياه إلا أن السماع مختلف عن التعايش مع الأمر، فلا تلومي خوفهما على نفسيهما، ومن حولهما، هذه أبسط حقوقهما، كما أن والدك أذى غارينا من خوفه عليك، هل يمكنك لوم حبه لك؟ لذلك لا تضيفي على ندمهما».

في اليوم الخامس استيقظ شاوران، ليهرع سكارم وغارينا إليه، وقبل أن يصلا للحفرة توقفا خوفاً من مواجهته، ليس وكأنه سيؤذيها، عدا أنها يشعران بالخزي مما اقترفا، وبالأخص غارينا التي لم تقتصد أي مجهود أو تبخل بمنح السم لـ شاوران الذي ظل يصارع الموت والهذيان لوقت طويل. بينما أكملتا طريقهما بخطأ مترددة، وجدا ليين تقف خارج الحفرة، بدا عليها الراحة عدا أن سخطها لم يهد بعد.

غارينا: «هل يمكننا رؤية القائد؟»

ليين: «أليس هذا سبب قدومكما؟»

غارينا: «أنا حقاً أعذر، لم أعن إيذاءه هكذا».

ليين: «هل يمكننا الثقة بكما؟ لتحتفظا بسر وجودي، وحقيقتي؟»

غارينا: «أجل سنحفظ سرك بحياتنا، حتى إن لم ترغبي الثقة بنا بعد الآن». تحدث صدق فؤاديهما كما خوفهما من خسارة أولى علاقتهما.

سكارم: «كما قال القائد: سأقدم حياتي لكم، لنحي معاً، ولنمُت معاً».

اقتربت ليين من غارينا التي أجفلت قليلاً، ثم أحاطتها بذراعيها قائلة: «أعلم ندمك، وأنفهم خوفك فهو ذاته الخوف الذي أحمله داخلي من أجل أسرتي والآن أنتما الاثنين».

ثم أتى صوت من حيث الحفرة، وعندما نظروا وجدوا شاوران مع جلنار يقفان خارجها، ارتعدت غارينا في مكانها وخفضت عينيها للأرض متحاشية النظر إليه، في خطوات هادئة اقترب منهما قائدهما، بينما غارينا وسكارم يقفان في انتظار الحكم عليهما، دون النظر إلى جلادهما، وعندما باتت قدماه على مرأى من أعينهما، شعرا بيده توضع على رأسيهما، فانتفض جسدهما استعداداً للآلم القادم، العقوبة التي يستحقانها.

«سكارم، شكراً لإنقاذك ابنتي، أنا مدين لك، وغارينا، أنت حقاً نجفة بسُّمُك المشؤوم، أتوقع منك أن تفعل الأمر ذاته مع أي عدو يأتي لمدينتنا، فأنت ستكونين خط دفاعنا الأول، لكن في المرة القادمة تهاوني معي فأنا لست فتياً مثلكما، وأعتذر عن تهديدكما، لثانية نسيت أن لكما في قلبي ما لدي لليين».

رفع سكارم وغارينا أعينهما في صدمة مما سمعاه، ليجدا أن شاوران لا يكن لهما أي ضغينة، لا كره، لا احتقار، بل مجرد امتنان وحب خالص، ليجد فؤادهما السلام والانتفاء، هذا ما يدعى بالوطن، منذ تلك اللحظة لم يشككا يوماً بقائدهما أو عائلته، مهما فعل، مهما صرخ، كل هذا لم يزعزع ما يعلمانه يقيناً في روجهما، هما جزء من رابطة قوية لا تنتهي، رابطة تمددت لتشمل مساعدة ليين في الانجراف، فباتا هما الاثنان من يساعدانها مع سينا، فقط في حال آلت الأمور للأسوأ.

بعد تلك الحادثة ذهب سينا لإحضار الحلفاء مرة واحدة فقط، وكلا توقفها هو بأمر من شاوران وذلك لمنع أي أذى أن يطل قاطني أثران من أي بن جبار أو متباه، وكل هذا بسبب ما قام به بن يدعى دوماط، هوي بن من الجيل الباسل الذين وجدتهم سينا في بعثاتها، حمل هذا المخلوق زهرة أترويا<sup>(١)</sup> البنفسجية وشما على جسده الناصع الاخضرار، مع شعر صني بالفضة، عينين بنفسجيتين، وأوراق ذهبية اللون، بدا أنه يعرف قائدهم شاوران، بل لعلهما قاتلا في الكثير من المعارك سابقاً، ما أن رأى دوماط قائدهم حتى انفرجت أساريره كمن رأى أقرب الأقربين له.

دوماط: «لا أصدق عيني، شاوران! أنت على قيد الحياة، لقد أخبرتني هذه الين من الجيل الضال أنك القائد إلا أنني لم أصدق قولها حتى أرى بعيني، وما أنت ذا هنا».

«لقد مضت ألقيات طوال دوماط، ما تزال الين المبتهج ذاته».

أشار شاوران لابتهاج رفيقه كاستفهام عن كيفية هذا، فهو بن سام مما يعني أن التخلص من رحيق أورا دون مساعدة مستحيل، لذلك لا بد أن يكون فواده قد أحيل لهوة مظلمة لدى احتراق أورا، بل حتى لو أنه بن



علاجي لأحيل فؤاده لظلام مثل شاوران الذي لم يتخلص من رحيق أورا  
بالسرعة الكافية ليتعلم صنع مشاعره الخاصة، لذلك رغب أن يعلم أي  
نوع من المخلوقات هو هذا الوافد إليهم بمشاعر.

دوماط: «لا شيء مميز في الواقع، لقد سمعت أن أفئدتنا تتحرر بقليل  
من الدماء الخارجية، لذلك مددت دمائي بقليل من دماء الدواب،  
لأشعر».

شيء ما في سكارم لم يقتنع بهذه الكلمات، إلا أنه ما كان ليشكك في  
حكم قائده الذي تقبل هذه الإجابة، كما أنه رفيق شاوران فلا بد أنه يحمل  
الفؤاد ذاته فيه. ولأن دوماط من الجيل الباسل مثل قائدهم فقد تم تعيينه  
لتدريب فريق من البين، حيث إن عدد المخلوقات في تزايد، فـ شاوران  
بحاجة إلى من يقاسمه العبء وذلك لأن نائبته كانت ترتحل حيث تقودها  
ليين لإحضار البين. آنذاك كان البين المخلط قد اعتادوا القتال بفضل  
التدريبات المكثفة التي حظوا بها، لذلك تم تسليم مهمة الإشراف على  
تدريبهم لـ دوماط فالمخلطون لم يحتاجوا للكثير من المجهود أو الإرشاد،  
فما انشغل شاوران بتدريب الوافدين الذين لم يجيدوا القتال من مغلدين،  
هجناء سواء بين أو جان، كما الأقلية من الجيل الضال الذين تاهوا في  
الأرض، ومع تسلم دوماط دقة الإشراف عليهم تحولت حياة المخلطين  
لجحيم أخرس.

تم تعيين منطقة منفصلة للوافدين الجدد للتدريب، وذلك حتى لا يعيقوا المخلطين، لذلك لم يعلم شاوران ما كان يحدث معهم هناك مدرهم الجديد تلذذ باستحقارهم كما إيذاء أجسادهم، مثل القائد هو مجبول على القتال، وقد قاتل لأفنيات لذلك مهما بلغت قوة المخلطين هم ليسوا أكفاء له، كما أن دوماط علم كيف يستغل مشاعر المخلطين ويخزيهم.

«أنتم بنّ مخلط، شأنكم شأن الجيل الضال، أنتم أقل شأنًا منا نحن الين، واهنون بلا قوة حقيقية تفتخرون بها، لذلك عليكم تحمل هذا التدريب، حتى لو نزفت أجسادكم أو تحطمت عظامكم، فأنتم لا ترغبون أن تكونوا عبثًا علينا، أليس كذلك؟ لا ترغبون أن تكونوا الأغلال التي تقتل قائدكم، هو من أنقذكم، منحكم وطنًا، أوجد لكم الأمان، كما الاستقرار، إنه ذو قلب رقيق لذلك ما كان ليؤذيكم، أو يدفعكم خارج حدودكم، إلا أنا فعل ما عليّ فعله من أجل حياتكم التي لا تهم أحنا غير شاوران، لذلك كونوا ممتنين، وتقبلوا تدريبكم بأفواه غرسة».

هذه أول الكلمات التي تحدث بها دوماط للمخلطين، ولأن ما قاله عن واقع ما قدمه شاوران لهم كما رقة فؤاده حقيقي، استسلم المخلطون لـ دوماط فهم لا يرغبون إلا الارتقاء لطموحات قائدهم الذي كنوا له كل الاحترام كما المحبة. لطالما قاوم سكارم قساوة مدربه كما حاول حماية المخلطين منه، ليطالب بنزاهه دائماً: «دربي أنا، قاتلني أنا».

هذه الكلمات بدأ عذاب سكارم الجديد، لقد كان دوماط وحشياً معه، ليبدأ نزالهما بتحريك كل طرف بسياط ورقية مسمومة حرك سكارم سياطه نحو خصمه الذي لا يمانع الحروق التي تصيب جسده من الهدرانج، ليمسك السوط في يده جاذباً سكارم نحوه الذي إن كان سريعاً فسيثاق في الوصول إلى عدوه، أما إن لم يسرع فإن أشواكاً حادة ستخترق جسده متجنباً فزاده، أحياناً يغطي دوماط هذه الأشواك بسمه الفتاك، أحياناً أخرى لا يفعل، يعتمد هذا على مزاجه ذلك اليوم، في بعض القتالات تحول المخلط لهيئة الحيوانية إلا أن دوماط عقد أطرافه بحبال محطماً أطرافه ليتأوه الماء، وحين يفرغ من سكارم يتجه لباقي المخلطين يحطم من يتمكن منهم، وفي الأيام التي شعر فيها القائد بالملل كان يزهر فواكه سامة من أزهاره مقدماً إياها لأحد المخلطين مرغماً إياهم على تجرعها بحجة أنها أفضل طريقة لتحسين جسدهم من السموم، لقد كان سمه فتاكاً مثل غارينا، ليصاب من يتناوله بأوهام قاتلة، فضلاً عن الآلام التي تفتك بهم، وقيل موتهم يسمح لأحد من رفقاتهم بإنقاذهم بتقديم أزهار علاجية، إلا أن سكارم وجد حلاً للدره هذا الألم عن رفاقه وهو بضع زهرة الحواشي فيهم فلا يؤثر عليهم السم بدرجة كبيرة، ليتحججوا أن أجسادهم بدأت بتشكيل مضادات للسم. يذكر سكارم الليالي التي بكت فيها غارينا من آلامها أو ذعرها من إشراق الصباح، لم ترغب أن تعاني مجدداً هم رحلوا من حيث أورا كي لا يتجرعوا معاناة كهذه، إلا

أن ما منعهم من الحديث مع شاوران هو أنهم لا يرغبون أن يكونوا عباً عليه، هو يفعل كل شيء من أجل المخلوقات من أجل حمايتهم، فلماذا سيتذمرون الآن؟ وهل يحق لهم هذا؟ هو يعرض عائلته للخطر وينهك ابته في جعلها ترى الأرض فقط من أجل تضخيم الجيش وتحريرهم، فما كانوا ليردوا له الدين بالشكوى والتلمل، سيكتمون غيظهم ويستمرون في هذا التدريب حتى النهاية. خلال الشهر الذي درهم فيه دوماط باتت الأيام التي يوجد فيها المخلطون مع باقي المخلوقات قليلة للغاية، حتى أن سكارم وغارينا بالكاد يريان ليين التي افتقداها، إلا أنها لم يرغباً أن ترى الألم فيهما وتذهب لإخبار والدها فيثقلها عليه، وبالرغم من إلحاحها الدائم عليهما لإخبارها عن سبب تغييبهما، بالرغم من زيارتها المستمرة لمنزلها إلا أنها تحججا بإنهاكهما أو كثرة انشغالهما، ثم ذات يوم وبعد أن انتهى تدريب المخلطين أقبل إليهم شاوران ليرى سبب تخلفهم عن تجمعاتهم الليلة، أراد التحقق من أنهم بخير أن لا شيء يعكر صفو سلامهم، عندما رآه المخلطون يقترب من أرض تدريباتهم كما فعل دوماط همس لهم بصوت لا يصل إلى مسامع قائدهم: «تذكروا لا تكونوا أغلالنا».

إنه تحذير واضح لهم بعدم الحديث، وكم كان المخلطون حقى آنذاك، لم يعلموا حقوقهم كاملة، لم يعلموا أنهم مساوون للمخلوقات بالرغم

من أن هذا ما أخبرهم به قائدهم مراراً وتكراراً، ولكن ما تم غرسه فيهم منذ أزهروا أمر يصعب اقتلاعه، كل ما قيل لهم كل ما حاولوا جاهدين الإيذان به، هذه المساواة التي يهتف بها شاوران أمر واهن مقارنة بالأفكار التي زُرعت فيهم: «لن تكون يوماً قوياً، لن تكون يوماً جديراً، لم تكن نتاج الحب، لن تجد من يحبك، لن تكون يوماً أفضل من غيرك». لذلك عندما أقبل إليهم القائد التزموا الصمت متحاشين لقاء عينيه.

شاوران: «أتيت أنظر لحال مقاتلي من المخلطين، أنتم لا تظهرون أوجهكم أمامنا، فخشيت أن أنسى تقاسيمكم. دوماط، أنت لا تنهكهم، أليس كذلك؟ تذكر هم فتية في حاجة للحياة أكثر من القتال».

دوماط: «لست أنهكهم، بل هم من يرجون تحسين قدراتهم والقتال المستمر، حتى أنهم ينهكونني، ولكن لا تقلق سأمنحهم يوم راحة غداً». شاوران: «ما كنت أرجو أكثر من هذا». ثم نظر إلى سكارم ليردف: «اتبعني».

ابتعد القائد عن المجموعة يتبعه سكارم المترنح من وصب جسده الذي يعالج ذاته من بضعة كسور أصابه بها دوماط، وبين أشجار الغابة تحدث شاوران: «سكارم، ألدبك ما تخبرني به؟»

ارتعد المخلط، وكم كان شاقاً عليه حبس الكلمات داخله ليجيب: «لا يوجد، كل شيء على ما يرام».

«لماذا تتجنب النظر إلى عيني إذا؟»

رفع عينيه الذابلتين ليرى قائده الذي لم يره جيداً منذ ما يقارب الشهر الآن، مجيباً: «لست أفعل، لا تشغل بالك بنا شاوران، نحن بخير، لذلك اهتم بتدريب الوافدين الجدد ودع أمرنا لـ دوماط فنحن لن نخذلك».

«من قال شيئاً عن خذلانكم لي؟ أنا قلق بشأنكم، ولكن إن كنت مصراً أنكم على ما يرام وأن لا شيء مريباً يحدث فسأثق بك، كما أرجو أن تمنحني أنت مثل هذه الثقة».

ومن دون انتظار إجابة تولى شاوران عن سكارم الذي علم أنه آخر قائده بتصرفاته، إلا أنه لم يرغب إلا أن يكون محل ثقته واستحسانه فهو من ياتمته شاوران، من سيأتمنه على المخلوقات وأثران ليخلفه فما كان ليخيب آماله. وكما وعد دوماط تم منح المخلطين يوماً للراحة من التدريب، وفي اليوم التالي فيها عادوا لأرض التدريب بأفئدة مثقلة انشروحت أساريهم عندما وجدوا أن دوماط قد تم استبداله، لقد كانت جلنار وسينا التي عادت من مهمتها تأخذان مكانه ليسعد المخلطون به الحرية كما الرحمة التي ستطاهم، حتى أن بعضهم ذرف الدموع، التي أثارت حفيظة سينا: «أعلم أن هذه ليست دموع اشتياقكم لي، فما بالكُم لماذا نبدل بالقائد دوماط؟»

مجدداً تخشى ابنَ أعين مدبرتهم ليجيب سكارم: «لماذا تعتقدون أن  
أمراً حل بنا؟ نحن فقط سعداء لرؤيتك».

عبست جلنار في استهجان، الأمر الذي أقلق المخلطين لتقول:  
«سكارم أترانا وشاوران حقى؟»

ارتعد الآخر من سؤاها الذي أصاب فواده بالخزي مجيئاً: «بالتأكيد  
لا».

«إذاً لم تعاملنا كذلك؟ شاوران قلق بشأنكم هو يعلم أن أمراً ما يحدث  
معكم، لذلك طلب من سينا العودة قبل الانتهاء من مهمتها لتسندكم، هو  
يلحظ تغييركم، كما غيابكم، من الأفضل لكم التحدث، إن كان هنالك  
أمر قد أذاكم، هذا يعني أنه يؤدي أثران، كما سيمزق هذه الوحدة التي  
نحن فيها، هل أنتم راغبون بهذا؟ أن تفقدوا كل ما سعيتم لإنجاحه؟»  
غارينا: «أنتم محقون، دوماط لم يكن إلا جحياً لنا».

لم يجرؤ سكارم أو أي ابنَ مخطط على إسكاتها لتسرد كل ما قام به  
دوماط، من الإهانات، تعذيبهم بسمومه، كما تحطيم أجسادهم، لتشتعل  
جلنار غيظاً فترتحل بعيداً عنهم دون قول كلمة واحدة، تتبعها سينا كما  
المخلطين الذين لم يرغبوا إحداث أي اضطراب، إلا أن سخط جلنار  
لا يمكن احتواؤه، لتشق طريقها وسط ساحة التدريب حيث شاوران  
ودوماط المستاء من إعادة تعيينه، ما أن رآها عشيروها حتى علم أن أمراً ما

يزعجها، كما أن فؤاده علم سبب هذا السخط ولحمايتها وقف يحول بينه وبين دوماط الذي قد يؤذيها إلا أن جلنار لم تبال: «أنت المدعو دوماط هل أنت من آذى هؤلاء الفتية؟ أنت من حطم أجسادهم، أطعمهم السموم، كما دعاهم مُستحققين؟»

نظر دوماط للمخلطين شزراً، أما شاوران فلقد ارتعد عند سماع كلمات جلنار وقبل أن ينطق بشيء إذا بالمتهم يبرر: «لقد أسأؤوا فهد حرصي في تدريبهم بالإساءة، لقد فعلت هذا من أجل إيقانهم على قيد الحياة، فلا تبالغي».

«أبالغ؟ أين المبالغة في هذا؟ بل أنت من تجاوز حدوده في إيدائهم، هم ليسوا أدوات أو أسلحة لك، هم مخلوقات تشعر كما تتألم، وقد نكلت بهم أسوأ العذاب».

بدا على دوماط الغيظ الذي لم يكبحه ليصرخ: «ما الذي تعرفه بشرية عن أي شيء؟ لتكوني ممتنة أن البنّ منا لا يقتلونك أنت وذريتك الهجينة، فكل المخلوقات عدا البنّ النقي من أمثالي مجرد حثالة الأرض، أنت...».

تحرك شاوران لينقض عليه ويمزق فمه إلا أنه لم يكن بمثل سرعة سكارم الذي تأجج سخطه ليفقد السيطرة على الحيوان فيه متشكلاً بهيته، فينقض على دوماط مُطبقاً أنيابه على حنجرته حتى كاد يقتلعها، إلا أن شاوران عقد أحزمة منه حول سكارم جاذباً إياه بعيداً عن دوماط، وفي

الآن ذاته دافعاً بالجلنار داخل جسده ليهدهأ، حدث كل شيء بسرعة فائقة، حيث إن رحيق الجلنار جعل المخلط الوحشي يستعيد هيئته رغماً عنه، وما أن وقع على الأرض حتى رأى شاوران ينظر إليه بسخط، ليتحرك بسرعة صوب سكارم الذي ظن أن قائده قادم لإيذائه، إلا أن الغضب في عينه تلاشى متحولاً لآلم ومعه تعالت صرخات جلنار، لم يفقه سكارم ما حدث إلا عندما خر قائده أرضاً. لقد أطلق دوماط أشواكاً مسمومة كان الهدف منها إصابته إلا أن قائده حال بينه وبين السم الذي سمح له بالتدفق لجسده عوضاً عن سكارم، أمسكت جلنار بعشيرها قبيل سقوطه على الأرض، فيما انقضت سينا على دوماط مع المخلطين مثبتين إياه في الأرض بحبالهم، ثم دفعت سينا بأحد السموم في جسدها إليه ليصرخ وصباً.

جلنار: «شاوران، ما الذي عليّ تقديمه لك؟ أي الأزهار تحتاج؟»  
أقبل سكارم حيث قائده مخرجاً من جسده زهرة الحواشي، وقيل أن تلمس شاوران إذا به ينهره:

«لا تقدم لي شيئاً، أستطيع تدبر أمري دون مساعدتك».  
«ما الذي تتحدث عنه؟ أنت تتألم، دعني أساعدك أو سوف تهلك».  
أمسك شاوران بوشاح سكارم بغضب قائلاً:  
«لم عليّ تلقي المساعدة منك؟ أنت لم ترغبها مني، أيتوجب عليّ الثقة

بك في حين أنك لا تثق بي؟ أنا أقدم لك ما قدمته أنت لي، لقد كذبت عليّ فيما انت تنظر لعيني، أنت لم تثق بي كقائد فلمَ سأثق بك كجندي؟ إن كنت أنت والمخلطون تعتقدون أنكم في غنى عنا، عن مساعدتنا فأنا في غنى عنكم أيضاً.

شعر سكارم بفؤاده يسحق من كلمات شاوران، هو يستحق كل حرف نطقه قائده، لأنه لم يثق بمن حوله من المخلوقات آلت الأمور لهذا الاضطراب، مجدداً القائد يتأذى بسبب تسرعه وقلة ثقته، وإن تم التخلي عنهم أو طردهم من أثران فهو أمر يستحقونه، لأنهم لم يقدموا لمن حولهم ما قُدّم لهم.

ألصقت جلنار بعض الأزهار التي اختزنتها وقدمتها لشاوران، فيما ساعدته للنهوض عائدة به للمنزل ليرتاح، لتتولى سينا زمام الأمور. طلبت من البنّ الأكثر سمية مساعدتها في سجن دوماط، فيما أمرت المتبقين بالعودة لمهاجمهم، في أحد الكهوف الأرضية التي ملئت ماء تم صنع قفص خشبي علّق في الهواء بحبال مزهرة بالسموم والتي أحاطت جدران القفص أيضاً لمنع دوماط من الهرب حتى يحكم عليه شاوران حكمه.

خارج منزل القائد وقف سكارم مع المخلطين دون أن يتزحزحوا في انتظار غفران قائدهم الذي يصارع السم مجدداً، أقبلت ليبن حيث

سكارم وغارينا قائلة:

«ظننت أننا حظينا بثقتكما، أنتما تعلمان كل شيء عني، كل أسراري التي لا يجب لأحد معرفتها، فلماذا أخفيتما أمر معاناتكم علينا؟ ألسنا أهلاً للثقة؟!».

سكارم: «لست أبرر لذاتي، لكن لا يتعلق الأمر بالثقة، بل بما جُبلنا عليه، أن نكون أذل من غيرنا، أن نؤمن أننا أحقر من الجميع، وعندما نجد مخلوقات مثلكم تعاملنا كئيد لهم، ولا يستحقروننا، فلا يمكن لنا أن نعتبره أمراً مسلماً به، لا نرغب أن نخيب ظن أو رجاء أحد، لذلك نبذل كل ما يمكننا كي لا نكون أغللاً تثقل كاهلكم وتغرقكم، فصمتنا عن دوماط، حتى نكون الدعم الذي يحتاجه شاوران».

ليين: «سبق أن قالت لي أمي، إنه لا يمكن لي أو لها أن نعي مقدار السوء الذي عايشتموه في حياتكم، ولا يمكنني أن أغضب عليكم من شيء لا أعيه حقاً، كما أتمنى لو أن بمقدوري عمل شيء حتى أزيل عنكم هذا الشؤم الذي يجيم على أفئدتكم».

لم يطل مرض شاوران هذه المرة، لقد تخلص من سم دوماط أسرع مما تخلص من سم غارينا، ليخرج من منزله حيث يجيم المخلطون في انتظار حكمه عليهم، وما أن رأوه حتى نهضوا من الأرض في اضطراب وترقب، نظر إليهم قائدهم في سخط ثم قال:

«لا أعلم ما فائدة ما كنت أعمل عليه معكم أو ما قدمته إن كنتم لا تثقون بي، ولا يمكنني فرض هذه الثقة عليكم، كما لا يمكنني أن أبقى في جيشي من لا يأتبعني، لن أطردهم من أتران فهي موطنكم الذي استحققتموه، إلا أنه لا مكان لكم في جيشي بعد الآن، سأعاود التدريب غداً، وإن لم تحملوا في داخلكم يقيناً بي فلا تهدروا وقتي أو مجهوداتي عليكم وابقوا في مهاجعكم، أما أنت سكارم فلا مكان لك في جيشي بعد الآن».

لم ينتظر شاوران أي جواب ورجل من حيث المخلطون صوب الكهف حيث دوماط، فيما تهاوى عالم سكارم، لقد احترقت روحه من قرار القائد، ولعله استحق هذا، ذلك المخلوق اتهمه على سرابته، أكثر من يجب، بل لقد أخبره أنه يحمل لـ سكارم في فؤاده ما يحمله لـ ليين، أي منكر للجميل يكون هذا المخلط الذي أبغض ذاته؟

وصل لـ أتران نبأ موت دوماط في قفصه من أثر السموم التي علقت عليه، لعل وجدانه ملئ سخطاً ليفقد المنطق في عقله، وفي محاولة هربه أصابت الأشواك المسمومة جسده ليمتلئ بالسموم ومع هذا مات دوماط دون أن يتلاشى جسده الذي نضج بالموت.

غارينا: «ما الذي ستفعله الآن؟ كيف ستجعل القائد يعيدك للجيش؟»  
سكارم: «لا أعلم بعد».

«إذا دعنا نطلب من القائد أن يصفح عنك، إن تقدمنا جميعاً فلعل فؤاده يرق لك، كما أن المخلوقات غيرنا يحملون الكثير من الاحترام لك، لعلهم ينضمون إلينا في الحديث مع القائد»

هذا ما اقترحه أحد المخلطين الموجودين، ليؤيده باقي المجموعة، إلا أن شيئاً في نفس سكارم لم يرغب تدخل أحد، لم يكن للأمر علاقة بالثقة هذه المرة، بل بفخره كمقاتل تتلمذ على يدي شاوران، أراد إثبات ذاته لقائده الذي فقد الثقة به دون مساعدة أي مخلوق أو تدخل، هو يدين بهذا له، سكارم مستعد لحصد ثمن أخطائه مهما كانت.

قبل إشراق شمس الصباح وجد سكارم ذاته أمام مسكن القائد يقف أمام الباب، لم يحظ بلحظة نوم من تأنيب الضمير كما القلق الذي انتابه، بعد عدة ساعات قلائل أتت أصوات من داخل المنزل معلنة عن استيقاظ قاطنيه، كانت أصواتهم المتحابة مهدئة لفؤاده، وبعد قليل من الوقت فتح الباب ليرتعد سكارم في مكانه، بالرغم من أنه سمع وقع أقدام شاوران وعائلته تتجه للباب، كما أنه هياً ذاته لمقابلة قائده إلا أن جسده ارتعد على غير هواه، وقعت عيناه على شاوران الذي لم يقل شيئاً، بل هو لم يظهر أي اهتمام صوته ليتحدث سكارم قائلاً:

«أعتذر عما بدر مني، أرجو أن تقبل اعتذاري وتعيدني لصفوف الجيش، أقسم أنني لن أكرر خطئي».

ومع آخر كلمة تجاوزه القائدة دون أي إجابة كما لو أنه لم يره أو يسمعه، الأمر الذي مزق سكارم إلا أنه تمالك ذاته، لتقترب منه كل من ليين وجلنار التي تحدثت:

«أنت تعلم أنه لا يمكن لأي منّا التدخل في هذا الأمر، أليس كذلك؟»  
أوما سكارم برأسه بالموافقة لتردف: «عليك إثبات نفسك له». ثم رحلت لتسبعاها ابتها.

لم يذهب سكارم لساحة التدريب ذلك اليوم أو يقترب منها حتى، هو يعلم أن شاوران لن يقبل وجوده، سيتهي الأمر بإحدى طريقتين، أولاًهما؛ أن يرغمه القائد على الرحيل وإن لم ينصغ سكارم فستتم مهاجمته من شاوران حتى يغيب عن أنظاره، وثانيتهما؛ وهو الاحتمال الأكثر ترشيقاً هي أن القائد لن يبالي بوجوده ولن يمنعه من الحضور، لكن وتقديراً له فإن سكارم لم ينخرط في التدريب لأن هذه أكبر إهانة للقائد، مما سيدفعه أن يقف متفرباً فقط دون حراك حتى يقبل به شاوران مجدداً، إلا أن عملاً مهيناً كهذا لن ينال استحسانه أبداً وقد يزيد في الصدع الذي بينهما، وفي كلتا الحالتين فإن المخلوقات التي ستراقب وقوفه أو تعرضه للطرده سيستأوون من القائد مما قد يؤدي لزراع بذرة الغل في أفئدتهم؛ لذلك لن يظهر ذاته في الساحة وسيظل أمام المنزل غير متزعزع، هذه أفضل طريقة للحفاظ على أثران، كما إظهار الاحترام لشاوران.

كانت حرارة الشمس لا تحتمل إلا أن سكارم لم يكثرث، فقد ظل يقف حيث هو، حتى عندما أقبل عليهم الليل ليعود القائد للمنزل مع أسرته لم يتزعزع عن مكانه، ليعيد الرجاء ذاته على شاوران: «أرجوك اقبل بي في جيشك مجدداً».

إلا أن القائد لم يبالٍ بالنظر إليه حتى، راقب فيما ينتصف الهلال السماء وتنطفئ النيران داخل منزل القائد، ومع هذا ظل سكارم يقف طويلاً، حتى عندما أقبلت عليه غارينا في الليل ترجوه العودة للمنزل والعودة في الصباح لم يوافق قائلاً:

«لا تقلقي بهذا الشأن، أنا بخير، والانتظار كما الوقوف هنا لا يعني شيئاً لي، أنا لست منهكاً، كما لست أبغض هذا، إن أردت أن أظهر إخلاصي فهذا أمر علي القيام به بمفردي، حتى جلنار وليبين لا تتدخلان في هذا، لذلك لا تنهكي ذاتك بالتفكير وعودي للمنزل، سيتهي كل شيء قريباً».

استمر سكارم على هذه الحال لثلاثة أيام بلياليها، في الليلة الرابعة وفيها الجميع نيام ظل المخلط واقفاً حيث هو تحت وابل من المطر بيدن أعباء الإنهاك ليرتعد برداً، فهو لم يذق النوم أو الراحة منذ ثلاثة أيام كما أن قدميه تنزفان من وقوفه المستمر، وحين بدأ بفقدان الأمل، صُفِع باب المنزل مفتوحاً ليظهر منه شاوران، قائلاً بتهكم:

«كم أنت عنيدا! ألم تفقه حتى الآن أني لست أرغب بك في الجيش أو حوله؟ لماذا تستمر بالوقوف هنا منذ ثلاثة أيام متتالية؟ ارحل فلن أغبر رأيي».

«لن أرحل حتى تقبل بي مجدداً».

«ستقضي حياتك تقف هنا إذا».

سكارم: «لست أمانع، إن كان هذا ما سيجعلك تغفر لي وتعيدني في صفوفك».

خطا شاوران خارج المنزل تحت المطر، ناظراً في عيني سكارم المتكسرتين ليردف:

«أنى لك كل هذا العناد؟»

وقبل أن يجيب الآخر أمسكه شاوران من ذراعه جاذباً إياه داخل المنزل، دافعاً به ليجلس أمام المدفأة، ثم تولى للحظات في تعجب من سكارم، أقبل إليه قائده مجدداً حاملاً مجموعة من الملاءات مُلقياً إياها على رأس المخلط، قائلاً:

«جفف ذاتك، متى كانت آخر مرة تناولت شيئاً؟»

«استقبل بي مجدداً؟»

شاوران: «ألا يمكنك قول غير هذه الكلمات الثلاث؟»

ثم تولى عنه مجدداً، وفيما تحرك الآخر ليتبعه نظر إليه قائده ناهراً: «لا تحرك، لا تصدر صوتاً لا أرغب إقلاق نوم ابنتي وعشيرتي».

ليخضع للأمر عائداً للجلوس بهدوء، لينسل البرد من أطرافه، بعد عدة لحظات أقبل إليه شاوران مجدداً، مقدماً له كوباً من مشروب دافئ وشيئاً من الطعام، وفيما فتح سكارم فمه إذا بقائده ناظراً إليه:

«إن سألتني عن قبولي بك، فسأقذف بك خارج المنزل، لذلك اصمت وتناول شيئاً من الطعام».

حديث شاوران معه دلالة جيدة، فلم يرغب سكارم أن يستنزف حظه لذلك أطاع متناولاً الطعام في صمت، بعد أن انتهى من تناول طعامه نهض رب المنزل بهدوء عائداً لحجراته فيها قال: «اخلد للنوم، فلا فائدة من عودتك لمنزلك تحت المطر الآن».

ولأن سكارم لم يرغب إغضابه طرح سؤالاً آخر سيقدم له الإجابة التي يحتاجها:

«أكنت تراقب الأرض من حولي؟»

«لم قد أفعل؟»

«لأنك قلق علي، كنت تراقبني عبر الأرض طيلة الوقت، أليس كذلك؟»

«لست قلقاً عليك، أنا فقط لم أرغب بوجود جثة ميتة أمام منزلي.  
والآن توقف عن الحديث فأنا منهك».

نهض سكارم من موقعه إلا أنه لم يتحرك قائلاً:

«أرجوك اقبل بي مجدداً، صمتي لم يكن يوماً عدم ثقة، بل هو خوف  
من إتهال كاهليك، أعلم أن هذا ليس بعذر، إلا أن ثقتي بك لم تتزعزع  
يوماً، فأنت القائد الوحيد الذي أرجوه لي، أنت من أتبع دون تفكير،  
لذلك اقبل بي».

«أتعلم ما هي الأمور التي مررنا بها نحن الجيل الباسل؟ هي ذواتنا  
ما مررتم أنتم به، كل جيل بعد جيل الصفوة، جميعنا نمثل عاقبة الحرب،  
بل نحن نسلها، أعلم جيداً ما معنى أن تجبل على معتقد واحد ومفهوم  
واحد، كل مخاوفكم، كل أفكاركم، كما تحبطاتكم كانت لي ذات يوم،  
لذلك لم أرغبها لكم، أردت أن أنتزع هذا الوصب الذي يلتهم الروح  
كما الفؤاد منكم أيها المخلطون، وعندما رأيت أن سعيي لإنقاذكم لم  
يلمس شيئاً من وجدانكم، حطمني هذا، وخاصة أنت، لأنني أرى فيك  
شيئاً مني، لأنني أثق بك، واحترم كل ما قمت له من أجل إنقاذ المخلطين  
وحمايتهم، في حين أنني أراك نذالي، أنت تراني أغلال فؤادك».

لم يستطع سكارم الإجابة، لم يجد كلمات ليقولها، إلا أن شاوران أردف:

«اخلد للراحة سكارم، وعالج قدميك الداميتين، سارك في ساحة التدريب غداً».

توارى شاوران داخل حجراته دون انتظار إجابة من سكارم الذي امتزج فواده بالسعادة لقبول القائد له، وندم على ما تسبب به، لم يعنِ أيّاً من هذا، إلا أنه سيسعى لإثبات ذاته لشاوران مهما كلف الأمر.

لم يعلم سكارم متى أو كيف خلد للنوم، إلا أن الشمس انتصفت السماء عندما استيقظ، لقد تأخر عن التدريب، ولكن ليس هذا ما أقلقته، حقيقة أن القائد لم يوقظه أو يحضره للساحة معه، جعلته يعتقد أن ما حدث البارحة كان مجرد حلم، وأن شاوران لم يغفر له أو يقبله بعد، لربما هو خَرَّ فاقداً الوعي من فرط الإعياء، لعل كل ما حدث البارحة لم يكن حقيقةً، إلا أنه انطلق مسرعاً للساحة، حيث الجميع يتدربون معاً وما أن رآته المخلوقات حتى توقفوا عن القتال ناظرين إليه، ليهتف بهم القائد: «من سمح لكم بالتوقف؟ استمروا في التدريب».

انصاع الجميع دون تساؤلات أو تردد، ليردف شاوران:

«ما الذي تفعله عندك سكارم؟»

ليرتعد الآخر، أجل لا بد أن كل ما حدث البارحة مجرد حلم، وقبل أن يفرق فواده في خيبة الأمل، إذا بشاوران قائلاً: «هل ستقف حيث أنت؟ ادخل الساحة وياشر التدريب مع أقرانك».

اضطربت تحركات كل من في الساحة، ليس خوفاً، بل سعادة جملة.  
تحركاتهم مهملة، أما سكارم فلم يجد إلا البهجة تملاً فواده من أن فائد  
قَبِلَ به مجدداً، ليتسارع عائداً للساحة متدرباً مع المخلوقات كالآباء  
الحوالي، وبعد أن أعلنت سينا نهاية التدريب، أقبل الجميع على سكارم  
مرحين بعودته، فيما تولى عنهم شاوران، عدا أن المخلط لم يفرغ من كل  
الكلمات التي رغب قولها له، لذلك أسرع الخطا خلفه وما أن أدركه حتى  
توقف الآخر مستديراً إليه:

«لماذا تتبني؟»

سكارم: «لماذا غفرت لي بهذه السرعة؟ لقد كنت متهيناً لأقف خارج  
المنزّل لوقت أطول إن دعت الحاجة».

«أترغب استكمال العقاب إذا؟»

«لم أعني هذا، عدا أن حجم خطئي أكبر من أن يُغفر بسرعة».

شاوران: «وكانك تتوسل إليّ لأعاقبك».

لم يجب سكارم، فهو بالتأكيد لم يرغب هذا إلا أنه لم يعلم كيف يوصل  
رسالته لـ شاوران، كما أنه لا يعلم إن كان بإمكانه الغفران لذاته بهذه  
السرعة. إلا أن قائده أردف:

«سكارم، أنت فتي، وارتكاب الأخطاء أمر وارد الحدوث، ولست

أعاقبك على أخطائك فالجميع يخطئون، أنا أرغب منك المزيد من الثقة

فحسب، لا تقلل من ذاتك، لا ترضي أن يتم إبداؤك ومن معك، فأنت في أثران، ولم تعد حيث أورا، شئت أم لا أنت قائد المخلطين، هذا أمر لا يمكنني أخذه منك، حتى وهم مطيعون لي، ويقدمون الاحترام إلا أنك تظل من حررهم، هم يثقون بك، فكن في محل ثقتهم، إعلم أن قوتك قوة لهم، ما تقبله أنت من الهوان على ذاتك سيصيبهم أضعافاً، فكن القائد الذي يتطلعون له، من بحميتهم، كن القائد الذي أراه فيك».

وجد الدمع مكانه في عيني سكارم الذي خفض رأسه قائلاً:

«إن كنت أنا قائد المخلطين فأنت قائدي أنا، ولن أخفض رأسي لأحد سواك، أقسم لك أن أرق لتوقعاتك، وألا أخذلك يوماً».

منذ ذاك الحين ازدادت قوة الرابطة بين سكارم وشاوران، الذي صب جام اهتمامه لصقل المخلط، أما سينا فلم تعد ترنحل بحثاً عن المخلوقات، فلن يرغب شاوران قدوم بنّ مثل دوماط يؤدي جنوده، كما أنه يرغب بالمزيد من الوقت لتقوية روابط المخلوقات، ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى انطلقت البعثة بحثاً عن المخلوقات مجدداً.

في هذه الرحلة التي يمضون فيها، وجد سكارم مخاوفه تتشكل أمامه، اليوم أخبرتهم جوام<sup>(١)</sup> عن وجود أفئدة زرعت لتزهر، لكن

---

١- من هجناه: أول بنّ تلتقيها البعثة في رحلتها وهي من جيل الأولين الذين مروا من أورا.

لا عِلْمَ لَهُمْ إِنْ أَزْهَرَتْ أَمْ لَا، لَعَلَّهَا لَمْ تَزْهَرْ بَعْدَ، أَوْ لَعَلَّهَا أَزْهَرَتْ بِنَّا  
لا يَعْلَمُ بِوُجُودِهِمْ إِلَّا الْمُقْرَبُونَ مِنْ أَوْرَا، لِيَكُونَ سِرُّهَا الْخَاصَّ جَيْشِهَا  
السَّري الَّذِي تُغَيِّرُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهَا، وَإِنْ صَحَّتْ ظَنُونُهُمْ، فَيَكْمُنُ الْجَهْلُ  
فِي مَعْرِفَةِ عَدَدِ الْمَرَاتِ الَّتِي أَزْهَرَتْ فِيهَا الْأَشْجَارُ، أَوْ عَدَدِ الْأَشْجَارِ  
ذَوَاتِهَا، الْآنَ، يَعْلَمُ سَكَارُمُ كَمَا بَاقِي الْبَعْثَةِ وَاقِعَ مَا هُمْ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ،  
كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ الَّذِي هُمْ فِيهِ أَحْبَطُهُمْ وَجَعَلَهُمْ يَتَخَبَطُونَ فِي دَوَامَةٍ مِنْ  
التَّسَاوُلَاتِ كَمَا الشَّكُّ، هَلْ سَيَخْسِرُونَ الْمَعْرَكَةَ قَبْلَ بَدْنِهَا؟ هَلْ كُلُّ مَا  
بَذَلُوهُ حَتَّى الْآنَ مَجْرَدُ هِبَاءٍ؟ وَفِي إِحْبَاطِهِمْ هَذَا غَضَبُ نَامَارٍ عَلَيْهِمْ  
جَمِيعاً قَائِلاً: «إِلَى مَتَى سَتَحْمِلُونَ هَذَا الْبُؤْسَ عَلَى وَجُوهِكُمْ؟ هَلْ قَرَرْتُمْ  
خَسَارَةَ الْحَرْبِ قَبْلَ بَدْنِهَا؟ أَمْ تَرْغَبُونَ بِالْإِنْسِحَابِ وَالْإِخْتِبَاءِ فِي جُحْرٍ  
مَا حَتَّى تَتَحَاشَوْا الْخَسَارَةَ وَالْمَوْتَ؟»

سَيُون: «لَا تُشْتَمْنَا بِذِكْرِ الْمَوْتِ»

نَامَار: «انْظُرْ إِلَيْهِمْ هُمُ الْمُتَشَائِمُونَ مِنْهُ وَلَيْسَ أَنَا. اسْتَمِعُوا إِلَيَّ، أَنَا لَنْ  
أَمُوتَ، وَلَنْ أَدْعَ أَحَدَكُمْ يَمُوتُ حَتَّى أَحْصِلَ عَلَى ثَأْرِي مِنْ أَوْرَا، لَقَدْ  
أَقْسَمْتُ لَهَا عَلَى ذَلِكَ، وَسَأَسْتَمْتِعُ بِإِحْرَاقِهَا لِرِمَادِ هَذِهِ الْمَرَّةِ»

سَيُون: «أَنَا أَيْضاً أَقْسَمْتُ لَهَا أَنِّي سَأَجْعَلُهَا تَدْفَعُ ثَمَنَ ذُنُوبِهَا نَجُونًا،  
سَأَبْدُو بِمَظْهَرِ الْأَحْمَقِ إِنْ قُتِلْتُ قَبْلَ فِعْلِ هَذَا، لِذَلِكَ لَا أَنْوِي الْمَوْتَ».

أريو: «لقد قلت لها الأمر ذاته<sup>(١)</sup>، لا عجب أنها ارتعدت عندما صرحت لها بهذا، سأرغب برؤية الخوف عليها مجدداً»

سكارم: «كنت لأحب رؤيتها ترتعد، حسناً أنا معكم لن أخسر حياتي مبكراً».

إيلهاب: «سبق وأن شاركت قسمي على الانتقام مع نامار، فاحسبوني معكم».

ليين: «إذا لتقسم عهداً بيتنا نحن»

أوما الجميع لها بالموافقة لتقول:

«لندخل حروينا أحياء ولنخرج منها أحياء»

ضحك نامار بصوت فخور قائلاً:

«أعجبني هذا حسناً سأقسم معك: لندخل أحياء، ولنخرج أحياء»

تبعته المجموعة هاتفة بالقسم: «لندخل أحياء، ولنخرج أحياء»

تلاشى آخر خيط للشمس شاهدة على قسمهم.

---

١- في مجنا: تم القبض على أريو وتعذيبه من قبل أورا حين ذهب مع نامار للإيجاد سيون المفقود.

## هجناء

تبدلت الأرض الصحراوية لجبال ذات قمم جليدية، تشقت من سيل الأنهار فيها والشلالات التي تساقطت بنغم على البحيرات أسفل منها، ليضرب شعاع الشمس رذاذ الماء صانعاً طيفاً ذا سبعة ألوان خلابة. في طريقهم اقتربت المجموعة من شلال شاهق الارتفاع، تذكر إيلهاب أمراً كان الهجناء يقومون به فيما راقب هو من بعيد، وتمنى لو أمكنه فعل هذا مع أصدقائه، نظر نحو أريو قائلاً: «لنتراهن».

أريو: «على ماذا؟»

أشار بإصبعه إلى قمة الشلال: «للقفز من هناك»

«أفقدت عقلك؟ قفزة كهذه ستكلفنا حياتنا».

ليين: «لا لن تفعل، بالرغم من الارتفاع الشاهق إلا أننا سنهوي في الماء».

سكارم: «على ماذا سنتراهن؟»

ابتسم إيلهاب: «من يَجْبُنُ عن القفز، سيحمل أمتعتنا كلها».

ليين: «ماذا لو قفزنا جميعاً؟»

إيلهاب: «حينها يقع العقاب على آخر من يقفز، ما رأيكم؟»

كره أريو هذه الفكرة، فلم يسبق له أن فعل أمراً كهذا، عدا أنه لم يرغب أن يبدو جباناً أمام رفاقه، لذلك وافق على مضض، بعد أن اتفقوا على شروط الرهان وقبل أن يستعد الجميع القى إيلهاب أمتعته من على كتفيه وركض صوب قمة الشلال، علم البقية أنه ضلّهم منذ بداية السباق، حينها قذفوا أمتعته أيضاً منطلقين بأقصى سرعاتهم للشلال، أما أريو فقرر تلقين إيلهاب درساً، حيث حرك الماء من تحته جاعلاً إياه ينزلق على وجهه، ضحك الآخرون عليه فيما تخطوه ليهتف أريو ضاحكاً: «تستحق هذا»

نهض إيلهاب المحرج من سقوطه راكضاً خلفهم فما كان ليخسر، اعتقد أريو أنه ستردد في القفز لدى وصوله للهاوية إلا أنه لم يفعل عندما رأى سكارم وليبين يقفزان نحو الهاوية دون تردد، ليرى الابتسامة والاندفاع في وجهيهما علم أنه هو الآخر يحظى بوقت ممتع، سكارم هو أول من قفز وفي اللحظة التي قفز فيها استدار للخلف ملوحاً لمن خلفه بالوداع، تبعته ليبين التي قلبت جسدها في الهواء لتهوي برأسها أولاً، ثم أريو الذي دفع بحزام ماء نحو إيلهاب يؤخره ليكون آخر الواصلين، ارتطمت أجسادهم بالماء البارد أسفل منهم، لتنتعش أجسادهم كما شعور الاندفاع، مختلطاً بخفقان أفندتهم المتسارعة، كل هذا كان محرراً لأرواحهم، أخرج أريو رأسه من الماء مبتسماً فخوراً بذاته، إلا أنه وجد إيلهاب الخامس متجهماً أمامه: «أنت محتال»

أريو: «أنت من بدأ هذا».

«أجل، لكن ردها لي مرة واحدة، وليس مرتين»

«أنت خاسر مرير»

إيلهاب: «لن أكون كذلك إن خسرت بإنصاف»

سكارم: «أنت ساخط لخسارتك رغم حيلتك»

لم يجب إيلهاب، إلا أن وجهه العابس أضحك من حوله، بدا كالطفل الذي يكره الخسارة، لتقترح ليبيّن التالي:

«أنا و سكارم انتصرنا بإنصاف، لكن إن رغبتما حسم الرهان فهناك شلال آخر قريب إن تبعتما درب النهر، تسابقا إلى هناك ولنزّ من يختر النصر بإنصاف».

ما أن أنهت اقتراحها حتى انطلق إيلهاب وأريو دون مقدمات نحو الشلال الآخر، وعلى خطاهما الاثنان الآخران، أريو يعلم أن إيلهاب أسرع منه، إلا أنه ما كان ليلجأ للحيلة ما لم يبدأ بها الآخر مجدداً، فلقد رغب الفوز بإنصاف، وبالرغم من احترام إيلهاب لمجهودات أريو في صقل قوته، إلا أنه ليس ندّاً له، لذلك هو يعلم أنه الفائز هذه المرة، وبالفعل كان هو في المقدمة يتبعه أريو ليس ببعيد، بينما ركض إيلهاب على الأرض، ووثب فوق الصخور، قام خصمه باستخدام جريان النهر

متزلقاً فوقه ومحركاً إياه من تحته، خلال لحظات بدأ ماء النهر بالانهمار نحو بركة مائية ضحلة، قفز إيلهاب للأعلى مستخدماً الأشجار من حول البركة ليصل لمقدمة الشلال، بينما استمر أريو في انزلاقه، أخيراً كان إيلهاب أول الواصلين ليقفز، لكن قبل أن يصل لأسفل الشلال، رأى كرة نارية زرقاء اللون تتجه صوبه.

فيما الفتية يتراهنون، توقف سيون ونامار عن التحرك، فاسحين لهم المجال لقليل من الحرية والعبث لتعمق روابطهم وثقتهم، كما أن قليلاً من المرح كان ضرورياً في هذه المرحلة، وخاصة بعد الأنباء التي تلقوها عن وجود أفئدة للين مزروعة في مسار أورا.

نامار: «هل أبلغت شاوران عن الأفئدة؟»

سيون: «لقد فعلت، تواصلت معه عبر حجري».

نامار: «و؟»

«أخبرني أنه سيتقصى الأمر، لكن كلانا يعلم أن في الأمر مخاطرة».

«التوجه نحو مسار تلك الأورا خطير للغاية، كما لا نعلم إن كان هنالك حراس حولها أم لا».

«أعلم هذا، لكن شاوران ليس أحمق، ولن يقوم بعمل يعرض أحداً للخطر».

«بالرغم من الحديث التشجيعي، الذي نطقت به قبل مدة، إلا أن واقع هذه الأشجار يجعل كفتنا هي الخاسرة في المعركة».

«أخبرني بأمر لا أعلمه».

نامار: «عندما يحين وقت النزال، علينا أن نصوب نحو الشجرة مباشرة، يجب عدم إضاعة الوقت في قتال أو نزال بلا معنى».

«أي شجرة تقصد؟ الشجرة ذاتها، أم البِن التي باتت عليها؟ فأننا لا أعلم أيهما أورا».

«لننقدهما معاً ثم أشعل النار في كليتهما».

سيون: «القول أسهل من الفعل».

«بالرغم من كرهى لهذا، إلا أني سأطلب من زابنيل<sup>(١)</sup> المساعدة، هو جان ذو قدرة عظيمة، حتى وهو مراوغ».

بغثة ارتعدت الأرجاء بدوي انفجار عالٍ، ليرى الاثنان بخار الماء المتطاير من مكان ليس ببعيد، ومن دون تفكير انطلقا إلى هناك علماً أن باقي المجموعة توجد في تلك المنطقة.

بينما كان أريو وإلهاب يتسابقان، وفيما هم الآخر بالقفز، شعرن لبيّن بوجود أحدهم أسفل الشلال ينتظر للهجوم عليهم، هاتفة: «إلهاب احذر في الأسفل...».

---

١ - ملك الجان.

إلا أن صوتها لم يصل إليه حيث إنه قفز، عدا أن أريو سمع تحذيرها، لا يعلم ماذا يوجد في الأسفل غير أن عليه إنقاذ إيلهاب منه، لذلك حرك الماء ليُشكل كرة مائية أحاطت برفيقه، ثم دوى صوت انفجار، تصاعد بخار الماء، وتبعثر الشلال، وبما أن أريو هو الآخر كان على مشارف القفز، أوقف ذاته من السقوط عبر منصة مائية طافت في الهواء، إلا أن بخار الماء منعه من رؤية مصير إيلهاب، وقبل أن ينقشع البخار توهج من بين الأبخرة وهج لهيب أزرق، متجهاً صوب أريو، إلا أن جسده أُنتِشِل ليحلق في الهواء، رفع عينيه ليجد أن إيلهاب يحلق في الهواء عبر دفع لهيب نار من إحدى يديه قائلاً: «هل أنت بخير؟»

أريو: «أجل، لييين وسكارم؟»

ليأتية الجواب، وجدهما يقفزان من المرتفع نحو الأرض، فجأة انعطف إيلهاب بسرعة ليتفادى لهيباً آخر، ثم من الأسفل علا صوت فرقة سياط، ومن الأرض تعالت حبال نباتات غليظة مندفعة صوب إيلهاب وأريو القائِل: «أفلتني».

ليفعل إيلهاب فوراً، مستخدماً كلتا يديه في توجيه اللهب نحو الحبال الغليظة ليحرقها.

في الأرض، وقف كل لييين وسكارم وجهاً لوجه مع ثلاثة من الجان

المهجن، ورابعهم هو يوكيم الذي ميزاه من وشوم جسده، بأزهار  
الخربوق البيضاء<sup>(١)</sup>، جسد تلون بين الأخضر والأزرق، بعين  
خضراوين حملتا النجوم فيهما، وشعر تلون بلون البحر، ومن ظهره برز  
جناحان ورقيان تلونا بالأبيض<sup>(٢)</sup>، دون مقدمات بدأ النزال، فعل ما  
يبدو الجان المهجن عدواني للغاية. أخرجت ليبين من ذراعيها سوطين  
ورقيين، وفرقتهما في الهواء، بينما أخرج سكارم من جسده المدرع  
استعداداً للقتال، حيث إن ثلاثة منهم اتجهوا نحوهما بينما يوكيم يطلق  
اللهيب في الهواء ثم أخرج من الأرض حبال نباتات غليظة ومجدولة،  
ارتفعت للسماء حيث أربو وإلهاب، أحد الجان تحرك صوب ليبين  
التي هبات نفسها بضخ الجلنار في جسدها وألصقت شيئاً منه على  
جسد سكارم قبل أن ينفصلا للمواجهة، حيث إن زهرة الحواشي لديه  
ليست بمثل قوة الجلنار لديها، الجان الذي أقبل عليها صنع من لهيه  
البنفسجي مغالب برزت من أصابعه ملوحاً بها نحوها لتفادها قافزة  
للاعلى ثم حركت سوطيها مصيبة ظهر غريمها، الذي تأوه المأ لينفت  
من فمه ناراً عليها، إلا أنها حمت ذاتها بصنع جدار ترابي أطفأ النار قبل



-٢-



-١-

أن تظالها، من خلف ليبن أتى صوت زججرة، لتعلم أن سكارم يتهاى  
لتغير هيته.

سكارم كان يواجه خصمين في الآن ذاته، وكلاهما سريع للغاية، من  
رشمها علم ماذا يكونان، الذكر منها زهرة السوسن السامة، أما الأنثى  
فهي أو كالبتوس<sup>(١)</sup>، لعلها ليست سامة لكنها تملك جسداً تغطي بلحاء  
الشجر الصلب، فلم تؤذها أي هجمة يشنها، خصائص الـ أو كالبتوس  
لديها تجعلها منيعة من سمه، بالنسبة لخصمه الآخر، فقد جعل بتلات  
السوسن لديه تتطير موجهاً إياها نحو سكارم الذي حاول تفاديها، إلا  
أن عددها كبير للغاية، وهجمات الخصم الآخر تمنعه من التركيز على مكان  
البتلات، وعندما تشتت تركيزه أخطأ في حركته لتقع عليه بتلة واحدة،  
وما أن لمسته حتى اشتعلت نارٌ حمراء أحرقته، ليطفئها سكارم بالتراب،  
علم أنه لا يمكنه المواصلة هكذا، لذلك بدأ بتغير هيته، ليصبح أسرع  
مخلوق حي، لعل هذا المخلوق ليس بسرعة الجان أو الين، عدا أنه تعلم  
إضافة سرعة هذا المخلوق مع سرعة الين وبهذا فلا يوجد مخلوق قادر  
على مجابهته.



هبط أريو ليرى ليين تواجه جاثاً مهجناً، كان الجان يتحرك بسرعة من حولها حتى إنه صنع حلقة نارية محتجزاً ليين داخلها، فرع أريو وحرك ماء الشلال موجهاً إياه نحو النار ليطفئها، إلا أن ليين نهرته: «لا تفعل! أستطيع تدبر أمري، اذهب لـ سكارم فهو يواجه خصمين».

نظر أريو إليها ليجدها هادئة فعلم أنه سيعيق طريقها لذلك اتجه حيث الآخر يقاتل، وهناك وجد هجينين من الجان، مصابين بجروح عميقة وكبيرة في جسديهما، ويبدوان فزعين، أعينهما تنظر في كل الاتجاهات كما لو كانا ينتظران الموت، ومن حيث لا يعلم قُطعت قدم أحدهما، ليصرخ ألماً، لم يرَ أريو حتى متى أو كيف قُطعت، ثم هب بالقرب منه تيار هواء قوي وسريع، لكنه منخفض قريب للأرض، لتبعثر أوراق الأشجار التي غطت الأرض ليتبع أريو تبعثرها، فيجد حزاماً ذهبي اللون يتحرك فوقها باندفاع كبير، ويبدو أن الهجينين لاحظا ذلك ليبدأ بإرسال شرائط نارية حيث الحزام، عدا أن نارهما لم تصب الحزام الذي كان أسرع منهما، ثم أصيبت الأثني بخدش كبير على وجهها، شعر أريو بنفسه مصعوقاً وعاجزاً أمام ما يحدث.

كان إيلهاب يصارع خصمه في الأسفل، والذي علم أنه يوكيم، فبدأ يخاطبه قائلاً:

«توقف، نحن لسنا هنا من أجل قتال».

«أنا أعلم أنك تعمل مع أورا، فلا تتحدعني».  
خلق إلهاب باستخدام لحيه الذي أحرق جبال يوكيم الغليظة،  
ليستبدل بها نيرانه الزرقاء المتطائرة نحو إلهاب، ليتفادها مردفاً: «لقد  
تخلت عنها، أنا جندي الآن في جيش يقاومها».  
«وهل هذا الجيش في معاهدة مع زائيل؟ أليس نامار معهم أيضاً؟ إنه  
سلفك، أليس كذلك؟»

«ما أن قال قوله حتى وجد نصلاً حاداً على عنقه يكاد يغرز في حنجرته،  
وصوت مشؤوم من خلفه يقول: «بلى أنا سلفه، ألدبك مشكلة في هذا؟»  
ثم إذا بشلال الماء كله يتبعثر متهاوياً فوق اللهب المشتعل ليعم البخار  
الأرجاء، نظريوكيم ليحده بنّاء مائتاً من جيل الصفوة، الذي قال: «أوقفوا  
هذا حالاً، لسنّا هنا للقتال».

ثم تعالى صوت صرخة لييين.

أطفأت لييين حلقة النار حولها باستخدام جدار ترابي، دفعت كمية  
كبيرة من التراب حولها، ثم حركته كالموج الذي تعالى للسماء ليهوي  
على خصمها الذي بدأ بالهروب، عدا أن لييين ثبتت قدميه في الأرض  
دون اتباعه، ليسقط التراب عليه حاجزاً إياه داخله، إلا أنها تركت له  
ثغرة ليتنفس منها، حاول المهجين إشعال ناره إلا أن التراب أطفأه قبل

أن يشتعل، تركته لبيّن متجهة حيث أريو وسكارم الذي ظلت تسبح  
زجرته لوقت طويل، أطول مما يجب، لدى وصولها وجدت ضحلاً  
سكارم عميقين، بينما أريو يقف حيث هو.

ليين: «أخبرتكَ أن تساعد سكارم».

أريو: «كيف أساعده وأنا لا أراه؟»

ليين: «امزج ماءك بترابي، وحركه على وقعي».

فعل أريو دون نقاش، للحظات قليلة ظل الطين في الهواء، حتى قالت

ليين: «الآن»

تحركت الكتلة الطينية لتصيب الحزام الذهبي، ليسقط أرضاً مظهراً  
فهذاً متخبطاً على الأرض، ذا عينين ذهبيتين، ووشم زهرة الحواشي  
والهدرانج، أصيب أريو بالحيرة مما رأى، إلا أن الفهد نظر إليهما مزجراً  
حينها قالت ليين:

«سكارم، هذا يكفي لا يمكنك استخدام هذه الهيئة مدة أطول»

«هذا سكارم؟»

نظر الفهد إليهما متمعناً فيهما كمن يحاول معرفة من يقف أمامه، ثم  
وقف على قدميه الخلفيتين مستعيداً هيئة المخلط سكارم الذي بدا عليه  
الإعياء، الآن فقه أريو ماذا يعني بالين المخلط الوحشي، علم أن المخلط

يملك فؤاداً آخر داخله، عدا أنه لم يعلم أنه كان ملكاً لفهد، أو أن سكارم يتحول لوحش تماماً بهذه الهيئة، حتى أنه لم يميزه في بادئ الأمر. ثم شهقت ليبن، نظر إليها كل من أريو وسكارم ليريا أن خصمها حرر نفسه مصياً إياها بثقب نازف في جانبها الأيسر، دافعاً بالسهم فيها، هرع أريو لخصمها قاطعاً ذراعه من كتفه باستخدام سيفه، ثم انتزع الشوكة التي غرزت في جسد ليبن التي سقطت أرضاً تصرخ رعباً كما لو أنها رأت دعر الكون كله بتشكيل أمامها في هيئة واحدة، أحاطها أريو بلذراعيه، فيما ضحك النيلوفر في جسدها، ليكون سكارم معه في لحظة واحدة يعاين إصابتها، صرت صراخها مزق فؤاد أريو العاجز، كما أن هذا الصوت ذاته جعل سيون يكون عندهم في لمح البصر، بينما ظل نامار وإلهاب حيث هما.

سيون: «ما بالها؟ ماذا أصابها؟»

أريو: «افعلا شيئاً، أنقذاها».

نظر سكارم نحو عدو ليبن الذي كان أرضاً يتأوه من ألم قطع ذراعه وتبين له أنه خريق كريبه الرائحة سام<sup>(١)</sup>، لقد أصابها بسم يسبب الهذيان. ظلت ليبن تصرخ وتتخبط، بينما استمر أريو في تقديم النيلوفر لها فيما



ثبتها سيون أرضاً كي لا تؤذي جسدها الذي أصيب بالكثير من الخدوش  
إثر تخبطه العنيف.

سكارم: «النيلوفر لن يفيد، إنه سم هاذ».

سيون: «لا شيء يفيد مع هذا النوع من السموم».

أريو: «افعل شيئاً إذاً، أنا لن أخسرها».

سكارم: «توقف عن ضخ النيلوفر فيها، أعتذر لبيين هذا سيؤلك  
كثيراً لكنه سينقذ حياتك».

قال هذا ثم ضخ الهدرانج في جسدها، حينها تغيرت صرخاتها من  
ذعر لآلم، ثم توقفت عن الصراخ والحركة تماماً، لتخر جثة هامدة، ارتعب  
أريو من مشهدها وهي جثة لا تتحرك بين ذراعيه، أمسك سكارم من  
عنقه صارخاً عليه:

«ماذا فعلت؟ لقد قتلتها».

سكارم: «لم أقتلها لقد أنقذت حياتها، انظر هي تتنفس».

نظر أريو إليها، ليجد أنها تتنفس لكن بالكاد، كما لو أنها تحافظ على  
كل نفس تأخذه.

سكارم: «بيين لديها مقاومة من شُمي حيث إنها نجت منه سابقاً،  
لكن السم الآخر لا يملك هذه المقاومة، لذلك سيقوم الهدرانج بتقليل

أخطار سم الخربوق، بهذه الطريقة لن يكون بالخطر ذاته أو الأذى نفسه، لكن هذا سيأخذ بعض الوقت لا بد لها أن تقاوم قليلاً.

بدأ سكارم بالترنح مردفاً: «أريو، في هذه الحالة قد تكون لييين معرضة للانجراف، كن حذراً وابق معها، أنا لن أستطيع الاستيقاظ لبعض الوقت فقد استهلكت الكثير من قوتي أثناء التحول». انتهى من قوله ثم فقد وعيه.

في الطرف الآخر، ما يزال يوكيم تحت رحمة منجل نامار الذي يكاد يسلبه حياته: «إن كنت تنوي أخذي لمملكة الجان فلا تضع وقتك، فأنا لن أعمل معهم أبداً».

نامار: «مَنْ مِنْ والديك هو الجان؟»

يوكيم: «ما شأنك؟»

«أحاول أن أكون لطيفاً يا فتى، فأجب».

«والدي».

«هل هي من عشيرة يافد؟»

«أجل»

«قريتي زمارتا كانت من العشيرة ذاتها، هذا يجعلك أنت وإيلهاب نسيين بطريقة ما، واحتراماً لزمارتا وعشيرتها فسأبعد منجلي، لكنك



لن تهاجم أو تهرب، عوضاً عن هذا سوف تستمع لحديثنا، هل كلام واضح؟»

يوكيم: «حسناً، لكنني أرغب برؤية رفقائي الذين قدموا معي».

«ليكن إذاً، فأنا أيضاً أرغب برؤية بعثتي».

أطلق نامار سراح يوكيم، الذي التزم بكلمته ولم يهرب، واتجه بهلور حيث رفاقه، ليرتعد ذعراً من مشهد أجسادهم

الممزقة، فيصرخ على إيلهاب: «ألم تقل إنكم لستم هنا للقتال، فلماذا أصدقائي ممزقون هكذا؟»

إيلهاب: «أنتم من بادر بالهجوم، أكنت تتوقع أن نسمح لكم بإيذائنا دون مقاومة؟ كما أن الخربوق لديك قادر على مساعدتهم لإنتاج أطراف جديدة فلا تبالغ».

اتجه يوكيم نحو رفاقه الملقين على الأرض، أطلق من جسده حبلاً تنتهي بأشواك ثم غرزها في أجسادهم، وضخ قليلاً جداً من السم فيها، لتبدأ أطرافهم تتكون مجدداً من حيث قُطعت. توجه نامار نحو سيون، حيث وجد كلاً من ليين وسكارم فاقد الوعي، ليسأل: «ماذا حدث؟»

سيون: «عليك أنت وإيلهاب الذهاب إلى حيث الجان المهجن وحدكما، وأنا سأبقى مع أريو لأعتني بهذين الاثنين».

نامار: «لقد فقدنا الوعي فحسب، يمكننا حملهما إلى حيث المهجنا».

«لا يمكننا هذا، استمع لي».

أخبر سيون، نامار بما حدث وأن عليهما إخفاء قدرات ليين وهويتها لذلك لا بد من إقناعها بعيداً عن الأعين في حال أنها انجرفت من غير وعي منها، فلا ينبغي لأحد رؤية كيف تتغير هيتها، ليتفقا أن هذا هو الحل الأمثل. انطلق نامار مع إلهاب حيث المهجنا من الجان، بينما حمل أريو وسيون، ليين وسكارم حيث لا يراهما أحد.

قاد يوكيم نامار وإلهاب حيث نخباً المهجنا، أخذتهم الرحلة نحو قمة جبلية مسطحة، أسفل منها يقع وادٍ مليء بالأشجار، أحيط من كل مكان بالجبال فبدا معزولاً عن باقي الأرض كما لو أنه قطعة أرض وحيدة ضئيلة بين العماقة، مقابل الجبل الذي وقفوا عليه، وجد جبل آخر ذو قمم مُحدبة، ومن إحدى قممه تساقط أعظم وأكبر شلال في المنطقة<sup>(١)</sup>، عندما رآه إلهاب جَبُنَ، وعلم أنه ما كان ليتراهن مع أريو على القفز لو أن هذا الشلال هو ما سيقفزون من فوقه، إلا أن الواقع قدم له شيئاً أكثر رهبة، عندما أخبرهم يوكيم بوجود القفز من قمة الجبل الذي



هم عليه نحو الوادي نظر إيلهاب، ليجد أنهم سيقفزون من هاية، لقد كان الجبل عمودياً كما لو أنه جدار قائم، لم يمتلك منحدرات أو أي شيء يخفف سقوطهم، إنها قفزة واحدة سحيقة حتى الوادي، عدا أنه لم يمتلك الوقت للتفكير، حيث قفز يوكيم ومن معه، يتبعهم نامار، فلم يستطع إيلهاب إلا أن يجد شجاعته للقفز أيضاً. عصفت الرياح قوية في الوادي، ليتلاشى خوف إيلهاب إلى شعور بالحياة، من خيوط الشمس التي انبثقت من بين الغيوم لتضرب الأرض بعشوائية جميلة، حتى قم الأشجار بألوانها الحمراء التي تغيرت منبهة بتغيير الفصول بدت جميلة، شعر إيلهاب كمن يرى العالم لأول مرة.

بضع ساعات أخرى مضت حتى وصلوا حيث يبتغون، في الحقيقة نامار لم يرد الاستعجال في هذه الرحلة لسبب واحد، لقد أراد أن يشغل المهجئاء به وبإيلهاب لأطول وقت ممكن، فمن الأسلم منح سيون وأريو الوقت الكافي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في حال خرجت قوة ليين عن السيطرة.

أنشأ المهجئاء لأنفسهم قرية بين أشجار الغابة، بدت صغيرة وحيدة، ما أن رأى المهجئاء نامار يلج قريتهم حتى ارتعدوا على أقدامهم، مهئين أنفسهم للدفاع عن أرواحهم، شعر نامار بابتسامة ترتسم على ثغره المخفى، إلا أن أنيابه ظهرت، مما جعل الجميع يتراجعون للخلف قليلاً

وهم يرتعدون، حينها لكزه إيلهاب بهدوء هامساً: «أخف أنيابك، فلا نريدهم أن يهربوا».

نامار: «هذا إثبات على أبي عظيم، عليك أن تكون فخوراً بهذا».

إيلهاب: «أجل أنت عظيم، الآن أخف أنيابك، قبل أن يفروا». سبق أن تعلم أن أفضل طريقة للتعامل مع سلفه هي مجازاة غروره فحسب.

«يوكيم، لماذا تحضر خادمي أعدائنا هنا، أحدهم...».

نامار: «خادمين؟! أنتجرو على قول هذا؟»

«امدؤوا، غرضنا هو عقد تحالف معكم وليس الإغارة عليكم»

قاطع إيلهاب نامار، فلم يرغب باحتدام الموقف، كما أن سيون نبأه بأن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث.

«نامار يملك الكثير من الكبرياء لذلك إن شعرت أنه سيفتعل المشكلات فأوقفه، وتول أنت زمام الأمور». هذا ما أخبره به سيون حين افترقوا.

«تريدون أن تكونوا حلفاء لنا، وقد قام أصدقاؤكما بتمزيقنا إرباً لولم يكن يوكيم معنا لمتنا».

إيلهاب: «مجدداً، أنتم من بدأ الهجوم».



نامار: «لن أضيع وقتي بالتبرير لكم، لذلك استمعوا جيداً: أتم تعلمون بوجود أورا كما أتباعها، والآن أخبركم أن لديها جيشاً لا يرحم ليس هذا فقط، بل إن لديها حلفاء من بين الماء، حين تشتعل الحرب، وسوف تتأجج بلا محالة، أعتقدون أن هنالك أرضاً ستسببكم؟ أنكم قادرون على الهروب منها ومن بطشها؟ لذلك نحن قدمنا لكم بالحياة، قاتلوا معنا لتنعموا بحياة بعيداً عن الخوف والحرب».

يوكيم: «سمعتهم قولهم وغايتهم، لا أخبركم أن توافقوا على القتال أو الحرب فأنا أيضاً لم أوافق على شيء بعد، إلا أن لدي الكثير من التساؤلات، كما أريد المزيد من الضمانات، لذلك رفاقي نحن في هذا معاً، بالرغم من أنكم نصبتموني قائداً لكم، إلا أنني لا أرغمكم على شيء تكرهونه، أرجو منكم منح حديثهما مكاناً في وجدانكم كما عقولكم، فإن كان ما يقولانه حقيقياً، فلا مفر من الحرب».

نظر يوكيم نحو الهجناء حوله، منهم من على الأرض وبعضهم على الأشجار، حينها أومؤوا برؤوسهم بالموافقة، فاقتردهم يوكيم لمركز القرية الذي تتوسطه نار كبيرة حمراء، ومن حولها شعلات أضواءت بلهيب نيران تلونت بلون كل عشيرة، حيث امتازت عشائر الجان باختلاف ألوان لهيها؛ حول النار التفوا لتبدأ الحوارات المحملة بالكثير من التساؤلات، لضمان حياتهم كما غدهم.

يوكيم: «أنتم تظنون ترددون أنكم حلفاء لنا، فمن أنتم بالتحديد؟  
هل تبعون ملك الجان زائيل؟»

نامار: «نحن لا تتبع زائيل، لكننا حلفاء معاً في هذه الحرب». «الست جندياً لديهم؟» سأل أحدهم.

نامار: «المدة من الوقت كنت كذلك، وذلك لأسبابي الخاصة، وزائيل يعلمها جيداً».

«إذا أنت لا تطلب منا العمل لديه».

إيلهاب: «أنتم لن تعملوا تحت إمرته، بل ستكونون حلفاء معه في هذه الحرب القادمة».

«ثم ماذا بعد ذلك؟ لنفترض أننا انتصرنا على أوراء، لنفترض بقاءنا على قيد الحياة، ماذا يتبع ذلك من زائيل؟ هل سيطلب منا تقديم الولاء له أو يقاتلنا هو الآخر؟»

نامار: «لا أعاهدكم على شيء، لا أعلم ما يخطط له زائيل، أو ما يحمله الغد لنا جميعاً، عدا أن ما أعلمه هو التالي: إن لم نوحّد قوانا فلا تساقولات عن الغد، لأنه لا غد لهذه الأرض أو لأي مخلوق لا يتبع أوراء، طوعاً أو كرهاً».

إيلهاب: «أنتم حاقدون على زائيل لأنه استغل ذويكم الذين قتلوا في

حربه، أو لأنه لم ينتقم لموتهم من الجان، لكن أورا شر من نوع آخر، تقرا بي فلقد كنت تحت سحرها لوقت طويل، أعلم ما هذه المخلوقة قادرة على فعله، ما هي مستعدة لفعله أسوأ مما قد يفعله بكم زائيل، إن انتصرت أورا فسيكون الموت رحمة تمنونها ولن تحصلوا عليها مهما رجوتم.

يوكيم: «ألم يقتل الجان والدتك؟ فلماذا توافق على التحالف معهم؟ حتى إن كانت أورا شرّاً، ألم الاستغلال شعور سيئ».

تقلق نامار في مكانه من سؤال يوكيم حتى أن دخانه تبعثر قليلاً، وبالرغم من أن إيلهاب لم يرغب التطرق لهذا الحديث، لأن ألمه ما زال حديثاً، ولكن لو ساهم هذا في حصولهم على حلفاء فلا مانع من التطرق لهذا الحوار، في نهاية الأمر عليه أن يكفر عن ذنبه. حدثهم إيلهاب عما حدث، عما رأى هناك على جزيرة أورا، الأمور التي اضطر إلى القيام بها ليثبت ولائه، كل كلمة حكاهما أفزعتهما، زعزعت راحتهم، ولعل حديثه يُقَضُّ مضجعهم لبضع ليالٍ قادمة، لكنه الواقع المرير الذي لا إنكار له ولا مفر منه، هو ما يقاتلون ضد وقوعه.

يوكيم: «هذه وقائع أظن بكثير مما ظننا، إن صدق قولك، فلموتنا مقاتلين خير من حياة نُستعبد فيها، ليس هذا فحسب، أن تسلب أجسادنا أو أفئدتنا من أجل منع أورا الحياة، من أجل إنتاج المزيد من البين، هذا مصير أرغب أن أفقدها، ولكن أرجو منحنا بعض الوقت حتى نقرر مصيرنا، لنرى أي الشرين أهون لعدنا».

خلق نامار مبتعداً بهدوء يتبعه إيلهاب رغبة منها بمنح الهجناء  
ساحة للحوار والنقاش، لاتخاذ قرار مصيري كهذا. بين أشجار الغابات  
شفا طريقهما دون حديث، كلاهما مثقلٌ من قرارات الماضي، كلاهما يعلم  
جيداً ما يصمتان عنه، ما يقودان إليه هذه المخلوقات، من دون ضمان لما  
قد يفعله زائيل بعد الحرب، وأفضل من يعلم تَقَلُّبُ وعوده هو نامار،  
عدا كما ذكر يوكيم «أي الشرين أهون».

ونامار يعلم أيها أهون كما يفعل إيلهاب، في نهاية المطاف إن انتهى  
التحالف مع زائيل بخلاف بين الطرفين، فإن الحرب ثم الموت هو مآل  
الهجناء، أما إن حكمت أورا الأرض فإن ما ينتظرهم هو عذاب بلا نهاية،  
ولا يالا شاهد على هذا. توقف نامار عند مصب نهر جارٍ، بينما انحنى  
عليه إيلهاب يروي عطشه قائلاً بعدها: «ما بالك صامتاً؟»

«لم يكن من عادتي القلق، لكنني كذلك الآن».

«من زائيل؟»

«نحن نفقدهم للتحالف معنا، للقتال في صفنا، عندما تنتهي الحرب،  
ماذا سيكون مصيرهم مع زائيل؟ هل سيتركهم يهيمنون في الأرض  
بحرية؟ أسيطلب مني الالتزام بعهدي له وقتلهم؟ في الماضي ما كنت  
لأطرف بعيني وأنا أقتل أحدهم، لكن الآن أخشى عليهم مني. من  
زائيل، وما أقودهم إليه».

«لأنك ترغب بحمايتي فسوف تمثل لأوامر زائيل إن أمر بقتلهم؟»  
علم نامار أنه تطرق للحديث في أمر ما كان يجب عليه أن يذكره قائلاً:  
«لا تصغ الأمر على هذا النحو، هو ليس ذنبك».

إيلهاب: «أعلم، كما أنه ليس ذنبك أيضاً، لقد قرّرت التوقف عن لوم نفسي على قرارات غيري، بالرغم من شكري لتضحياتك، إلا أنني لن أسع لك أن تستمر في تقديم حياتك لزائيل أو باسيليا<sup>(١)</sup>، سأحميك كما حميتي، وعندما يحين الوقت سنحمي حلفاءنا أيضاً، لذلك لا تفكر بأمر غد بعد وتبعد نفسك عن الهدف الذي نصبو إليه، لا نعلم متى تقوم الحرب، لعلها غداً أو بعد آلاف الأعوام، وحتى ذلك الحين، حتى نتصر، ونكون أحراراً من شر أورا حينها فقط سنفكر بطريقة لنحرر ذاتنا من عهد زائيل».

لم يجد نامار قولاً يقوله بعد هذا، امتلاً فؤاده فخراً بنسله هذا، حقيقة أنه يفكر بتحريره وإنقاذه من عهده، منحه سعادة افتقدها، لأول مرة منذ أمد بعيد شعر نامار في أعماق روحه الموحشة بأنه ليس وحيداً، بأن لديه من يسند ظهره عليه، بالرغم من أنه يثق بكل فرد من بعثته وغيرهم ممن بقوا في أثران، إلا أن هذا الشعور الذي منحه إياه إيلهاب كان شيئاً مختلفاً، كمن يجد شربة ماء تعيد له رمق الحياة في آخر لحظاتها، شعور بالنجاة من

الهوة المظلمة والفارغة التي تهوي فيها روح نامار منذ ألفيات لا تنتهي،  
ليقول جملة واحدة لا غير: «حقاً أنت انبعثت حي لوالدك».

مضت ليلة أولى منذ حديثهما مع المهجاء، وحتى الآن لم يقدّم إليهم  
يوكيم بقرارهم، في تلك الأثناء التزم نامار وإيلهاب مكانهما حماية لرفاقهما،  
وجلّ ما فعلاه هو التدريب، أثناء وجودهم في أثران درب نامار نسله على  
استخدام النار للتخليق، حيث إنه استلهم الفكرة من إيلهاب ذاته أثناء  
قتالها على الأرض الجليدية، حين رآه يخلق في الهواء بفعل اللهب من يديه،  
عدا أن إيلهاب ذاته لا يتذكر فعله هذا، فهو الآخر لم يتدرب على القيام به،  
وحيث إنه من النادر وجود جان هجين بأجنحة فقليل منهم يخلقون، عدا  
أن نامار يعلم أفضلية السماء في الهجوم، لذلك جعل إيلهاب يستغل لمييه  
في الوصول للسماء، بهذه الطريقة يحصل على أمرين في الوقت ذاته، التدريب  
على استعمال النار بدقة والحصول على الأفضلية في الميدان. بعد ليلتين أقبل  
إليهما يوكيم بمفرده، آخذاً مكاناً له معهما حول النار، استطاع كل من نامار  
وإيلهاب رؤية أن حقيقة ما قيل كما وزر القرار الذي عليه اتخاذ بنهكاته  
نعتياً، إلا أن إطالة الأمر ليست في مصلحة أحد فهم يقبلون على اليوم  
الثالث، وما زال هنالك الكثير من الأراضي التي عليهم زيارتها.

يوكيم: «إيلهاب، هل يعقل أن ذويتنا الذين فقدناهم قتلوا على يدي  
أورا؟»

إلهاب: «لا أستطيع الجزم، عدا أي في هذه المرحلة لن أستبعد أي شيء منها».

يوكيم: «أتعلم ما يؤرقني أكثر من أي شيء؟ ما الذعر الذي يتابني؟ هو الاستغلال، أن أمسي مجرد قطعة يتم تحريكها كما يرغب الآخرون، أن أترك للموت بعد أن قدمت كل حياتي لغيري، كما حدث لوالدي، أنت تعلم أفضل من أي مخلوق ما حدث لذوي المهجئات منا، والداي قاتلاني جيش زائيل مع لا يالا، وبعد انتهاء الحرب وفي يوم ما، قُتلت والدتي على يد إحدى عشائر الجان إلا أن زائيل رفض معاقبتهم ووافق على إظهار الرحمة لهم في مقابل قسمهم له على الولاء، والآن أحدهم يعمل قائداً لجيشه، أما والدي فقد تلاشى ذات يوم كما حدث لوالدتك، والآن بعد ما قصصه علي أعتقد أن نهايته شابهت نهاية لا يالا أيضاً، استُخدم قلبه لتزويد أورا بالحياة، يا لها من نهاية! كما لو أن كل مخاوفي باتت واقعية في طرفة عين، أولاً علي أن أقاتل في الجبهة ذاتها مع زائيل، ثانياً؛ أن أترككم تستغلوني والمهجئات من أجل النجاة، في أمل أن لا يدير زائيل ظهره لنا، ثالثاً؛ بِن الماء الذي حذرني منه والدي بات يعمل مع أورا، يا للقد القاسي! لكن هنالك أمر واحد أتيقن منه، سأختار الشر الذي أعلمه، سأختار القتال معكم، لا أعلم قرار باقي المهجئات ما زال عدد منهم مترددين ويخشون مخططات باسيلييا، إلا أن غداً هو آخر موعد لهم، معهم أو لا سأقاتل، كل ورقة شجرة ستؤثر في نتيجة المعركة النهائية».

نامار: «أنت تعجبني يا فتى، حقيقة أنك تعلم كل شيء، وتعي ما يحمله لك الغد، بالرغم من هذا أنت تفضل القتال على الانسحاب، الموت بشرف عوضاً عن مزيد من الوقت في حياة ذليلة، أنت حقاً من عشيرة يافد». شعر نامار بشيء من الحمل على فواده يزاح، يوكيم يعلم تماماً ما هو مُقَدِّمٌ عليه، لِيختار القتال بنفسه، وبهذا وزرهم لم يعد عليه، لعل إيلهاب يحق لكل شيء أوانه.

يوكيم: «إنه لفخر لي أن أحظى بشهادة كهذه من العظيم نامار».

نامار: «لدي تساؤل، عندما قلت إن عشيرة من الجان قتلت والدتك، وإن أحدهم هو قائد جيش المملكة، أتقصد زاديقي<sup>(١)</sup> من عشيرة نيشا؟»

«أجل»

«هذا مثير للاهتمام حقاً».

إيلهاب: «لماذا؟»

«لا أعلم بعد، لكنني أعلم أن أمراً مشؤوماً سيصدر منه، مخلوق مثله لا يتغير».

قيل غروب شمس اليوم الثالث أقبل يوكيم حيث إيلهاب ونامار يتبعه ألفان من المهجاء، قائلاً: «نحن حلفاؤكم، أما من تبقى فقررُوا

---

١- قائد جيوش مملكة الجان باسيلييا والذي تقاتل مع نامار فور وصوله للمملكة.

التخلف هنا، والمهرب في جحور الجبال خوفاً من الموت، بالرغم من أعدادنا إلا أنكم ستجدون فينا قوة وعضداً لا يستهان بها، سنقاتل مدحى آخر رمق في أرواحنا».

شعر نامار وإلهاب بفخر شديد بإنجازهما، هذه الحرب لعل ينتصرون فيها، بل إن كانت الخسارة هي قدرهم فَلْيَنْتَمِ الموت هو حلفاء مثل حلفائهم.

إلهاب: «لنحي معاً، ولنمُت معاً، هذا قسمنا في مدينة أثران».  
تبسم يوكيم مكرراً القسم مع المهجاء.

مضت أول ليلة ثقيلة على أريو غير قادر على إغماض عينيه أو النوم خوفاً على ليين، ليس فقط من الانجراف، بل من أن يفقدها، في هذه القمة الجبلية الشاهقة قام سيون بصنع ستار من الضباب المحيط بهم وذلك حتى لا يراهم أحد، وإن اخترق مخلوق حيز الضباب هذا فسيشعر به فوراً. لم يعلم النيلوفر ما عليه أن يفعل ليخفف عن ابنه القلق، لم يغمض له جفن منذ يومين، لم يتحرك من مكانه بالقرب من ليين التي ظلت ساكنة، من حين لآخر يرتعش جسدها من برد الليل، أو من فرط الحمى التي انتابتها، أما سكارم فكان كالجثة بلا حياة، لقد كان نومه عميقاً، بطبيعة الحال هو مقاتل، لذلك فإن النوم العميق ليس في مفرداته، لقد شهد سيون هذا،

لطالما نهض المخلط من نومه ما أن اقترب أحد بضع خطوات منه، لقد كان يقطاً حتى في منامه، إلا أن هذا النوم الثقيل دليل كاف على أن تحول البرن الوحشي يدفع أجسادهم لأقصى قدرات التحمل. مع غروب شمس الليلة الثانية، أخذ سيون مكانه بالقرب من أريو مقدماً له شيئاً من الطعام قائلاً: «عليك تناول شيء، لا يمكنك الاستمرار هكذا».

لم يأخذ أريو الطعام وظل صامتاً للمحظات ثم نظر لـ سيون بعينين منهكتين تغلوان من الحياة قائلاً: «هل شعرت بهذا الوصب فيما كانت أمي تخضر بين ذراعيك؟ أشعرت بالعجز كما أشعر به الآن؟ بالذعر يزلزل كل كيائك؟ بفؤادك يتمزق، يحترق كما لو أنك أنت من تفارق الحياة؟»

سيون: «إنه أسوأ مما تصف، أليس كذلك؟ عدا أنك لا تجد إلا هذه الكلمات البسيطة لتصف شيئاً من وصبك، فالحقيقة؛ لا توجد كلمات لما تشعر به، حتى البكاء أو الصراخ، لن يبدأ بإيصال ألمك للرياح التي تتمنى لو أنها تأخذ عذابك بعيداً عنك».

أصاب سيون في كل حرف نطقه، عدا أنه حتى الدموع لا تجد مكانها في عيني أريو المرتعب من كل شيء، لم يعلم أن الرابطة قوية هكذا، أنها أساس السعادة كما هي أركان التعاسة، كيف يمكن له أن يكمل الحياة إن حدث شيء لـ ليين؟

أريو: «كيف تخطيت موت والدتي؟».

نظر سيون للافق الابدع ويعينين ملاهما الحنين اجاب: «لم أنه ليس يوماً، أو حتى ثانية، أشتاق لها مع كل نبض ينبضه فؤادي الذي الشطر الأفضل منه، عدا أني لا أملك الرفاهية لأحزن، أو أسمح للتعب أن تسيطر على حياتي، فلدي أنت لأهتم به، إن كانت هيلما شطر فؤاد فالشطر الآخر منه لك أنت، لأجل غَدِكَ أقاتل أنا، لقد عهدت هيلما بك، وبحياتك، أنت إثبات وجودها، أما أنا فلا أبتغي من هذه الأرض شيئاً، لقد خضت حروبي، وعشت لألقيات لا تحصى، كل ما أربغ به الآن هو منحك مستقبلاً تكون فيه حرّاً من الحروب كما الخوف، حيث تكون حرّاً للعيش كما ترغب، إن قدمت لك هذا فلا يهم عدد الحروب التي أخوضها أو من أدمر في طريقي من أجل هذا، وبعد أن ينتهي كل شيء، حين أعلم أن الأرض حرة من أورا، سأذهب حيث تنتظرنني هيلما فلقد تاقّت روحي إليها».

رأى في عيني سيون قليلاً من الدمع الذي لم يتساقط، إلا أن ما قاله للتو هو أصدق حديث سمعه أريو، عدا أن سماع رغبته باللاحق بوالدته مزقت شيئاً من روحه، لربما يحتل والده مكانة في قلبه وحيزاً من حياته لم يعترف به قبلاً.

أريو: «أشعر بالعجز، بالضعف، لست قادراً على حماية قريتي، لم أتمكن من مساعدة صديق لي، أنا لا أستطيع حماية أحد، ماذا لو فقدتها؟

ماذا لو أني فقدت الجميع بسبب عجزتي؟ ألن أتمكن من حماية الجميع؟  
«لا أستطيع منع موتهم في هذه الحرب؟»

«ليين لن تموت، فما يجعلها مميزة عن غيرها هو ذاته ما سينقذها، ثقب  
بقوة قربتك وتميزها».

وضع سيون ذراعه حول كتف ابنه مردفاً: «دعني أشاركك قليلاً من  
حكمتي، بل هو قانون الحرب والحياة بني، لا يمكنك حماية الجميع، إنها هي  
الحرب ما نحن مقبلون عليها، الجميع يدخلون الحرب متوقعين الموت،  
كلنا نحمل أرواحنا بين أكتفينا فيها، وأنت لست مسؤولاً عن حياة أحد،  
لكل قدره، كما لكل نهايته، لتكن ككهل كبير على فراشك مع من تحب أو  
بقبضة مشتتة من عدوك، لا يهم الطريقة، الجميع سيرحلون، لذلك من  
لم نحم، فهذا لأن نهايتهم أدركتهم، في الحياة أو الحرب، المخلوقات تنفى،  
فلا تحمل نفسك وزراً ليس لك، حيوات المخلوقات ليست لك لحمايتها،  
بل للموت كي يأخذها عندما يحين أجلهم، أنت مخلوق واحد في مواجهة  
الموت الذي لا يتصر عليه أحد، ولا حتى أورا».

«كم أنت سوداوي! ألا يمكنك الحديث عن شيء عدا الموت؟»

انتفض أريو وسيون في مكانهما ليريا أن سكارم قد استعاد وعيه، ليبدأ  
بالسعال متذمراً: «لا بد أني زجرت كثيراً، أشعر وكأن حنجرتي تتمزق».  
هب أريو إليه بالماء قائلاً: «هل أنت بخير؟»

«أشعر كما لو أن أحدهم قضى اليوم كله يضرب جسدي، حقاً  
تخطيت حدودي في التحول».

سيون: «لقد مزقت أجساد وأطراف خصومك وكنت لتستمر لولا  
توقفك لييين».

تحرك سكارم من مضجعه قائلاً: «أنا لم أتسبب بالأذى لأي منكم  
أليس كذلك؟ في العادة لا أتذكر شيئاً أثناء التحول ولا بعده».

أريو: «لا لم تؤذ أيّاً منا، بل لقد أنقذت لييين بتقديم شيء من سُنك  
لها».

نظر سكارم إلى لييين النائمة في الجهة الأخرى من القمة الجبلية سائلاً  
عما حدث، ليحكى له أريو ما فاتته، ليردف المخلط:

«لا تقلق بشأن لييين هي أقوى مما تبدو، لعلها تستيقظ غداً أو بعد  
غد كأقصى تقدير، والآن اسمح لي، بأن أعاود النوم بينما تكملان أنما  
الحراسة».

أعاد سكارم غطاءه عليه مانحاً ظهره لـ أريو وسيون ليغط في النوم  
بسرعة.

بعد أن غربت شمس اليوم الثالث أقبل نamar وإيلهاب حيث البعثة،  
ليجد أن سكارم استعاد وعيه، بينما لييين على حالها ذاته، قص نamar لهم



ما حدث وعن حلفائهم الذين ازدادوا عدداً، رغبوا إبلاغ شاوران بما حدث ليجهز نفسه إلا أنهم قرروا التمهّل ليوم آخر على الأقل، خشوا أن يأسلم عن ابته ولم يجدوا في أنفسهم الجرأة على الكذب أو خيانة أمانته، لذلك سيمنحون الفتاة يوماً إضافياً لتستعيد وعيها، إن لم تفعل فعليهم تحمّل سخط شاوران، جلنار، وسينا.

ليبن تطفو في عالم لم تعرفه، هي بالتأكيد لم تكن تنجرف، لقد كان العالم مُظلمًا، فارغًا، وخاليًا من أي شيء حتى من الضياء، أو الهواء، بالرغم من هذا هي تبصر الفراغ، تتنفس الهواء، ثم انفلق العدم، وبات اللاشيء كؤناً، لتجد ذاتها على الأرض، بل هي كالأرض، عدا أنها لم تكن مثل الغبراء التي تعرفها، لم يحمل سقفها سماء زرقاء، ولا يابسة خضراء، هي خالية من البحار كما الأنهار، بلا حياة مجرد كتلة صخرية جرداء تطفو في فلك مظلم، ثم ظهرت أربعة أطراف فجأة ومن حيث لا تعلم، تغيرت هيئة الأرض لما تعرفه ليبن، حلت فوقها مخلوقات ضخمة لم تميزها، ومن بينها سارت مخلوقات الين متناثرين على كل بقاع الأرض دون مسار يأسرهم ولسبب ما لم يكونوا مثل الين الموجودين الآن، هم مختلفون بطريقة لم تتمكن من تمييزها إلا أنهم بدوا أحراراً. وبين كل هذا الكون وقفت شجرة ضخمة بأوراق ذهبية وفضية، لتعلم أنها أوراء، وأيقنت أن عليها الحرب لا يمكن لها أن تعلم بوجودها، ليصل صوت إليها، إلا أنه لم يصل إلى أذنها،



بل إلى فؤادها كما لو أنه مستقرٌ فيها هامساً لها: «ليست هي، صورةٌ مندثرةٌ عنها، هي من وقفت حيث لا يجب عليها، لم توفِ العهد، وحكمت بما ليس لها فيه حق، لقد طال زمانها، ولا بد لشمسها أن تأفل».

حمل الهمس اللطف فيه كما لو أنه سحيق بعمر الزمان، لتَهَبَّ نسائمُ رياحٍ أزليةٍ تلونت بلون الشمس، لتجد لبيّن الكلمات تخرج من فمها كالهمس: «من أنت؟»

«أنا صوت الرياح وتساقط الأمطار، أنا صوت أحاسيسك، أنا حقول الصيف، وتراقص أوراق الخريف، أنا برد الشتاء، وإزهار الربيع، أنا صوت الماضي المنقوش، مليء بالحزن وعبق الدماء، أنا من تدعوك دائماً، أجيبي ندائي، اتبعيني لا تهابي، أنا صوت الغد، التحدي معي من أجل الأرض، فأنت وريثة للغبراء، واحدة من أصل ثلاثة، بيدكم قدر إنهاء أورا، فلتقدموا أمانتكم إليها».

تطايرت التساؤلات في ذهن لبيّن لكن قبل أن تتمكن من طرح أي سؤال، وجدت عينيها تبصران سماء الليل بنجومها المتناثرة والمتلألئ، وبصوت يشبه الهمس سمعت: «لبيّن؟»

نظرت لتجد أريو يجلس بالقرب منها، بادياً عليه الإعياء، كما المفاجأة والصدمة، وقبل أن تجيب بشيء وجدت يديه الدافئتين الغليظتين تمسكان بكتفها وهما ترتعدان، كمن يقبض على حياته من الابتعاد، ومن ين

أنفاسه اللاهثة تلعشم قائلاً:

«لقد خشيت فقدانك... ظننتك ستتركيني وحيداً... ذعرت لعدم استيقاظك، تعذبت لمرضك، أعتذر لقلة حيلتي، أعتذر عن عدم حمايتك، أنا حقاً...».

لم يجد أربو الكلمات من بين أنفاسه التي استعادها أخيراً، شعر كما لو أنه كان يحبس أنفاسه لوقت طويل، كان يخنق، والآن هو يتنفس مجدداً ليعود الحياة إليه، لتجد دموعه مكانها في عينيه، متساقطة على حجر محبوبته، التي اكتفت بالقول:

«شكراً لاعتنائك بي، أنا هنا الآن» بينما ربت على ظهره الذي كُسر خوفاً عليها.

نفس سيون ونامار الصعداء لدى رؤية ليين بخير، بقدر خوفهما عليها، إلا أن خوفهما من ذوبها كان أكبر، الآن سيتمكنون من إيصال رسالتهم لـ شاوران باطمئنان، أخرج سيون الحجر من أمتعته، مرسلًا الأخبار لأثران عبر تحريك الماء داخل الحجارة، لحظات وأتتهم الإجابة، حيث إن شاوران يتعين بسببنا لتحريك الماء، وذلك لأنها استعارت قدرة ين مائي<sup>(١)</sup>، بهذه الطريقة يكون التواصل من طرفين عوضاً من واحد.

---

١- أزهار المالك التي تخص سينا، هي أزهار طفيلية تستطيع استخدام قدرات النباتات الأخرى والتي تمتصها سينا من الين.

البعثة: «الفان. جان هجين. البحر الشمالي»

أثران: «نتظر».

البعثة: «أورا؟»

أثران: «خطر».

كانت هذه طريقة التواصل بينهم بكلمات أساسية تعطي المعلومات الأساسية فقط، لكنها تكفي للطرفين. على البعثة التحرك مجدداً، لذلك على ليين استخدام قدراتها مجدداً، عدا أن أريو قلق من فعلها هذا خاصة كونها قد كانت على مشارف الموت، إلا أنها أصرت على أداء واجبها، لم ترغب أن تهمل الوقت أو أن تسبب المزيد من التأخير للمجموعة، غير أن سيون ونامار قررا منح البعثة يوماً إضافياً للراحة. عندما أقبل الليل عليهم وبعد أن خلد الجميع للنوم، وفي حين أنه موعد سيون للمراقبة، توجهت ليين إليه.

«سيون، هنالك ما يجب عليّ إخبارك به».

«ماذا؟»

«في نومي رأيت شيئاً ما، لا أعلم ما إن كان هدياناً بسبب السم أم أنه شيء مهم، إلا أنني أعتقد ضرورة إخبارك».

أوما لها سيون لتجلس على مقربة منه، فقصت عليه ما رأت وما سمعت، ليشعر الآخر بالحيرة مثلها.

لين: «ألا تعلم ما يعني أي من هذا؟»

سيون: «لا، والمخلوق الوحيد الذي لديه الأجوبة جميعها قد قتل».

«نادباس»<sup>(١)</sup>؟

«أجل، أرايت صاحب الصوت؟»

«لا»

«ما يقلقني هو ما قيل من وجود ثلاثة أصول لإنهاء أوررا وأنت تحملين أحدها، عدا أننا لا نعلم إن كانت هذه الأصول مخلوقات حية؟ أعداء أم حلفاء؟»

«إنّا حرقها ليس كافياً لإبادتها؟» أمامها هبط نامار الذي آن موعد دورته في المراقبة.

لين: «لا أعلم، لم يُذكر لي أي شيء آخر، غير أن عليّ منحها هذا العنصر الذي لدي».

سيون: «أعتقد أن لينّ المحيط معرفة بهذا».

نامار ساخراً: «وكم هم معروفون بتعاونهم ومودتهم ليمنحونا الإجابة طوعاً، أليس كذلك؟»

---

١- أحد الأفارين المخصصين لنقل رسائل أوررا لكنه انشق عنها ولديه الكثير من الأسرار، كما أنه هو من حرر سينا والجبل الضال من أوررا.

ليين: «لربما يمكنتي الحصول على بعض المعلومات من صاحب الصوت مجدداً، سأحاول خلال الأيام القادمة».

سيون: «سأكون ممتناً لهذا، لكن لا تجهدي نفسك كثيراً».

ليين: «هل سن بقي الأمر سرّاً عن باقي البعثة؟»

نامار: «لعل هذا هو الخيار الحكيم الآن».

ليين: «أنفق معك، وأعلم أنكما قلقان، لكن لسبب ما لا أعلم ما هو، إلا أنني موقنة أن هذه المعلومات لم تمنح لنا لتعجيزنا إنما لمساعدتنا، لإنهاء الأمر مرة واحدة وللأبد».

سيون: «إذا سأئت بحدسك»

نهضت ليين من مقعدها تاركة سيون ونامار معاً، بينما خلدت للنوم.

نامار: «أأست قلقاً؟ أشعر بأن الأمور تزداد تعقيداً».

«أنا قلق، عدا أنني أعتقد أن ليين محقة، هذه الرسالة أتت إلينا لمنحنا طريقة لإنهاء الحرب كما أورا، لإرشادنا للطريق الصحيح».

«ليكن إذاً، سأتحلى ببعض الإيمان أيضاً».

أشرق الشمس واستعدت البعثة للانطلاق نحو موقعهم الجديد، لكن أولاً عليهم تحديده، أحاط سيون القمة الجبلية بضباب كثيف للوقاية، أخذت ليين مكانها مع سكارم وبدأت بالبحث عن البقعة، وقد



كانت مختلفة هذه المرة، فخلال بحثها لم يحذرها سكارم ولا مرة واحدة من الانجراف، كما لو أنها تتحكم بقدرتها بشكل أكبر وأقوى، أخيراً نحت عينيها، واستعادت هبتها قائلة: «وجدت ثلاثة مواقع، لكن طريقنا مخوف بالمخاطر».

سيون: «أخبرتنا».

استبحه جنوبي الشرق، عابرين المحيط، حيث نحن سنكون قريبين من بِن المحيط، لن نعبّر منطقتهم إلا أننا قريبون للغاية، هذه النقطة الأولى».

نامار: «لن نستخدم المحيط إذاً، سأخلق بكم فوق سحابة دخانية من صني فهذا آمن، لا ضرورة لخوض معارك ثانوية».

أريو: «ما النقطة الثانية؟»

«سنعبّر الأرض، مجدداً نحو الجنوب، إلى مرتفعات جبلية، فلا خطر هناك، إلا أن الانتقال إلى المحطة الثالثة يستوجب العبور خلال مسار أور».

سكارم: «هل اقتربت من مسار أور؟ لم أشعرك تنجرفين إلى هناك».

«لم أعبره، أو أقتربت منه، أنا فقط شعرت بوجود مخلوقات هناك».

ليلهاب: «عبور مسار أور فيه خطر كبير علينا».

نامار: «ليس إن تحركنا بسرعة، سبق وأن خضت هذا فلا تقلنا.

سيون: «حسناً إذاً لنخطُ كل خطواتنا بحذر».

ليين: «في المحطة الأولى سنجد بنتاً مهجنين، الثانية، بشرًا مخلدين،

الثالثة فهي مزيج من المخلوقات».

## مهجنون

نحرت البعثة بشكل أسرع هذه المرة، لم يضيعوا الوقت في التوقفات العشوائية، فما هم بمقبلين عليه الآن خطير، لعلهم نجحوا في الحصول على أول حلفاء لهم لكن هذا لا يعني أنه يمكنهم الاحتفال بهذا الإنجاز. المسافة التي تحتم عليهم قطعها للوصول إلى البحر ومنها للمحيط شاسعة، بعد أربعة أيام منهكة وقفوا مقابلة شاطئ البحر، ليصنع لهم سيون قارياً مجدداً، فهم لن يعبروا المحيط الآن، حسب وصف ليين لهم، سيكون عليهم قطع يابستين وبحرين قبل عبور المحيط، وكان هذا من حسن حظهم، فهم لا يريدون تحميل نامار عبء قطع المسافة كلها وهو يخلق بهم، كما أن عبور المحيط يتطلب أن ينطلق بأقصى سرعته، فلا يرغبون إرهاقه في حال اضطروا للقتال. خلال يوم واحد ومع غروب الشمس، وصلوا لأول يابسة لهم، هي أرض شبه جرداء إلا أنها مليئة بالبحيرات المتناثرة على تلالها الجبلية التي لا تنتهي، قرروا تمضية الليلة هنا قبل استئناف الرحلة.

تلك الليلة فشلت ليين مجدداً في محاولتها للتواصل مع الصوت داخلها، بالرغم من إيمانها بأن هذا الصوت حليفهم، إلا أن الفشل التكرار أزعجها، وقد بات هذا جلياً لمن حولها، إلا أن رفقاءها لم يعلموا

سبب هذا، في ما عدا سيون ونامار هي لم تخبر أحداً، ليس لعدم تهم، إنما هو حدسها ينبئها أن تصمت، لعله هو ذاته الأمر الذي يجعلها تخبر أريو بحقيقة مولدها، فحتى الآن قرينها لا يعلم أنها معجزة، كل يعرفه عنها هو أنها مميزة، لعلها خشيت أن يهابها عندما يعلم أنها مخلوقة ما وجب عليه أن يوجد أو ربما لم ترغب أن تُعامل ككثير ثمين من حوف بالتأكد سكارم يحميها إلا أنه يدعها تتحرك وفق هواها، حتى إن نامار وسيون لا يعاملانها كمن يخشون تحطمها من أبسط حركة، إلا أن أريو يخشى تأذيها، أمر تفهمه فهي قريته في نهاية المطاف، بالتأكيد يخشى عليها ويرتعد من فكرة خسارتها، هي أيضاً تشعر بالأمر ذاته نحوه إلا أنها ترغب أن تضيف على خوفه وقلقه المستمر عليها، خاصة بعد الأحداث الأخيرة لقد شعرت بذعره عليها في فؤادها، وهو أمر لا ترجو الشعور به مجدداً.

تلك الليلة لم تجد ليين للنوم مكاناً في عينيها، لذلك قررت التجول في المنطقة قليلاً بين البحيرات التي لا حصر لها، استوقفتها عين مائية راكنة عكست الفضاء عليها، لتجلس على ضفافها واضعة قدميها في المياه الباردة وبهذا عكرت صفو سطحها الفضائي، لتهب الرياح الباردة من حولها محرقة خصلات من شعرها، أغمضت عينيها لستمع بهذا الشعور، وإذا بلحن عذب يتردد بين نسائم الرياح اللطيفة، خشيت ليين أن تفتح

عينيها فتلاشى اللحن، لتُبقي عينيها مغفلتين مستمعة لهذا النغم الذي لا يحمل أي كلمات، هذا اللحن، هذا الصوت إنها الرياح، إنه ذاته الصوت الذي نحدث إليها، هي تعزف لها أغنية الأزمان، وفي مكان داخل روحها عرفت هذا اللحن الذي تراقصت الرياح على وقعه، بالرغم من أن ليين لم تستخدم قدرتها إلا أنها أبصرت محيطها بعيني عقلها، وبهاتين العينين فواتها رأت قطرات الماء في البحيرة تنطير بفعل الرياح مثل قطرات المطر، عدا أنها صعدت للسماء عوضاً عن سقوطها على الأرض، لتبدأ الفطرات بالتراقص في الهواء، في تلك اللحظة شعرت كما لو أنها العالم، شعور غريب بالحرية والتحرر سرى في كيائها، ثم تنبأت بوجود أحد رفقاءها يقترب من حيث هي، لقد كان أريو، إلا أنها لم تستطع التوقف عن الاستماع، لم ترد أن تتوقف، عليها إنهاء هذا اللحن كاملاً إنه يُقربها من صاحبة الصوت التي تبحث عنها، لكن هذا الشعور سُرق منها لحظة تحول الصوت الهامس لصراخ: «ليين! عودي».

لشعر بكيائها يُدفع للخلف عائداً لجسدها الذي لم يتزحزح من مكانه، في اللحظة ذاتها تناثرت الرياح متلاشية، وتساقطت المياه مطراً فوقها، عادت ليين لأرض الواقع محرومة من هذا التحرر الذي شعرت به، لفتتح عينيها على أريو الماكث أمامها بذعر الكون في عينيه.

أريو: «هل أنت بخير؟ هل أصابك أذى؟»

«أنا بخير، لا تفزع».

«كيف لي أن لا أفزع، وقد رأيت هذا؟»

«ماذا رأيت تماماً؟»

«قطرات المياه تطفو فوقك، والرياح نحوم حولك».

«ما الذي يفزعك في هذا إذا؟»

أريو: «لقد كنت تنجرفين».

«لا لم أفعل، لم أستخدم قوتي حتى».

«لماذا أنت غاضبة؟ ألا يحق لي أن أقلق بشأنك أو أخشى عليك؟»

ليين: «يحق لك، لكن لا تفزع على لا شيء. هكذا، ليس وكأن شيئاً سيئاً حدث، فلا تتزعزع على كل كبيرة وصغيرة حولي».

أريو: «ألا تريدبنتي أن أخشى عليك، أن أرغبك بأمان؟»

«ألا تسمع ما أقوله أريو؟ لست أمنعك من هذا، فقط لتقلق على شيء مهم».

«وهل ترغبين في فعل أمر خطير مجدداً؟»

ليين: «أحقاً تطرح هذا السؤال؟ نحن في بعثة نبحث فيها عن حلفاء لنا، الخطر كما قتال الأعداء أمر حتمي، كما أن كل يوم يقربنا أكثر من

الحرب، هي الموت بحد ذاته، لذلك أجل، احتفظ بـ قلقك للأوقات اللازمة، ليس لأنني كنت أغمض عيني.

«أنا حقًا لا أعلم لماذا يغضبك خوفي عليك حتى في الأمور الصغيرة»

«لأنني قضيت حياتي مع عائلة نخشى عليّ من كل شيء حتى إنهم جعلوني أقضي حياتي في عزلة قاتلة، والآن أنا هنا أثبت لهم ولذاتي أنني لست مجرد فتاة رقيقة، أنا هنا أحاول إنقاذ العالم مع أساطير المخلوقات، أقاتل جنباً إلى جنب مع بعثة تحاول توحيد المخلوقات وتحرير الأرض من شر استوطنها، وبخوفك غير المبرر، أشعر وكأنك لا تثق بي أو بما أنا قادرة عليه، حتى في آخر معركة لي قررت أن تتدخل في نزالي لو لم أمنعك، أنا قادرة على التعامل مع المخاطر، فامنحني وقدراتي بعض الثقة، هلا فعلت ذلك؟»

أريو: «أنا أثق بك، لكن من حقّي أن أقلق، ما الذي سيضرّك قلقي؟»  
«لأنني أشعر به، أشعر بـ قلقك عليّ يعتصر فؤادي، وعندما يحدث هذا لا أستطيع التحرك بكامل حريتي، لا أستطيع القتال دون التفكير بما سيميك إن حدث شيء لي، وبهذا لا أمنح كامل تركيزي لما حولي، أنت لا تتراني أعذب قلبك بقلقي عليك، أليس كذلك؟»

«لربما لأنني لا أعني لك مثل ما تعنين لي، لربما لا يحمل فؤادك لي مثل الهيام الذي يحمله وجداني لك».

ما أن قال أريو هذا حتى ندم عليه، إلا أن الضرر قد وقع، لقد رآه الكسرة في عيني لييين مما قاله، وشعر بوجودها يتحطم بخيبة أمل منه. تمنحه عشرته الوقت ليعتذر، فلقد منحته ظهرها راحلة عنه، وهو لم يجد ذاته الشجاعة ليعتذر، بل لعله لم يعلم كيف يعتذر لها، فلم يسبق له أن فعل فيما تبقى من رحلتهم لم يتحدث أي من أريو أو لييين مع بعضها بعضاً، وقد لاحظ الجميع هذا، عدا أن لا أحد سيتدخل ما لم يُطلب منهم، أخيراً آن أوان الانتقال عبر المحيط، ولأجل المزيد من الحرص، قرروا تمضية الليلة على اليابسة بينما يتفقد سيون المحيط من حوله بقدر استطاعته. الأرض التي هم عليها غاية في البرودة، وتناثر الثلج عليها في بقاع مختلفة، أشعل نامار النار للبعثة المتجمدة من البرد، بدت الأجواء ثقيلة للغاية وخاصة أن الجميع يتصرفون بحذر حول أريو ولييين، إلا أن نامار لم يطق صبراً أكثر، لذلك تحدث مع لييين قائلاً:

«أنا لم أدريك منذ وقت طويل، هيا بنا لبعض التدريب».

تبعث لييين نامار لأرض التدريب فهي أيضاً رغبت بمتنفس لغضبها، وكما نامار لم تعد باقي البعثة تتحمل هذا الصمت، لذلك بادر سكارم بالحديث:

«أريو، أيّا يكن ما حدث بينكما عليك المبادرة بالاعتذار، هذه الأجواء خانقة».

«لماذا لا تعتذر هي أولاً؟ ليبين أيضاً أخطأت».

سيون: «أنت حقاً لا تعلم شيئاً، لا يهم ما حدث، أنت من عليه الاعتذار، كما لا تذكر أمامها أنها المخطئة، أو مستدلع الحرب مبكراً».

أريو: «لو تعلم ماذا حدث، لما قلت...».

قاطعه سكارم: «لا يهم ما حدث، سيون محق».

إيلهاب: «أنا أتفق مع أريو لماذا عليه الاعتذار أولاً، إن كانت هي أيضاً مخطئة؟».

سيون: «لأنكما ساذجان، قاعدة واحدة عليكم معرفتها، النساء دائماً على حق، ثقاي، أليس كذلك سكارم؟».

«بل هو محق، لا توجد أنثى ستعتذر عن خطئها أبداً، وفي الحقيقة من النادر أن يكن مخطئات».

أريو: «لقد طلبت مني أن أكف قلقي عليها، كما أخبرتني أنها لا تخشى علي كما أفعل أنا».

سكارم: «وبماذا أجبتها؟».

صمت أريو قليلاً موقناً أن الخطأ سيقع عليه إن أجاب.

إيلهاب: «لعلك المخطئ حقاً، ما دمت تخفي إجابتك».



انفجر أريو قائلاً: «أخبرتُها أنها لا تشعر نحوي كما أفعل أنا، أليس  
أهمها».

طاطاً سكارم رأسه أرضاً متنهداً، بينما صفع إيلهاب أريو على راس  
أما سيون فقال:

«أُعْتَذِرُ بني، لكنك أحمق».

«أعلم هذا، لا داعي لتأكيد الأمر علي، ماذا أفعل الآن؟ لعلها لا تنفر  
لي أو ترغب البقاء معي بعد هذا».

إيلهاب: «هما يقولان لك منذ أمد: اعتذر».

سكارم: «وهذا مجرد شجار الجميع يتشاجرون، لا يعني أنها نهاية  
الرابعة».

سيون: «إنها رابطة لا تنتهي حتى بالموت، فلا تقلق، فقط اطلب  
الصفح منها».

أما بالنسبة لـ لييين ونامار فلم يتحدثا لأن الجان جاهل بهذه الأمور،  
عدا أنه ساعدها للتفيس عن غيظها ولو قليلاً، وعندما عادت للمخيم  
وجدت أريو أمامها ينتظرها، لتجد أن غيظها عاد لها كما لم يذهب، تجبته  
لييين حتى عندما حاول الحديث معها تجاهلته، وحين سطعت شمس  
اليوم التالي، صنع لهم نامار غيمة دخانية هائلة الحجم وأحاطهم بها،

وبأنقى سرعته، تلك التي اكتسبها مؤخراً، انطلق عابراً المحيط، بينما حمل الجميع قلقهم في أفئدتهم، إلا أن سرعته المنقطعة النظير لم تُطِل عليهم اضطرابهم، في أقل من ساعة واحدة هبطوا لتلال خضراء تراقصت الحشائش على جرفها الصخري الذي ضربته أمواج البحر الهائج، ما أن وطئت أقدامهم الأرض أقبلت إليهم أنثى بشرية، أو هكذا بدت، إلا أن عبق البن قد فاح منها، لتعلم المجموعة أنها هجينة، كانت فتاة شابة، بجسد شديد البياض، عينين عكس فيهما لون السماء، وشعر تلون بلهب النار، وعندما أقبلت ابتسمت لهم بشفتين واسعتين كرزيتي اللون قائلة: «مرحباً أنا هانا، بنٌ مهجنة من أم بشرية، أنا زهرة اللبن<sup>(١)</sup>، لقد كنا في انتظار قدومكم إلينا أيها الحلفاء».

سكارم: «من الجيد أن يتم الترحيب بنا، عوضاً عن قتلنا».

لم يرخ أي من نامار أو سيون حذره، عدا أن الفتية في البعثة قد فعلوا.

سيون: «كيف علمتم بقدومنا؟»

«بنٌ يدعى رابولا<sup>(٢)</sup> قدم لنا هذه الأنباء».



<sup>٢</sup>- بنٌ مائي منشق عن قائدهم ميزويا وهو الذي قاد نامار حيث سيون ولاهالا في البحر المتجمد.

إلهاب: «يبدو أن رابولا يتوق للقتال».

نظرت هانا لـ سيون ونامار قائلة: «إنه لشرف عظيم أن أُلهم بأسطوريّ المخلوقات، النيلوفر سيون، وهمس الموت نامار، ما تقوموا الآن، وهذا التعاون هو مصدر إلهام عظيم لكل المخلوقات التي اختبأ لوقت طويل».

نامار: «هل سنظل واقفين هنا أم أنك ستقودين الطريق؟»

لم يحب الجان أن يتم تملقه بأي شكل، بالتأكيد أراد الاحترام، بفرضه، كما أحبّ الذعر في أعين المخلوقات عندما رآته لقد ملاء غرورها إلا أن التملق أمر آخر تماماً، بالنسبة له التملق يعادل استغفاله والتقليل من شأنه، حينها لكزه إلهاب الذي يقف خلفه، كما أن الجميع تزعزعوا في قلق من إغضاب حلفائهم الجدد، عدا أن هذا من خصال نامار عدم المبالاة، وما أكد موقفه هو أن سيون لم يعارض تصرفاته أو ينهره، فهد الآخر لا يجب التعامل مع التصنع المزعج.

هانا: «اعتذر عن الإطالة، لا بد أنكم منهكون من الترحال، كما اعتذر عن فظاظتي عدا أن هذه الأرض مأهولة بعدد كبير من البشر، هنا تقع إمبراطوريات وممالك لهم، ومن أجل سلامة الجميع أرجو أن نخفوا هيئاتكم، إما أن تجعلوها ما يشبه البشر، أو تتردوا ما يخفيها».

أخفت لبيين أزهار الجلنار من على جسدها وبها أنها ترتدي ثياباً للبشر  
فلا مشكلة لديها في الاندماج كذلك الحال بالنسبة لـ أريو، وقدمت لهم  
هانا عباءات سوداء، بقلنسوة لتغطية رؤوسهم، ليرتديها الجميع بمن في  
ذلك سكارم وسيون، اللذان لا يستطيعان تغيير هيتهم، أما بالنسبة لـ  
إلهاب فقد أشعل جسده ناراً سوداء بهذا يختفي على أعين البشر التي لا  
تبصر نيران الجان، أخيراً نامار لن يفعل شيئاً لأنه غير مرئي للبشر.

هانا: «انطلاقاً من هنا، لا يوجد بشر، لذلك يمكننا الانطلاق بسرعة  
إلا أننا سنصادف بعض القرى والمدن في طريقنا، لذلك سنبطئ عندما  
نفعل».

نحركت هانا تتبعها البعثة، ليعبروا هضاباً غنية بمصادر المياه، ليستغل  
سيون هذا، مُلقياً ببذور النيلوفر أثناء تنقله، فهذه أرض لمخلوقات لا  
يعلمون نواياهم بعد، وزرع النيلوفر يمنحه أفضلية المراقبة واستشعار  
ما يحدث، بينما استغل نامار الضباب المتناثر بكثرة والغيوم السوداء  
التي لم تمنح الشمس أملاً بالظهور، ليطلق شيئاً من دخانه مخبئاً بين  
الغيوم التي شابهته باللون، هكذا غطى سيون الأرض، ونامار السماء،  
لكن ما لم يعلمه الاثنان هو أن لبيين تبصر كل شيء، تشعر بالأرض من  
حولهم، منذ تلك الليلة التي سمعت فيها لحن الرياح، تضاعفت قوتها،  
وتفتحت آفاقها بشكل كبير، إلا أنها فضلت الصمت على أن تُعامل

يحذر أو تستبعد من المهمة، كما أنها لم ترغب أن يضحى أحد بجلدها،  
أجلها، يكفي أن يعلم نامار وسيون حملها أحد عناصر تدبير أوراب.  
حاجة لمعرفة شيء آخر.

بالنسبة للبعثة لم تكن هانا سريعة بما فيه الكفاية، فبالمقارنة بهم هي  
تكون بطيئة، حتى أريو شعر بهذا، إلا أنهم تعنوا التباطؤ لدى اقترابهم  
مدينة للبشر، في ما عدا أريو، لم يتعامل أحد من المهجنين مع البشر  
لذلك رؤيتهم كما العبور من مدينتهم كان شعوراً غريباً، مليئاً بالخبرة.  
تختلف هياتهم عن المخلدين، الفرق الوحيد هو امتلاك الآخرين وث  
الأزهار على أجسادهم. أصيبت ليبين بالدھشة من كل ما رآته، رأته  
يضربون جذوع الأشجار عدة مرات حتى يقطعوها بينما هي تسقط  
إسقاط عشرة منها بحركة واحدة من سوطها، رأتهم يجرون الماء بعد  
من الآبار، في حين أن سيون يحرك المحيط بحركة واحدة من يده، كل  
شق على البشر، كان يسيراً على الين، بالرغم من هذا رأت الابتسامة التي  
ترسم على وجوههم لحظة إنجازهم مهمة واحدة، ليشعروا بالفخر من  
أنفسهم، لتساءل إن كانت الحياة الطويلة مجزية؟ هي بالتأكيد سعيدة،  
فخورة بما تصنع، إلا أن الأمور التي جعلتها تفخر بذاتها سابقاً لم يعد  
لها تأثير في قلبها، لأول مرة تدرك أنها اعتادت الحياة، اعتادت سعادتها  
وإنجازاتها، إلا أمراً واحداً لم تعتده أو يفقد لذته وهو استخدام قوتها،

وفي تلك الليلة، استيقظ شيء ما داخلها، شيء كان صامتاً لوقت طويل، منذ زمان خلت فيه الأرض من دوابها كما مخلوقاتها.

بعد أن اجتازوا مدينة البشر، وبينما كسرت الشمس من ارتفاعها في السماء، أخبرتهم هانا أن يقيموا الليلة هنا، فوق تل مرتفع، بالرغم من أن الوقت ما زال مبكراً، إلا أنها أصرّت على التخييم هنا وذلك لوجود نهر مائي يصب في البحر، ولا علم لها إن كان ينّ المحيط على مقربة منهم أم لا، بالنسبة لـسيون لم يقلق بشأن ينّ المحيط فهو لم يستشعر وجودهم في المياه حولهم، لكن ما جعله يبقى صامتاً هو التعب البادي على مرشدتهم التي منعها كبرياؤها الإفصاح عنه، هم يتحركون منذ الصباح دون راحة، وإن كانت البعثة مهيأة لتحمل المشقة، إلا أن هانا لا تستطيع، وبما أن الشمس ستغرب قريباً لم يانع البقاء والتخييم هنا. قبل أن يقيم الليل عليهم، توجهت لـيبين، أريو، وإيلهاب للصيد، بينما تخلقت باقي البعثة مع هانا في المخيم لتجهيز مكان مبيتهم، لقد عجت المنطقة بالحيوانات البرية من غزلان، ماعز، كما القوارض اللطيفة، بينما هم يتجولون، التقوا بطريدة لهم، لينطلقوا خلفها مسرعين، هو قطع غزلان وبما أنهم ينضوون جوعاً فواحدة من الطرائد لن تكفيهم، بدأت لـيبين حركتها بزلزلة الأرض من تحتهم، لتسقط بعض الطرائد أرضاً، فانقض أريو وإيلهاب عليها مسكين بها، وفجأة اختفت الأرض من تحتها، ليسقطا في

هوة مختفين على نظر ليين التي هرعت حيث هما، وقبل ان تصل للهِ  
إذ بـ إلهاب يخلق مندفعاً لخارجها، يتبعه أريو الذي وثب منها بعد  
أخرج حبلاً ورقية من جسده وعقدها حول صخرة ليقدف ذاته  
خارج الحفرة.

ليين: «هل أنتما بخير؟ هل تأذيتما؟»

إلهاب: «أنا بخير»

ليين: «أريو؟»

«من الجيد رؤيتك تهتمين».

مجدداً لم يكن هذا ما يرغب بقوله، ليعض ذاته من إجابته هذه.

ليين: «أنت حقاً أحق».

أدارت ظهرها لهما وبدأت بالسير، حينها صفعه إلهاب على مؤخرة  
رأسه قائلاً: «ما مشكلتك؟»

«لا أعلم، لم أرغب بقول هذا، لقد كنت سعيداً أنها تحاورني مجدداً».

«اتبعها إذا».

تلقى أريو في مكانه حتى دفعه إلهاب قائلاً: «تحرك قبل أن تبتعد».

ركض أريو نحو ليين، ممسكاً بلذراعها إلا أنها وكزته بقوة في معدته،  
ليترنح أريو محرراً ذراعها، لتعاود السير، نهض أريو من مكانه بسرعة

واقفاً وجهاً لوجه معها ساداً الطريق عليها، لتنظر إليه بحنق قائلة:  
«إن لم تنبذني عن طريقي فسأحطم بعض أضلعك».

كاد أريو أن يضحك في وجهها من هيتها اللطيفة، جسدها الضئيل يقف أمامه بتحدٍ، عيناها الخضراوان العابستان، أنفها الذي بات أحمر اللون مثل وجتيها، حواجبها التي عقدت من الغضب وثرغها المرتعش بلطف لحبها دموعها، رؤيتها تستشيط غضباً وتهديداتها، جعلتها تبدو مثل أرنب صغير يقف في مواجهة ذئب مهدد، بالرغم من مشهدها الذي جعله يرغب بالضحك، إلا أن أريو يعلم جيداً أنها قادرة على إيذائه إن رغبت، لعل أضلعه ليست الشيء الوحيد الذي يمكنها تحطيمه، والحقيقة لا يمكن لأحد لومها فلقد كان لثيماً معها، ويجب عليه عدم إطالة هذا الأمر أكثر، رؤية الألم الذي تسبب به كما الشعور به في وجدانه ليس أمراً ممتعاً. رفع أريو ذراعيه بحركة تدل على الاستسلام قائلاً:

«أنا آسف، لقد كنت وغداً، لم أعن أيّاً مما قلته، وإن كان ضربك لي سيخفف من غضبك فسأقبل به بكل سرور، إلا أنني أعلم أن هذا سيؤلمك أكثر مني لذلك لن تفعل».

«لن أضربك، فجسدي أثمن من أن أجعله يتألم من ضرب شخص مثلك».

وضع أريو يده على شعره مبثراً إياه بحركة قلق ليردف سريعاً:

«حسناً أنا أستحق هذا، لكن أنا فعلاً أعتذر، أدرك خطئي ما كان عليّ الاستخفاف بمشاعرك، أنا فقط جديد على كل هذا، ولا أتعامل مع فؤادي».

«نحن مرتبطان، وإن لم أكن أهتم بك فلا أحد منا يستحق هذه الزيادة المقدسة، لعلنا لا نتفاعل كثيراً بعضنا مع بعض، وأنا أفعل ذلك احتراماً لرغباتك، حتى تعلم من تكون، حتى تشعر باستحقاقك لي، لهذا أظل بعيدة، أنا أعني مخاوفك من خسارة شخص آخر تحبه، أعني ألامك وكوابيسك، لكني لا أرغب وجودي ضعفاً لك، لست أطلب منك أن لا تحميني فنحن هنا نحمي ظهور بعضنا بعضاً، أنا أطلب منك أن لا تتزعزع بسببي، لا تفقد موطئ قدمك من أجلي، استمر في ما تفعله وأنا خلفك لن أذهب بعيداً، لن أكون سبباً في حرق روحك، لذلك لا تجعلني خوفاً، بل اتخذني قوتك، لقد سئمت كوني خوف من حولي، آمن ببقريتك، كما أومن أنا بك».

طاطا أريو رأسه ندماً على ما تحدث به سابقاً، على كل شكوكه، إن كان قد شعر بضرورة الاعتذار من ليبين سابقاً من أجل إنهاء غضبها، فالآن هو يشعر أنها تستحق اعتذاراً مخلصاً، خالصاً من وجدانه على ما بدر منه، وليس هذا فقط، بل على أفكاره التي خالجت وجدانه سرّاً، هو فعلاً لا يستحقها، إلا أنه سيعمل حتى يوم مماته كي يستحق فتاة مثلها،



حينها قال أريو فيما ما زال مطأطأ رأسه: «حقاً من أعماق روحي وفؤادي أنا أعتذر، لم أعني إيلام وجدانك، أو التشكيك بك، أرجو أن تجدي في روحك اللطف لتعفي عن زلتي هذه».

في عينيّ ليين بدا أريو مثل ديسم<sup>(١)</sup> جريح، وشعرت بندم سحيق بغلف وجدانه، وهذا كل ما رغبت به، أن يعني ما يقوله، أن يشعر بخطئه لأن يعتذر لإنهاء غضبها، ولسبب ما وجدت دموعها تنساب من عينيها قائلة: «أنت حقاً لئيم».

اضطرب أريو لدى رؤية دموعها إلا أنه شعر بأن الغضب من قلبها قد انزاح، حينها وضع يده على رأسها مرتباً عليه، رغب أن يحتضن فؤادها اللطيف، إلا أنه لم يفعل، ما زال الوقت مبكراً على هذا، إلا أن ليين رفعت رأسها لتلتقي أعينهما، ليشعر أريو بكل منطق يفر من عقله، ومن غير إدراك منه، انحنى مقبلاً رأسها، ليشعر بالفزع يصيب فؤاديهما، فتسارع نبضات قلبيهما ما بين سعادة وذعر جميل، حميم، ثم سمعا سليلاً<sup>(٢)</sup> حاداً من خلفهما، ليفترقا بسرعة ونظراً لمصدر الصوت، ليريا إيلهاب قادماً نحوهما جازاً غزالين معه، لتتدرك ليين الموقف قائلة: «لنعد إلى المخيم فقد قاربت الشمس على المغيب».

١- ديسم: صغير الدب.

٢- سليل: صوت الغزال.

أشرق شمس اليوم التالي بلون جديد على البعثة ليكملوا طريقهم حيث البين المهجن، وفي آخر تلة وقفوا فوقها رأوا صرحاً لم يشهدوا له مثيلاً، هو صرح مهيب أحاط به خندق دائري تتعاقبه للدخل حلقات دائرية متتالية حتى أحاطت بالمركز، أنشئت الحلقات عبر رصف أعمدة صخرية هائلة الحجم تقف متطاولة كما متفرقة، وعلى قممها ارتكزت دعائم صخرية أفقية ربطت الأعمدة بعضها ببعض، ليدو الصرح كأسوار متعاقبة أحاطت بالمركز<sup>(١)</sup>.

سيون: «هل أنتم من بني هذا؟»

هانا: «أجل فعلنا».

نامار: «علي الاعتراف، أنتم البين ماهرون في البناء».

فيا اقتربوا من النصب، أبصرت البعثة قاطني هذا الصرح من البين والمهجناء، منتشرين في الأرجاء جميعهم يراقبون الوافدين إليهم، بعضهم حمل التخوف في عينيه، آخرون حملوا التشوق كما الحماس، شعرت البعثة كما لو أنهم شخصيات مهمة، عرف سيون بعض البين، لربما لم يكونوا أصدقاءه إلا أنهم بالتأكيد بين قاتل معهم من قبل، ليتوافدوا عليه بحماس، هو قائدهم الذي ظنوا مقتله.

«سيون، هنا».

«سيون، يقاتل في صفنا».

«لقد انتصرنا في هذه الحرب إذا».

تعال أصوات المتناف في الأرجاء، ليشعر سيون بوزر واجبه نحوهم، وهو الأمر الذي شعر به الجميع بمن في ذلك نامار الذي شعر بالإهانة من تجاهل المخلوقات له، فهم لم يبدوا أي ردة فعل من رؤيته، ليغضب قائلاً بصوت عال: «توقفوا عن إزعاجنا وأظهروا لنا قائدكم».

من خلف الحشود ظهر ينّ من الأولين بجسد أخضر داكن اللون، موشوم بأزهار اللبن البيضاء، وأوراقها المصوغة بالفضة، التي لونت أيضاً كلاً من عينيه وخصلات شعره، اقترب الينّ منهم معرفاً عن ذاته: «مرحباً بالبعثة، أنا قائد الينّ المهجن، أدعى أنثوس، زهرة اللبن الشتوية».

سيون: «يبدو أن سمعنا تسبقنا، لنحظى بهذه الحفاوة».

أنثوس: «من لا يعلم عنك وعن العظيم نامار؟! تحالف أسطوري المخلوقات حدث لم يكن له سابقة في التاريخ».

سيون: «وهل أنتم حلفاء لنا؟»

أنثوس: «لا تتعجل أيها النيلوفر، لنحظ بحوار أولاً».

أوماسيون بالموافقة، ليقودهم أنثوس داخل صرحهم الحجري الضخم متخذين الأرض مجلساً لهم فيها حظوا بالضيافة اللائقة، بالنسبة للأصغر سناً من البعثة فلقد شعروا بالراحة كما السرور لعدم خوضهم معركة الآن واستقبالهم بالترحاب، أما سيون ونامار فحافظا على يقظتهما وتحفظهما.

أنثوس: «سمعنا أنك انضممت لـأروا، لكن مؤخراً تناقلت الأخبار أنك كنت مجرد جاسوس للمقاومة».

سكارم: «هل هذا ما تدعوننا به؟ المقاومة؟»

هانا: «أولستم الجيش الذي يقاوم ضد أورا؟»

إيلهاب: «كنت لأفضل اسم أثران على المقاومة».

نظر سيون نحو الفتية كمن ينهرهم عن الحديث الذي لا طائل منه، موجهاً بعد ذلك حديثه للقائد: «أنت من جيل الأولين، أليس كذلك أي معلومات عن ميزويا<sup>(١)</sup> من معه؟»

تغيرت ملامح أنثوس إثر هذا السؤال كما هانا، ليجيب:

«للأسف، لا أعلم الكثير فأنا لم أبدل قلبي معهم، إلا أن أحداً ما حذرني منهم ومن شرهم سابقاً».

سيون: «وأي هذا المخلوق؟»

١ - بن ماتي من الأولين يجرد البين من رحيق أورا، عبر شطر أنفهم، كما أنه سرق فواد سيون (هجناء) وقدمه لـأورا كمبريون سلام.

أنثوس: «لم يعد معنا».

فجأة تعالت أصوات الصراخ في الخارج، ليتنفض الجميع من مكانهم، ومن داخل أكواب الماء التي أمامهم أصدى صوت ساخط ناغم: «ذلك لأنك قتلته»

ثم اندفعت المياه إلى خارج الأكواب مندفة صوب أنثوس الذي أحالها للبلد، لتهتز الأرض من حولهم، وتبدأ بالتشقق، أما بالنسبة للأعمدة الحجرية فبدأت بالاهتزاز والتزعزع من موضعها آيلة للسقوط، علم الجميع أن سقوطها يعني موتهم، حرك كل من ليين وسكارم الأرض مخرجين أعمدة ترابية صلبة أسندت الصخور في مكانها، ليقول سكارم: «اخرجوا حالا».

نهض الجميع متجهين للخارج بينما تردد أريو في ترك ليين خلفه، إلا أنه تذكر حديثهما الأخير وطلبها منه الثقة بها، لذلك منحها ظهره متجهاً للخارج وهو الأمر الذي جعلها شاكرة له. ما أن أصبحوا في الخارج حتى وجدوا أن المخلوقات يتقاتلون في ما بينهم، حبال من الماء تتطاير، الأرض حولهم تتمزق، أوتاد خشبية برزت من كل مكان، إلا أن أحداً لم يهاجم البعثة فيما تحرك لإلهاب للهجوم أوقفه سيون قائلاً:

«لا تقاتل، ان لم يعن هذا الهجوم إيذاءنا فلن نتدخل في حرب بينهم».

ليتوقف في مكانه، عدا أن أريو لم يبال بما يحدث فجّل تركيزه منصب

حيث لييين وسكارم اللذان لم يخرججا بعد، اندفع سيل من الماء صوب أنثوس، إلا أنه ابتعد عنه مسرعاً ليصيب الأعمدة الصخرية لتنتهار فوراً وأسفل منها يقبع سكارم ولييين، ذعر الجميع من الصوت الذي أصدره، تساقط الأعمدة، عدا أنهم استكملوا قتالهم، في ما عدا البعثة التي انطلقت صوب الأعمدة لإنقاذ الاثنين أسفل منها، وبالرغم من الذعر الذي اجتاح فؤاد أريو إلا أن شيئاً ما داخله أيقن نجاة رفيقيه، وقيل وصولهم حيث الأعمدة، انبثق تراب من الأرض بقوة وعنف متطايراً للسواء ومن بينه وثبت لييين وسكارم المغطيان بالتراب ووقفوا فوق الأرض يلتقطان أنفاسهما.

نامار: «أنتم بخير؟»

سكارم: «أجل لقد دخلنا للأرض قبل انهيار الأعمدة».

سيون: «تصرف ذكي».

لييين: «ماذا يحدث هنا؟»

أريو: «لا نعلم بعد، إلا أننا لن نتدخل».

راقبت المجموعة ما يحدث، الين كما المهجاء يقتلون في ما بينهم، عدا أن لا أحد مس البشر بينهم، من المراقبة وب نظرة واحدة تمكن سيون ونامار من رؤية أن أنثوس لا يقاتل خصمه الين المهجينة بجدية كل ما يفعله هو

تلاشي هجماتها أو صدها دون أن يهاجم، بينما قاتلت هانا مع بَنٍ مهجن،  
وأيضاً هما الاثنان لم يتقاتلا بجدية، من الواضح أن هجماتها لم تكن قوية.

سيون: «ألم تقل سينا إن البَنَ المهجناء يخوضون حرباً في ما بينهم؟»

نامار: «أتسمي هذه معركة؟ إنها مهزلة لا غير».

سكارم: «هل سندعهم يستمرون في هذا؟»

نامار: «لا».

ثم أشعل جسده كاملاً باللهيب الأسود، ليطلق بعضه للشُّحْبِ على  
هيئة كرات ملتهبة، ثم أسقطها نحو الأرض بسرعة كما شُهِبَ السماء وفيما  
فعل هذا هتف نامار: «توقفوا حالاً، أنتم مزعجون».

ارتعد الجميع من صدى صوته الذي بدا كالرعد المدوي وقبل أن  
يستفيقوا منه أسقطت السماء عليهم لهيباً أسود، ليتوقفوا جميعاً عن الحركة  
ناظرين لـ نامار، الذي أخيراً حصل على الاهتمام الذي كان يريجه.

سيون: «هلا توقفتما عما تفعلون؟ أخبروني ما مسببات هذه المهزلة».

«بالتأكيد سأخبرك، إن كنت أتيت لهؤلاء البَنَ رغبة في جعلهم حلفاء  
لكم فقد أخطأتم، لأنهم جناء جميعهم لا يملكون الجرأة، كل ما يرغبون  
به هو الاختباء بعيداً عن الحرب وإغلاق أعينهم، ولو تحدث أحدهم عن  
الحرب لقتلوه، كما قتلوا أبي». أجابت البَنَ التي قاتلت أنثوس

إيلهاب: «إذاً ألا ترغبون أن تكونوا حلفاء معنا؟»

هانا: «بلى، إن عزيمتنا للقتال مخلصه، عدا أن أخطاءنا السابقة قادتنا إلى هنا».

«أخطاء! لقد قتلتم أبي، وكل من دعمه في دعوته للحرب وتدعوها أخطاء! هل ندمكم الآن سيعيد إلينا من فقدنا؟ ما سلبتموه منّا؟»  
سيون: «حسناً هذا يكفي، ما اسمك يا فتاة؟ وماذا تكونين؟»

«أنا ديفينا، هجينة من أم بشرية، أبي كان بنتاً مائتاً من طحالب تاكفيليا، إلا أنه هرب من قائدهم ميزويا الذي استخدم فؤاد والذي وبين الماء من أجل فرض سيطرته على بين الأرض، لم يحتمل والذي المزيد من الألم وشطر فؤاده مرة بعد مرة، لذلك سرق أحد الأفئدة الأرضية التي يتخذها ميزويا رهينة، ودجها مع فؤاده كي يحيا على اليابسة، لهذا أنا أحمل أزمهار التودالة<sup>(١)</sup> علي»

نامار: «بين المحيط يظهرون في القصص كما يظهر المدعو نادياس».  
أنثوس: «أتعلمون عن نادياس؟ عن حقيقته؟»



سيون: «لا، ويبدو أنك ستخبرنا عن هذه الحقيقة، لكن أولاً أريد أن أتينا ما حدث وأعلم أكثر عن بن المحيط».

ديفينا: «إذا اتبعوني إلى حيث مقرنا».

نامار: «لن نتبع أحداً يا فتاة، كل ما لديك لقوله سيقال هنا، وستجدون طريقة لتكونوا حلفاء لا يهمني ماضيكم، كل ما يهمني هو انضمامكم للحرب».

ديفينا: «ما كنت لتقول هذا لو أنك فقدت عزيزاً عليك مثلي».

استشاط غيظ نامار إلا أنه أقسم ألا يندفع خلف غضبه مجدداً لذلك كبح جماح ذاته قائلاً: «أعتقد أني سأكون في هذه الحرب، بهذه الهيئة المشؤومة لو لم أفقد كل عزيز حمله وجداني؟»

إيلهاب: «جميعنا نعمل بما لدينا هنا، ونقاتل لهدف واحد، فإن كنتم ترغبون بالتمسك بكرهكم فلكم ذلك، ولكن الآن فقط تجاوزوا هذا من أجل نجاتنا، ومن بعد ذلك لكم الحرية للتصرف وفق هواكم».

اقرب سكارم خلصة نحو إيلهاب هامساً: «وكأنك تقول أمركم لا يهنا بعد الحرب، اقتلوا أنفسكم أو بعضكم بعضاً كما تشاؤون».

خجل إيلهاب من نفسه عندما أدرك هذا، بينما أمسك كل من ليين وأريو ضحكاتها حتى لا يفسدا الأجواء الجادة، ليلتفت إيلهاب نحو

سكارم الساخر هامساً هو الآخر: «لا تفسد الأجواء، ابتعد عني أنت وهذا التراب الذي تلحفت به، فأنت تبدو مثل الحفلة»

بالكاد تمكن أريو وليين من حبس ضحكاتها وقبل أن يفقدا السيطرة؛ التفت إليهما نامار رامقاً إياهما بنظرة غضب، ليلتلع الفتية ضحكتهما وتمحى الابتسامة من عياهم، ليلتعد كل واحد عن الآخر، كل نبذ الآخر متخليين عن بعضهم البعض في هذا الموقف.

أنثوس: «ليكن إذاً، هذه الحرب هي أولويتنا الآن، ديفينا، سأقسم لك على التالي: ما أن تنتهي هذه الحرب سأمنح حياتي لك، لتتقمي من قتل والدك كما ترغبين، على هذا أنا أقسم».

ارتعدت ديفينا، كما هانا التي أقبلت نحو والدها قائلة: «أبي مانا تفعل؟ لا يمكنك...».

أنثوس: «مانا، هذا دين تأخر سداذه، ولا بد من تسديده عاجلاً أم آجلاً».

ديفينا: «لن أقبل لهذه الحرب من أجل قسمك، بل أنا أفعله تحقيقاً لرغبة أبي، إلا أنني سأخذ بقسمك هذا وسندد ثمن خطيئتك بحياتك».

أنثوس: «وهو كذلك».

هذا الاضطراب الناشئ بين الجميع، منجهين نحو الأعمدة الساقطة،

حرك أنثوس الأرض من حوله معيداً النصب لما كان عليه، ليتجه الجميع  
للدخول لإكمال حديثهم، وفيما همّت المجموعة للدخول التفت نامار  
للفتية هامساً:

«كونوا مستعدين لدفع ثمن استهزائكم الليلة».

توقفوا في مكانهم متبادلين النظرات في صمت ليتم لكز سكارم من  
أريو القائل: «كل هذا بسبك».

إيلهاب: «ألا يمكنك أن تكون جاداً لبعض الوقت؟»

ليين: «أكان يجب عليك دعوته خلداً تريبياً؟ الآن لن أستطيع محو  
الصورة من عقلي».

ابنم أريو وإيلهاب وكادت ضحكاتها أن تهرب ليقول الأخير  
سرعة: «لا تكررهما، فلا أستطيع إمساك ضحكاتي».

أريو: «أنت من بدأها».

إيلهاب: «هو من فعل». مشيراً لـ سكارم

سكارم: «أنت من أخبرهم بقتل أنفسهم».

حينها ومن حيث لا يعلمون هوى الماء عليهم ليبتلوا جميعاً، وقبل أن  
يروا من فعل إذا بسيون يسير بالقرب منهم هامساً:

«الآن لم تبدوا مثل الخلد، هيا بنا لننهي الحوار، وتحلوا بقليل من  
الجدية».



لم يعلموا إن كان سيون يؤنبهم أم يعيث معهم، على أي حال عليهم  
فعلًا إنهاء الأمر والانتظار حتى يأتي الليل حين يجعلهم نامار يدفعون  
ثمن عبثهم.

ديفيئا: «كما سبق وأخبرتكم عن بِنَ المحيط، وعن استخدام أفئدة  
بِنَ الأرض لمصلحتهم، هنالك بِنَ من الأرض تعمل لمصلحتهم تدعى  
هيرانم<sup>(١)</sup>، هي من كانت تقود القرناء أو غيرهم من البِنَ حيث ميزويا،  
إنها صلة الوصل بينهم، هي حليفته».

أسوأ كوايسهم باتت الآن حقيقة، إن كانت هيرانم حليفة لهم فهنا  
يعني أنها حليفة أورا.

نامار: «هل يعلم البِنَ الذين قدموا أفئدتهم لِبِنَ المحيط بهذه الصفقة؟  
أهم جنود أورا؟»

ديفيئا: «لا أعلم بشأن هذا، لكن كما حكى لي أبي فإن البِنَ الذين مع  
هيرانم لا يعلمون بشأن هذه الصفقة، ولعلمهم لن يقاتلوا في صف أورا،  
لكن كل شيء ممكن الآن».

سيون: «ميزويا ومن معه يعملون مع أورا الآن، وإن باتت أفئدة بِنَ  
الأرض رهينة لديه، فلا يمكن غض الطرف عن إمكانية خضوعهم  
للتهديدات».

١ - بِنَ من الأولين، عشيرة قائد الجان المهجن بالأي.

إيلهاب: «لكنّ بينهم جان أيضاً، هؤلاء لن يقبلوا العمل مع أورا أبداً».

سكارم: «ولن يقبلوا أن تسحق أفئدة من يحبون حتى الموت».

أنثوس: «لقد نبأني والد ديفينا بهذا الشأن، طلب مني كشف حقيقة هيراثم للهجناء من الجان وأن نقيم حرباً ضدها وبين المحيط لنحرر أفئدة البينّ منهم، إلا أنني رفضت، وعندما أعلن الانتفاض ضدي من أجل أخذ الهجناء للحرب، قمت بقتله هو ومن معه، ولأجل هذا أنا نادم، بسبب خوفي من الحرب، قدمت لـ أورا جنوداً يعملون لديها رغماً عنهم».

ديفينا: «أجل هذا خطوك».

هانا: «توقفي».

إيلهاب: «لا تسرع في حكمك، لعلك لا تعلم هذا إلا أنني عشت بين هجناء الجان لوقت طويل، وسأخبرك بأمر، هم يفضلون الموت على الانصياع لأحد، ولا حتى لملك الجان، فهم يحملون في أرواحهم غضب الجان وفخرهم، كما لديهم إباء البينّ للانصياع، وكرههم للاستغلال».

سيون: «ماذا أخبرك والدك أيضاً بشأن ميزويا؟»

ديفينا: «هو ليس من يدّعي، هو ليس منفذ وصية الأولين، كما أن الأولين لم يضحوا بحياتهما من أجل أن يزهر فؤادهما شجرة بينّ، بل إن

ميزويا هو من غدر بهما متزَعاً قلوبهما من أجل جشعه. أخبرني أيا  
ميزويا يهوى السيطرة وقد تحكم في أقدار البِنّ في الماء كما على الباندة.  
يكن الغرض يوماً الهرب من أورا، لم يكن لتحرير البِنّ منها، بل رغبت  
السيطرة عليهم كما سيطرت أورا، أن يكون هو سيد الأقدار.

نامار: «أتعلمين لماذا قد يعمل ميزويا مع أورا؟»

ديفيئا: «لا»

أنثوس: «إن كان هدفه هو السيطرة، فلعل أورا اقتسمت السيطرة  
معه».

سيون: «في هذه المرحلة لست أستبعد أي شيء. والآن أنثوس، أخبرنا  
عن نادياس، ما هي حقيقته التي تحدثت عنها؟ وهل يعلم كل الأولين  
هذه الحقيقة؟»

أنثوس: «أنا كنت أحد الأولين الذين هربوا من أورا برفقة نيدرين<sup>(١)</sup>  
وفررت مجدداً عندما أغارت علينا في أرضنا الجليدية، آنذاك كنت من  
البِنّ الذين تخلصوا من رحيق أورا بفضل خصائص أزهارنا، ما أعلمه  
عن نادياس هو بعض الحديث المبهم الذي حكاه لنا، أخبرنا أنه مرتبط  
بالأرض وليس بأورا، أنه وجدَ عبر وضع شظيتين من الاطيفاف داخله،

---

١ - من جيل الأولين أول من علم حقيقة أورا وأعلن الانشقاق عنها، هربت مع مجموعاً  
من الأولين لأرض بعيدة.

اثنان من أصل ثلاثة، هذه الأطياف ساهمت في ازدهار أوراء، هي تهاجم  
جداً

عندما سمعت ليين هذا تذكرت الصوت الذي أخبرها عن العناصر،  
لعل هذه الأطياف هي منبت تدمير أوراء، وهذا يعني أنها تحمل في داخلها  
أحد هذه الأطياف.

سكارم: «جوام<sup>(١)</sup> ذكرت هذه الأطياف أيضاً، ما هذه الأطياف؟»

أنوس: «جوام؟ هل رأيتموها؟ هذا يعني أنها نجت».

ليين: «لقد التقينا بها في ترحالنا هي الآن في مدينتنا مع الجيش، كما  
ينجى إلى هناك الآن حلفاء لنا من هجناء الجان».

هانا: «أنتم تتحركون بسرعة».

سيون: «لا نملك الوقت، كما أننا نحتاج لكل مخلوق مستعد للقتال  
بين في ذلك أنتم، والآن أرجوك أجب، من هم الأطياف؟»

أنوس: «لا علم لي، ثادياس لم يفصح يوماً، كل ما أعلمه هو أن أوراء  
نحشاهم، لذلك انتزعتهم من ذاتها ووضعت اثنين منهم في ثادياس، أما  
الثالث فلا علم لي عنه».

---

١- من هجناء: بن من الأولين، وهي أول من التفت البعثة وتم إرسالها لاثران مدينة  
البن.

إيلهاب: «لعلها في ذلك المشؤوم حورا<sup>(١)</sup>».

سكارم: «هذا ممكن فلقد أخبرتنا جوام أنه أزهر مع ثادياس قبل كـ  
الين».

نامار: «سنجد آخرين يعلمون عن هذا الأمر أكثر».

أنثوس: «عليكم إيجاد نيدرین إن كانت ما تزال حية، فلعلها تعلم هنا  
الشان، أو ابحثوا عن أحد الين من الجيل الضال، لقد اعتنى بهم ثادياس،  
لعله شاركهم شيئا من أسراره».

سيون: «بيتنا أحدهم، عدا أنها لا تعلم».

نامار: «دعونا لا نطيل الحديث أكثر، وأخبرونا هل أنتم حلفاء لنا؟»  
أنثوس: «قبل وصولكم قررت أنا ومن معي، سنخوض هذه الحرب  
معكم».

ديفيتا: «سأتابع خطأ والدي وأقاتل معكم أنا ومن معي».

ومع هذا أجمع الجميع على انطلاق المجندين الجدد صوب أثران بعد  
ثلاثة أيام من الآن، وسوف تستغل البعثة هذين اليومين للراحة، ومع  
هذا الاتفاق حل الليل عليهم وآن أوان عقاب نامار للفتية.

---

١ - الأفاري الثاني والذي يعمل لأورا أحد المخلصين لها وذو سم فناك.

في غابة قريبة منهم وقف الفتية من البعثة رأساً على عقب ناظرين لعالم مغاير لما اعتادت عليه أعينهم، هذا عقاب نامار لهم جميعاً، عدا أن الفتية لم يتموا كثيراً بالأمر، فلا ضرر من الوقوف رأساً على عقب، إلا الآن وبعد مضي ثلاث ساعات علموا أنه عقابٌ قاسٍ، في بادئ الأمر شعروا براحة في ظهورهم وأعناقهم، ومع الوقت تحولت هذه الراحة لألم في اليدين، وشعروا بالدماء في أبدانهم تندفع لرؤوسهم فباتت ثقيلة، كما أن وجوههم تلونت بلون الدماء، وفي آخر نصف ساعة بدأت أجسادهم بالارتعاش، بالرغم من إمكانيةهم عصيان نامار وعدم الخضوع لهذا العقاب الذي ظنوه مجحفاً في حقهم، إلا أنهم يكونون الكثير من الاحترام لقائديهما، فهذان الاثنان يعلمانهم الكثير عن الحرب كما القتال، وحتى عندما يعاملهما الجميع كأسطورتين، بالنسبة لليافعين هما مرشدان لهم، عائلة، وقائدان يستحقان الاحترام الشديد، لذلك خضعوا لهذا العقاب دون الكثير من الجدل وإن وجد القليل منه فهو ضروري لإظهار هذا الإجحاف الذي يمارسه نامار عليهم. أخيراً وبعد أربع ساعات مضية أخبرهم الجان أن عذابهم انتهى ليخروا جميعاً أرضاً لاهئين متذمرين مما أذاقهم إياه قائدهم.

سكارم: «لقد فررت من أورا وعذايها، وإذا بك تعذبنا بشكل أسوأ».

إيلهاب: «ظننتك ستساهل معي كوني نسلك، إلا أنك لا تعرف

الرحمة».



أريو: «لا أعلم سبب هذا العقاب، من المفترض أن تكون سعيداً لأننا ننسجم معاً».

ليين: «حتى أبي لم يعاقبني كما فعلت أنت اليوم».

أيقن نامار أنهم لا يعنون كلمة مما يقولونها إنه مجرد احتجاج لإزعاج ضميره، إلا أنه لا يملك ضميراً في هذا النوع من الأمور، ليقرر هو الآخر إزعاجهم:

«إن كنتم تملكون قوة للاحتجاج، فيمكنكم إكمال العقاب لأربع ساعات أخرى».

عم الصمت فجأة كما لو كانت أرضاً ميتة، وكل ما صدر من صوت هو لهات أنفاسهم ممزوجة مع غناء جداجد الليل.

نامار: «جيد، عودوا للمخيم بعد أن تستعيدوا قوتكم».

رحل الجان عنهم ليجد سيون في طريقه.

«هل انتهيت؟»

نامار: «ما كنت لأكون هنا لو لم أفعل».

سيون: «جيد، والآن ما رأيك في ما قيل عن الأطياف؟»

«إن كانت تلك الشجرة تهايم فهذا يعني أنهم أصل تدميرها».

سيون: «أوافقك الرأي، وليبين تملك أحدهم في داخلها».



نامار: «أتمتد أن سينا تملك معلومات عن هذه الأطياف؟»  
«لا أعلم، وأتمنى أنها لا تعلم أيضاً، فأنا كاره لحقيقة خيانتها لنا أو  
تعريضنا للخطر لأجل هدف آخر لديها».

«وليبيّن لم تتمكن من التواصل مع هذا الصوت بعد؟»  
«لا، لم تتمكن من فعل هذا مجدداً، مهما حاولت».

نامار: «وما رأيك بشأن ما قيل عن هيرانم والجان المهجن؟»  
«إنه لأمر مقلق، لقد علمنا مسبقاً تعاونهم مع ميزويا، كما أننا قلقنا من  
علاقتهم وتساءلنا عما تخفيه، لكن أن تكون هيرانم متعاقدة في التجارة  
بأفئدة البين، فهذا آخر ما تصورته».

نامار: «زائيل أخبرني أنه سيتكفل بهذا الأمر عندما نبأته بتحالف  
ميزويا وأورا، كما أنني حذرت من الجان المهجن».

سيون: «هل يمكننا الثقة به في ما يتعلق بهذا؟»

نامار: «أنا لن أثق به يوماً، إلا أن زائيل لن يتواطأ مع أورا هذا أمر  
أكيد، فهو أول من دعم هذه الحرب، ومنحني الحرية الكاملة للتحرك  
كما أرغب، وإن كانت له أهداف أخرى لا أعلمها، إلا أنني أعلم أنه لن  
يتهاون مع حلفاء أورا أو الخائنين».

سيون: «لم أعد أعلم شيئاً، أشعر أننا نتقدم خطوة واحدة للنجاح فيما  
نراجع عشر خطوات للخلف، لم أعد أعلم من حلفاؤنا من أعدائنا».

نامار: «أتذكر ما أخبرتك به قبيل بدء المهمة؟ سنبدأ هذا الطريق معاً  
لنتيه معاً، إلى أن يأخذ الموت أحداً أو كلينا. إلا أننا لسنا وحدنا، الآن  
نحن نملك مدينة كاملة حليفة لنا، هي أثران حيث ننتمي».

«حيث ننتمي! لعلّي فهمت الغيظ الذي انتاب الصغار من تسببنا  
مقاومة، فنحن لسنا كذلك، نحن أثران، حيث موطننا، نحن بعثة مدينة  
أثران».

صمت سيون قليلاً ثم أردف: «أكره الشك الذي أنا به، كما الخوف  
الذي يتابني، إلا أنني سأقاوم لآخر رمق في روحي، هذا يكفي، اليس  
كذلك؟ لا يهم ما العاقبة، ما يهم هو عدم حمل ندم لِقَلّة المحاولة، وإن  
فشلنا وواتانا الموت، فليكن، فالموت مغامرة جديدة، مجهولة».

نامار: «ليكن الموت إذاً».

لدى عودتهما للمخيم وجد سيون ديفينا أمامه لتخطر فكرة له انهما  
نحروها قاتلاً: «لدي مهمة لك إن قبلت».

ديفينا: «أجل بالتأكيد، ما هي؟».

سيون: «أتعلمين عن رابولا؟»

ديفينا: «سمعت عنه».

«جيد، لترحلي غداً حيث هو ومن معه، أخبرهم أنك من حلفائنا،  
ولينضم إلينا في أثران».

«لا أعلم أين هم».

نامار: «أنا أعلم، فلقد شاركني موقعهم قبيل افتراقنا، سوف أرسل معك دخاناً كي يقدوك، لكن ستعبرين مسار أورا للوصول، هل أنت مستعدة لهذا؟»

ترددت ديفينا ليحجب البين الذي وقف معها: «هل من خطر علينا إن عبرنا هذا المسار؟»

سيون: «أتتوي الرحيل معها؟»

«أجل فأنا قريبها».

سيون: «عرف عن ذاتك».

«أنا إيباي، الحندقوق الأبيض<sup>(١)</sup>، وأبي كان جندياً في جيشك سيون، بدعى هاميس، لا أعلم إن كنت تذكره أم لا؟»

«بالتأكيد أذكره، لقد كان جندياً في جيش الميمنة كما أنه من الجيل الباسل الذين دربتهم».

تبسم إيباي قليلاً فخراً بوالده لتتلاشى هذه الابتسامة عندما سأل



سيون عن موقع والده ليحيب إيماي: «مثله مثل الكثيرين من الإبر  
اختطفوا على يد جنود أوراء، نخبتها الصامته».

حينها تذكر سيون أولئك الجنود الذين لم يتفاعل معهم من قبل، إلا  
أنه رآهم، كما أن إيماي ليس أول من يذكرهم، إن كان أحد ليعرف عنه  
فهم جيل الأولين لذلك عليه أن يوجه حديثه إلى أنثوس بهذا الشأن.  
«أنا سأرافقكما في هذه المهمة، ليكن عبور مسار أوراء أو قتال في  
المحيط، سأقاتل معكما». من خلفهم تحدثت هانا.

ديفيئا: «لا تفعل هذا ليس واجبك، كما لا أرغب مرافقتك من أجل  
إراحة ضميرك».

هانا: «لست أفعل هذا من أجل ضميري أو ندماً على الماضي، أنا أفعل  
من أجل الأيام الخوالي، شئنا أم لا، نحن الثلاثة عضد لا نفترق، لقد  
خضنا مغامرات لا تنتهي، وأرغب في مغامرة أخيرة معكما، بالرغم من  
الضغينة التي تحملينها لي ديفيئا، أنت تعلمين في قرارة فؤادك أنني لم أخك  
يوماً».

إيماي: «لنفعل هذا، فهذه المهمة محفوفة بالمخاطر، ووجود من نأتمنها  
مهم لنجاتنا ونجاح هذه المهمة».

ابتعدت ديفيئا قائلة: «غداً مع بزوغ الفجر نرحل».

هس نامار لـ سيون: «هذه خطوة واحدة».

مع بزوغ شمس اليوم التالي، وبعد رحيل الثلاثة الذين كلفهم سيون بالمهمة، توجه مع نامار إلى أنثوس، وفي عزلة بينهما بدأ بالحديث عن نخبة أورا الصامته، بالرغم من عدم امتلاك أنثوس الكثير من المعلومات إلا أنهم ينّ من جيل الأولين، كانوا ينّا مثل باقي جيلهم، إلا أنه لسبب ما اصطفتهم أورا لذاتها، ولم يكن هذا مثل من اصطفت بأغصانها، لقد كان أمراً آخر لم يفقهه أنثوس، كان يتم استدعاؤهم ليختفوا لبضعة أيام مع حورا ثم يعودون حيث البنّ وهم مختلفون، ليخبرهم حورا أنهم أقسموا على الصمت من أجل أورا كما أن أرواحهم فداء لها، فلا يسمح لأي ينّ بالاقتراب منهم أو الوقوف في وجههم، وهذا ما صدقه الجميع لوقت طويل، ليعلموا لاحقاً أن هؤلاء البنّ فقدوا أفئدتهم. أول مرة علموا بهذا الشأن عندما تمت مهاجمتهم في أرضهم الجليدية، عندما اخترق غصن أنثوس صدر أحدهم لينتزع فؤاده، ليجده خاوياً من القلب، وما سال منه لم يكن دماء، بل مثل الرحيق الغليظ والذبق إلا أن لونه أسود نتن الرائحة، وبالرغم من هذا لم يتوقف هذا المخلوق عن الحركة وهذا حتى مزق أنثوس جسده بالكامل، ثم هرب بعيداً عن الجزيرة، أما بالنسبة لأعدادهم وإن تبقى أحد منهم فلم يعلم شيئاً عن هذا.

بعد شروق شمس اليوم التالي، ويعد أن حظيت البعثة بقسط من الراحة وقضى اليافعون وقتهم في الاسترخاء كما استعادة حيويّتهم قرروا الانطلاق لوجهتهم التالية حيث المخلدون، بينما انطلق البين الهجين وعددهم أربعة آلاف ويزيد إلى أثران.

## المخلدون

لم تختلف الأرض التي أمسوا عليها عن سابقتها، الكثير من البحيرات، والأنهار، كما التلال، إلا أن وجهتهم هذه المرة هي جبال بيضاء غطتها الثلوج، جرداء من النباتات، قيل إنها حيث تجتمع الآلهة، أخبرهم أنثوس أنهم يتجهون حيث الإغريقون أعظم الحضارات البشرية، هنالك حيث جبل أوليمبس، موطن الإله زيوس. من حسن حظهم أن طريقهم خلا من المدن الأساسية لهذه الحضارة حيث كل ما مروا به كانت قرى للبشر، إلا أن كل بقعة نضحت بالحضارة، مسارح، معابد، ساحات لتناقل الحوارات الفلسفية، في إحدى هذه الساحات وقف الناس يستمعون إلى رجل يرتدي درعاً حديدياً على جسده، مخاطباً الحشد بضرورة الحرب والقتال، إلا أن امرأة واحداً جذب انتباه سيون من هذا الحديث وهو قول الرجل:

«يقول أرسطو: غاية الحرب هي السلم».

فكر سيون في ذاته كم أن الأمر مثير للسخرية أن يكون السبيل للسلام هو الحرب، فكل ما يحمله السلام من أمان، طمأنينة، وحياة، تسلبه الحرب مقدمة مَرّ الموت، الذعر، والخسارة، كيف يمكن لتقيضين لا يلتقيان أن يؤديا بعضهما لبعض؟ عدا أنه الواقع الذي يعلمه، لذلك



هو يقاتل، يخوض حرباً من أجل السلام، بالرغم من ان المنطق يرفض النتيجة التي تقود للسلم إلا أنها سخرية الأقدار، أن يقود الموت للحياة. بعد ثلاثة أيام من تحركهم وصلوا إلى سفح جبل أوليمبس، أثناء توقفهم في إحدى القرى أخبرهم البشر أساطير عن قصر زيوس حيث الآلهة، قيل إن قمة الجبل احتوت على قصر هائل ملى بالأبراج المتطاولة للسماء، كل واحد من هذه الأبراج احتوى على جتته الخاصة، هناك حيث تلتقي الآلهة بأمر من زيوس لمناقشة أمور البشر، في تلك الجنان يحتفلون يتراقصون، يغنون، ويتفاخرون بقدراتهم، قلة من البشر وطئوا هذه الجنان، هم صفوة يحظون بشرف مقابلة الآلهة وخدمتهم، إلا أن البشر الذين يصعدون للجبل لا يعودون، فمن يرغب بالعودة للأرض مع البشر وهو بصحبة الآلهة؟ فلا جوع، خوف، أو ألم، في قصر زيوس تكون حياتهم الفانية القصيرة، مليئة بالغناء، البركات، وتذوق أفضل أنواع النبيذ الذي تصنعه الآلهة، وخاصة نبيذ الإله ديونيسيوس، قيل إن اشتهاً رائحة نبيذه بحد ذاته مسكر للبشر.

بالرغم من أن البعثة تعلم أن من ينتظرهم بشر مخلدون، إلا أن الإجلال الكبير الذي حمله البشر لهذه الآلهة، كما عظيم قصورهم، جعلهم يرفعون سقف توقعاتهم، اشتاقوا لرؤية هذه الأسطورة التي لم يتوقف البشر عن الحديث عنها، بل إنهم قصوها بكل شغف.



مع ارتفاعهم الجبل ازدادت البرودة في الأجواء وتناثرت الثلوج على الأرض، شيئاً فشيئاً ازداد فضولهم لرؤية القصر الذي لم يصروا حتى قمته بعد، من المفترض أن يتمكنوا من رؤية شيء من القصر الآن وهم على أشرف القمة، لكن لا شيء على الإطلاق، ولا حتى رذاذ من شلالات الماء التي قيل إنها تتساقط من نوافذ القصر، ليصلوا لقمة الجبل الشاهق الارتفاع حتى إن الغيوم باتت أسفل منهم، في مشهد لا يمكن أن يتكرر مجدداً، هو بحر من الغيوم البيضاء الممتدة حتى الأفق، أن يمسا على قمة العالم، حيث الآلهة، التي لم يكن لها أي أثر.

سكارم: «أليس من المفترض أن يكونوا هنا؟»

ليين: «بلى، رأيت أحدهم يقف هنا».

أريو: «أين القصر إذا؟»

ليين: «أنا لم أر القصر الذي يتحدث عنه البشر، إلا أنني بالتأكيد رأيت أحدهم يجلس هنا يعزف على آلة موسيقية».

سيون: «لحظات، دعوني أفسح هذه الغيوم».

حرك يديه لتفرق الغيوم التي غطت الأرض وحجبت رؤيتهم، ليتجلى أمامهم أرض مستوية صغيرة بين القمم الشاخنة، فوق هذه الأرض وجدت منازل حجرية متواضعة، بل إنها أقل مقداراً من تلك التي يسكنها البشر في القرى التي عبروا خلالها في طريقهم.

إيلهاب: «أيعقل؟»

نامار: «لن أستبعد هذا، فالبشر ماهرون في تضخيم الأمور واغترل الأكاذيب».

انحدروا صوب أحد المنازل الحجرية طارقين على الباب دون مجب لهم، فتح أريو الباب فلم يجد أحدًا، كان المنزل خالياً، إلا أنه ليس مهجوراً، أعادوا الكرة في المنازل التالية، وذلك حتى استوقفهم صوت لمخلد خرج من أحد هذه المنازل.

«لا تتبعوا أنفسكم فلا أحد في منزله».

سيون: «عرف عن نفسك»

«ألا يفترض بمن يتطفّل علينا أن يعرف عن نفسه أولاً؟»

«أنا سيون، النيلوفر الأزرق، ونحن بعثة أثران قادمون من أجل التحالف معكم في الحرب القادمة».

«آريز<sup>(١)</sup>، بشريّ مخلد، أحد آلهة أوليمبس المزعومين، آلهة الحرب الوحشي، والبنّ التي منحتني فؤادها هي شوكران أبقع<sup>(٢)</sup> سام».



نامار: «إذا أنت عاشق للقتال والحرب؟»

أريز: «لقد تدرّبت على القتال والحرب منذ نعومة أظافري، فأنا جندي من أسبرطة، وبما أنك قد ذكرت الحرب فأنا معكم أيّاً من يكن العدو، لقد مللت دلال هؤلاء الآلهة المخادعين والمدللين».

نظر نامار إلى هذا المخلد الذي يغني لحناً يحبه، الحرب أيّاً تكن، هو جندي ذو جسد ضخّم مقارنة بياقي البشر، عريض المنكبين، مقتول العضلات التي ظهرت من بين رداءه، بدا على عينيّه الزرقاوين الجنون، كما الغضب، في إحدى يديه حمل رمحاً غليظاً فاق طوله مرتين.

سيون: «أين من تبقى من هؤلاء الآلهة المزعومين؟»

أريز: «لقد ذهبوا ليشملوا ويفسقوا في مكان ما، ليتباهوا بخلودهم وقدراتهم بين البشر، لعلهم يعودون غداً أو بعد الغد، لكن لا تنتظرهم، فأنت تضيع وقتك بهذا، فهم ليسوا مهتمين بالحرب أو شيء غير خلودهم الذي سلبوه».

سكارم: «تحدث وكأنك لم تسلب أحدهم خلوده»

أريز: «لم أفعل وما كنت لأفعل، لست مثل هؤلاء المخلدين، لا أجد المتعة في سرقة ما ليس لي، ولا أجد الشرف بموت مخلوق عوضاً عني، لقد عشت حياتي من أجل اليوم الذي أموت فيه بشرف».

تبسم نamar قائلاً: «قُصَّ حجتك»

«كنت ذات يوم بشرياً، طفلاً ولد من جنود أسبرطة، كما كل الإسبرطيين، انتزعت من والدتي بعمر السابعة لأتعلم أساسيات الحديث الموجز، كما الطاعة العمياء، وعندما بلغت الثانية عشرة، تم إلقائي للعيش في العراء من دون ماء، طعام، أو مال، ألقيت في العراء لأتعلم كيف أنجو في عالم موحش، بين الوحوش البرية كنت أنام، من أجل رداء يقيني من البرد كنت أقاتل الشبان الآخرين معي، لكنهم كانوا إخواني في تلك الحياة، سرقنا من القادة معاً، عوقبنا معاً، وخضنا الحرب دفاعاً عن أسبرطة مع قائدنا ليونيداس، كنا ثلاثمئة جندي، في مواجهة أكبر جيش عرفه العالم، ثلاثمئة في مواجهة مئة ألف جندي، ثلاثة أيام فحسب هو كل ما تطلبه الأمر كي نخسر المعركة ويقتل كل الثلاثمائة جندي، إخواني قُتلوا أمامي، إلا أنا عندما أنقذتني البينّ ومنحتني فوادها، أخبرتني أنها ستعود من أجله بعد عشرين عاماً، لأعود مسرعاً نحو أسبرطة أطلب منهم توحيد صفوفهم غبراً إياهم بوصية ملكنا، قاتلت معهم في هذه الحرب مجدداً، منتظراً اليوم الذي تأتي فيه البينّ لاستعادة فوادها، إلا أنها لم تفعل، وقبيل انتهاء المدة شعرت بنيران تحرق فوادتي، باحثاً عن مصدر هذا اللهب، سميت حيث قادلي فوادتي، لأجد نيراناً تشتعل في غابة ما وداخلها جسد البينّ متفحماً، في مكان عميق داخل فوادها علمت أنها لم

نرغب الحياة أنها سلمت هذا الفؤاد لعلها تشعر بالحياة عبري، إلا أن كل هذا لم يغير رغبته بإنهاء حياتها الطويلة، وعندما مرت سنوات لم أشخّ فيها وحين تمكنت أزهار الشوكران من جسدي علمت أن لا مكان لي بين البشر بعد الآن، لأهيم بوجهي حتى وصلت إلى هنا، مع المخلدين الآخرين، جميعهم من حضارات أخرى، بعضها إمبراطوريات خالدة وأخرى منسية، إلا أنهم هربوا بأفئدة البنّ، فلم تكن بينهم رابطة، لم يكن بينهم إلا الجشع، البنّ أرادوا المشاعر، والبشر رغبوا بأنفاس إضافية في هذه الحياة، وعندما اقتربت المهلة هربوا بعيداً، وهنا أمضينا قروناً مدعين ألوهيتنا، أبولو إله الشمس والفنون، ليس إلا موسيقياً لا يرى في الحياة إلا ألوانها والسلام، أفروديت؛ إلهة الحب والجمال، كانت فتاة ترفيه في مدينة بومبي، والآن تتفاخر سعيدة بجهاها الذي لن يذبل، ولدينا غيرهم الكثير، جميعهم بلا هم غير متعتهم الخاصة».

سكارم: «لماذا تبقى بينهم إن كنت تبغضهم؟»

تبسم آريز قائلاً: «لأنني أملت قدومكم، علمت أن القدر لن يغفر خطايانا ونهبنا لحياة ليست لنا، علمت أننا سنعاقب بطريقة ما، وها أنتم هنا الآن، تعاقبون هذه الحياة المسلوقة باقتيادنا للحرب التي ستسلبنا ما سلبناه، أليست الحياة ملحمة عادلة؟»

حل الليل عليهم، ليخلد الجميع للنوم على أمل رؤية باقي الخضر  
غداً، بالرغم من أن آريز نصحهم بعدم تعليق آمالهم عليهم، إلا أن ليد  
مستعدة للتعلق بقشة أمل في هذا النهر الجارف الذي هم فيه. أخذت ليد  
أول جولة في المراقبة، وبما أنها لم ترَ والديها لوقت طويل قررت زيارته  
باستخدام قدراتها، فلا تعلم إن كان بمقدورها فعل هذا عند الاقتراب  
من مسار أوراء، والآن باتت قدرتها على التحكم بانجرافها أكبر، فلم تـد  
تفصل عن جسدها تماماً، بدأت ليدن بالترحال وفي طريقها استوقفت  
عاصفة مهولة في عرض البحر، عصفت الرياح بالأرجاء لترتفع أمواج  
البحر متطاولة للسماء، ملتحمة مع الرياح لتكون زوبعة مهيبة، هي صر  
كبير بحد ذاته نَفَقُ جمع البحر بالسماء المتوهجة برقاً ساخطاً في ملحة  
طبيعية ساحرة، هبت رياح قوية من خلف ليدن دافعة إياها نحو الزوبعة،  
لترتعب من هذا، فلم يسبق أن تأثرت بعوامل الطبيعة في انجرافها، بل لا  
شيء من العالم الملموس أثر في قدراتها، لم تكن هذه أول مرة تواجه ليدن  
فيها العواصف، الأمطار، أو حتى البراكين في انتقالها إلا أنها لم تشعر بهم  
من قبل، لم تلمسها كما لو أنها واقعية، إلا أن هذه الرياح تدفعها الزوبعة،  
لم تتمكن من المقاومة أو التحرك، لتندفع داخل الدوامة مبتلة بالماء الذي  
ضرب كيائها بقوة، شاعرة بالآلم، كيف لها أن تتألم وهي مجرد كيان؟ ليست  
هنا بجسدها فلم الأحاسيس؟ عبرت ليدن جدران الماء حتى وجدت  
ذاتها في السكون التام، في منتصف الزوبعة، حيث الهدوء التام، كما لو

أن الزمن توقف، رفعت عينيها للسماء لترآها صافية متألثة بسديم من  
النجوم، ثم همس الصوت ذاته الذي ظلت تطارده لوقت طويل:

«أنا واحدة من أصل أربعة، وأنت تحمليني».

ليين: «من أنت؟ هل أنت طيف؟»

«ثلاثة حققوا قدرهم، واحدة خانت قدرها».

«ما الأطياف؟ هل هم عنصر تدمير أورا؟ ألا يكفي حرقها؟»

«لا بد أن نتحد معاً».

«هل الأطياف عنصر تدمير أورا؟ كيف أجدهم؟»

«أينما كنا، كيفما نكن، سنجد طريقنا، لقد طال انتظارنا، لا بد أن نعيد  
للغرباء انزائنا».

«لماذا لا تحيين ندائي؟ لماذا لا أجذك عندما أبحث عنك؟ لماذا  
تحاشييني؟»

«إشفاقاً من القدر الذي فرضته عليك».

هبّت رياح قوية مجدداً قاذفة ليين إلى جسدها، لتجفل لدى رؤية نامار  
بطرف أمام وجهها، ينظر إليها.

«ماذا تفعل؟»

«أنتظر عودتك، لقد أطلت الرحيل يا فتاة».

«كم من الوقت مضى؟»

«أنا أقف هنا منذ ساعتين».

«لم أشعر بمضي كل هذا الوقت».

«أين كنت؟»

«رغبت زيارة أتران لرؤية عائلتي قليلاً، إلا أن إعصاراً استوقفني  
وهناك حدثني الصوت ذاته».

«ماذا قالت؟»

«لم تقل الكثير، لم تجب على أي من تساؤلاتي، عدا أنها تحدثت عن أمر  
أثار اهتمامي».

قَصَّت لبيبن لـ نامار ما قيل لها عن أن العناصر ستجد طريقها.

«من حديثها يمكنني أن أفهم، أن هذه العناصر لديهم هيات، لا  
بد أنهم داخل مخلوقات أخرى مثلك، ولعل الطيفين الآخرين يقودان  
حامليهما حيث أورا للتدميرها».

«لعل هذا ما عليه الأمر».

«هذا مبشر بالخير، فعوضاً عن القلق وإضاعة الوقت بالبحث عنهم،  
هم سيأتون إلينا، هذا مجمع».

«كيف يمكن لهذا أن يكون ممتعاً؟»

«هو كذلك بالنسبة لي فحسب، ماذا عنت بإشفاقها على قدرك؟»

«لا أعلم، ولكن أشعر بأن الموت ليس هو ما تشفق منه، بل أمر آخر».

نامار: «لست قلقاً بشأن موتك يا فتاة، فأنا أعلم أننا لن نسمح بهذا جميعاً دون استثناء، والآن اخلدي لراحتك فلقد انتهت مناوبتك منذ وقت طويل».

امتثلت لبيّن لأوامر نامار، الذي انتظر موعد مناوبة سيون ليُقَصَّ له ما حدث، في حديثهما وضعاً احتمالية أن أورا طيف من الأطياف الأربعة، فكما قالت لـ لبيّن إنهم أربعة وواحدة فقط خانت قدرها، لذلك كون أورا أحد هذه الأطياف أمر غير مستبعد، وكل ما يحتاجونه هو الثلاثة المتبقون لإنهاء عدوتهم.

مع انتصاف شمس اليوم التالي قرر نامار اختبار قوة حليفهم الجديد، لينجها نحو مرتفع جبلي قريب، ويبدأ النزال، أول من تحرك هو آريز الذي قذف رمح نحو نامار، في العادة المصنوعات البشرية لا تؤذي أو تمسه حتى، إلا أنه قبيل أن يلمس الرمح نامار لاحظ سائلاً أسود اللون يقطر من رأس الرمح، فيبتعد مسرعاً عن مساره، ليستقر الرمح في الأرض مبثراً الأرض الحجرية.

نامار: «أنضع سُماً في الرمح؟»

«بالتأكيد أفعل، على المقاتل استخدام كل مصادره لهزيمة خصمه».

«أنت حقاً تروق لي أيها المخلد، ولأجل هذا لن أتوانى في قتالك»

حينها أخرج نامار منجله الأسود، منطلقاً صوب آريز، ليخرج الآخر من جسده حبلاً ورقية مليئة بـ الشوكران الأبقع، وبدأ بتحريكها حول نامار ليحيط به داخلها، إلا أن الجان لوح بمنجله ممزقاً هذه الحبال، لتتأثر بذور سوداء صغيرة على الأرض، حينها انقض نامار بمنجله على عتر خصمه الذي أوقف منجله برمحه، نظر نامار نحو يدي خصمه، ليجد أنه استخدم حباله الورقية ليستعيد سلاحه المغروز في الأرض، كيف تمكن من مغافلتة بهذه الطريقة؟ ارتسمت ابتسامة على ثغر الجان سروراً بهذا الخصم، ثم أشعل كل جسده لهيباً أسود، ليتراجع آريز للخلف لكن ليس قبل أن يزهر من البذور السوداء المتناثرة أرضاً نباتات غليظة ومستنة مثل الرماح لتنهال على نامار، ليطلق عليها سيلاً من النيران فتحترق، مخلفة خلفها المزيد من البذور السوداء على الأرض، لتنفلق فوراً نافذة دخلاً أسود اللون غلف الأرجاء ليدرك نامار فوراً أن هذا سُم، إلا أن خصمه انقض عليه من الخلف برمحه، فصده الجان بمنجل مشتعل، شعر نامار بأن الدخان من النباتات يزداد كثافة، كما بجسده يتأثر به، ولأن خصمه جدير بالاحترام قرر إظهار جناحيه العظيمين ليضرب بهما الهواء فافأ

الدخان من حوله، وبسرعة أمسك برداء خصمه معلقاً به لأعالي السماء، لم يمتلك آريز الوقت للرد أو التصرف فسرعة خصمه كانت هائلة، وبذلك السرعة ذاتها أرخى نامار قبضته من قميص خصمه ليهوي من أعالي السماء، بينما راقبه الجان بهدوء آملاً أن لا يجيب هذا الخصم ظنه، ولم يفعل، استخدم آريز ما تبقى من نباتات له في الأرض، منتبهاً منها حبالاً غليظة ومجدولة، تطاولت مسرعة للسماء ممسكة به، ثم استمر آريز بجعلها تنخفض للأرض حتى وطتها قدمه، ليجد نامار أمامه، فيرفع رجه إليه مجدداً عدا أن الجان استوقفه قائلاً:

«لستوقف عند هذا القدر، إن استمررتنا في هذا فسؤذي بعضنا بعضاً، أنت خصم يستحق الاحترام، أول مرة أملك رأياً إيجابياً لبشري، أنت تستحق اسم مقاتل».

راقب الجميع المعركة التي كانت تدور بينهما، وقد نال آريز إعجابهم إلا أن ما أدهشهم فعلاً كان إطلاق نامار لجناحيه،

إيلهاب: «لم أعلم أن لديك جناحين».

سيون: «ظننتك فقدتهما مع هيتك».

نامار: «لم أفقدهما، بل احتفظت بهما مطويين، داخل دخاني».

إيلهاب: «لماذا لم تستخدمهما من قبل؟»

«حرمت على نفسي استخدامهما، فكرت إن لم يتمكن دارسون من التحليق بحرية في السماء بجناحيه فلن أفعل أنا، إلا أني منحت لنفسي حق استخدامهما لدى مقابلة خصم كفؤ أو عند الحاجة القصوى».

إيلهاب: «استخدمهما منذ الآن، لقد منحتني القدرة على التحليق دون جناحين، لذلك خلق بهما أنت نيابة عن والدي وعني».

ابتسم نامار قائلاً: «يوماً ما، وعندما يصبح وزنها أثقل من أن يحملها كهل مثلي سأقدمها لك».

مع شروق شمس اليوم التالي ظهرت ظلال متراقصة على قمة الجبل، وعندما رآهم آريز عرف أنهم المخلدون، الآلهة المزعومة، طلب من البعثة الاختباء حتى لا يروههم لأنهم إن فعلوا فسيهربون، ولن تحظى البعثة بفرصة للحديث معهم.

أبولو: «آريز، أيها الإله الغاضب، لقد أضعت على نفسك متعة جيدة». أفروديت: «كان يجب عليك المجيء معنا، لو أنك رأيت كيف يعاملنا البشر، أرادوا إرضاءنا بشتى الطرق، انظر قدموا إلينا كنوزهم، كم هم شذج».

ضحكت حينها ضحكة استهزاء.

بالخفاء تحركت البعثة محيطين بأصحاب هذه المنطقة من الآلهة، مانين إياهم من الهرب، ليظهر سيون نفسه قائلاً: «أولستم بشرًا؟»

ارتعد الجميع عندما رأوا سيون وعندما التفتوا وجدوا الجميع محيطين بهم، وعلموا حجم الخطر الذي هم فيه، حينها صرخ أحدهم على آريز: «ماذا فعلت؟ هل أحضرت هذه المخلوقات هنا، لقتلنا؟ مهما كنت منعطشاً للقتال والحرب، مهما كنت مجنوناً، لا يمكنك خيانتنا هكذا؟»

آريز: «اخرس ديميتري، لم أحضر أحداً إلى هنا، كما أنهم ليسوا هنا لقتلكم، بل لاقتيادكم للموت». سخر منهم وقد بدا عليه الاستمتاع بذعرهم.

سكارم: «نحن مبعوثون من مدينة أثران، قدمنا لنعرض عليكم أن نكونوا حلفاء لنا، أن تقاتلوا معنا في حربنا القادمة».

أبولو: «لماذا علينا القتال؟ نحن لسنا مقاتلين، وحتى لو كنا فلا رغبة لنا بالحرب».

سيون: «هذه الحرب قادمة لا محالة، سواء أكتسب جزءاً منها أم لا، كما أنها ستطالكم إن لم ننجح في ردع أورا».

«هل صعد أحد من البشر هنا ورأى هذه الأرض؟»

إيلهاب: «ما شأن هذا بما نتحدث به؟»

أبولو: «يجب أن لا يعرف البشر أننا لا نملك صرحاً هنا، سيعتقدون أننا نخادعون ولن يصدقوا أننا آلهتهم».

نامار: «أحقاً؟ هل هذا ما يقلقكم؟ نحن نائيتكم بنبا حرب ستيد  
الجميع وأنتم تقلقون على ألوهيتكم!»

أفروديت: «استمع هنا أيها الجان، أنتم مخلوقات همجية مثلكم مثل  
البن، لعل المجد لا يعنيكم إلا أنه يعنينا، لقد أمضينا قروناً تُخضع البشر  
لنا، جعلناهم يخوضون المعارك باسمنا، يقدمون الأضاحي، يؤلفون  
الأشعار، والآن أنطلب منا التخلي عن كل هذا المجد من أجل القتال في  
حرب لا شأن لنا بها؟ لماذا علينا القتال في حربكم؟»

ليين: «لأنكم سرقتم حياة ليست لكم، سلبتم الحياة ممن يستحقها  
أكثر منكم».

«كان البن حقى في ثقتهم بنا لم يطلب منهم أحد ذلك».

غضب سيون كما لم يغضب من قبل، هذه الأفئدة كانت تعني الكثير  
لأصحابها، هي حياتهم التي أفنوها وهم يقاتلون تحت طغيان أورا، كل  
ما رغبوا به هو المشاعر التي حُرِّموا منها، تعطشوا للحياة إلا أنهم نالوا  
الجشع كما الخيانة، والآن هؤلاء البشر الوضيعون، المنكرو الجميل، لا  
يستحقون هذه الأفئدة، لا يستحقون الحياة التي يعيشونها، بل هم لا  
يملكون حق تنفس الهواء، نظر سيون للوشوم على أجسادهم، أحدهم  
يحمل ورقة غار عليه، هو يميز هذه الوشوم، إنها تعود لـ بن من الجبل  
الباسل، إحداهن تحمل عليها طحالب حمراء، إنه فؤاد أحد البن الذين

حفظوا بغصن أوراء، آخر يحمل وشم قمح، إنه ين من جيل الصفوة،  
لقد كان مسالماً لطيفاً، أبغض الحرب كثيراً، ظل سيون يجول بعينه على  
الوشوم التي تثبت ذنب هؤلاء البشر، رغب بتمزيقهم، ردم قمة الجبل  
فوقهم، وبدأ فعلاً بهذا، جعل الأرض تتزلزل من عظيم غيظه الذي لم  
يتمكن من كبجه، ومن القمم حولهم بدأت صخور ضخمة بالتساقط  
صوبهم، ليقول سيون بسخط شديد:

«إذا سأجعلكم تدفعون ثمن تدنيسكم هذه الأفئدة بحياتكم، أنتم لا  
تستحقونها، بل لا تستحقون نبضة قلب واحدة منها، سأسلبكم الحياة  
التي أخذتموها قهراً، سأنتزع هذه الأفئدة وأحرقها لرماد، فهذه رحمة لها،  
أفضل من أن تظل تنبض هدرأً عليكم».

برزت أزهار النيلوفر من خارج جسده متطاولة للسماء، ليزداد  
حجمها عدة أضعاف، لم يسبق أن رأت المجموعة سيون هكذا، في ما عدا  
نامار الذي واجه هذا الغضب من قبل، وعلم أنه لا يمكن له أن يتقاد  
خلف هذا السخط، إلا أن أريو بادره بالتحرك.

أريو: «سيون اهدأ، لا يمكنك فعل هذا، لا تقتلهم».

سيون: «ابتعد، فغضبي لا يمكن احتواؤه».

حينها حال بينه وبين المخلدين قائلاً: «ستؤذيني إن فعلت».

أرسل سيون حزاماً ورقياً نحو ابنه عاقداً إياه حوله ثم انتشله بعيداً  
عن المخلدين فلا يقف مخلوق بينه وبينهم، غير أن أريو استل سيفه ليقطع  
الحزام، ليجد أن سيفه يتزعزع من يده عبر أحد الجبال، فسيون عازم على  
إيذاء المخلدين الذين باتوا يركضون مرتعدين من الصخور المتدحرجة  
عليهم والأرض التي تشقق تحتهم، إلا أنه لا مفر لهم من غضب النيلوفر  
الذي أحاطهم بجدار من أوراقه، حينها صرخ عليه أريو:  
«إن قتلهم فلن أدعوك والذي أبداً».

سيون: «أنت لا تفعل بأي حال، فلا تهددني»  
شعر أريو بألم من قول سيون الأخير، لأنه بدا كطفل جريح حين قالها،  
إلا أنه استمر بالحديث مع والده قائلاً:  
«أنت لست قاتلاً، والذي ليس قاتلاً، وجدانك الذي أحب أمي لا  
يقتل بطشاً هكذا، لذلك توقف حالياً، وإلا فلن أكون شطراً في فؤادك».  
ارتعد سيون قليلاً من كلمات ابنه، مختلساً النظر إليه، بينما توقف  
الجبل عن الاهتزاز، لحظات صمت مضت، ليتهدد البين مطلقاً سراح ابنه  
الذي وقع أرضاً من مسافة ليست ببعيدة، استعاد سيون هيئته المعتادة فها  
خطا بعيداً قائلاً: «لنمضي الآن فليس لنا غاية هنا، أريز إن كنت مستعناً  
للرحيل فهيا معنا».

تبعَت المجموعة قائدهم بصمت مدقع، ليهبطوا من الجبل يتبعهم  
أريز، أخرج سيون الحجر متحدّثاً مع أثران.

سيون: مغلدون. واحد.

أثران: ننتظر.

سيون: محيط.

أثران: قادمون.

شرح سكارم لأريز أن مبعوثاً من أثران قادم ليصحبه، ودّع المخلد  
البعثة متجهاً حيث اللقاء. أكملت البعثة طريقها بصمت ذلك اليوم،  
وعندما جنح الليل عليهم، اتجه أريو حيث سيون يراقب في مناوئته  
الأولى.

أريو: «أما زلت غاضباً؟ لقد كنت صامتاً طيلة اليوم».

التزم والده الصمت ولم يجب، الأمر الذي أقلقته بالرغم من أنه لا  
يدعوه بأبي أو والدي، إلا أن لـ سيون مكانة عظيمة لديه فلقد تقبّل في  
وجدانه كما عقله أنه والده، لذلك لم يرغب غضبه، كما تمنى التطيب عنه.

أريو: «أتعلم؟ رؤيتك غاضباً هكذا أمر يثير البهجة».

سيون: «يسعدني إمتاعك».

«لا أعني الأمر بهذه الطريقة، لطالما حافظت على هدوئك تحت أي

ظرف أو موقف، لم أر منك إلا الهدوء، هذا الأمر جعلني أشعر بالقصور مقارنة بك، سماع المدح فيك من المخلوقات، رؤيتهم فرحين فخورين بك، جعلاني أرى فيك القائد أكثر من الأب، والآن رؤيتك غاضباً بهذه الطريقة، فاقد السيطرة ثم لجوئي لتهديدك حتى تهدأ، كل هذا جعلني أنظر إليك بطريقة مختلفة، لأراك أباً، أعلم أنك غاضب من تهديدي لك، إلا أنني أعلم أن هذا الأمر قربنا بعضنا من بعض قليلاً، رأيت شيئاً من نفسي فيك اليوم».

مجدداً لم يجب سيون إلا أن أريو استشعر أن غضبه يتضاءل قليلاً، حينها نهض من مقعده قائلاً: «سأخلد للراحة الآن، ولا تطل المراقبة اليوم، دع غيرك يراقب، فأنت لست فتياً كما في السابق لتقاتل ثم تطيل في المناوبة». تتم سيون بصوت مسموع متردد: «عيشي آلاف السنوات لا يجعلني كهلاً... شكراً لك على اليوم بني».

تبسم أريو قائلاً: «سعيد للمساعدة أيها الكهل».

## الصحرَاء

عبرت البعثة البحر مجدداً، متوخين الحذر من ميزويا وأتباعه، إلا أن المدوء عم الأرجاء، لا هجوم لا اعتراضات، الأمر الذي بدا غريباً في نظر سيون ونامار، هما لم يرغباً نحس هذه المهمة إلا أن عدم تعرضهم للهجوم من حلفاء أوراء الذين يسيطرون على المحيطات، أمر مثير للحنينة والشك.

هم الآن يتبعون الدرب ذاته الذي سارت فيه ديفينا مع من معها لإيصال رسالتهم لـ رابولا، وطئت أقدامهم على يابسة خضراء ملئت بالحضارة البشرية، لقد زار سيون هذه المدينة سابقاً حين كان يبحث عن سجلات الجان، ما زالت هذه الأرض تضج بالحضارة والبشر بكل أشكالهم، ألوانهم، اختلافاتهم، ولأنهم سيعبرون مسار أوراء قريباً جداً، قررت البعثة الاستراحة هذا اليوم في نزل مريح، عوضاً عن النوم على الأرض والتخيم في البرية، وقد كان هذا أفضل شيء فعلوه منذ بدؤوا تحركهم. أول من توجه إلى الحجرة هي ليين التي حظيت بحجرة خاصة بها، فحتى في البراري حظيت بمخيم خاص بها، كونها الأنثى الوحيدة بينهم، لكم تأقت للنوم على فراش مريح بعيداً عن حصي الأرض التي آلت ضلوعها، أما الفتية الثلاثة فحصلوا على حجرة لهم بعيداً عن نامار

وسيون اللذين تشاركهما الحجرة، ليس وكان نامار يحتاج لفرش للنوم عدا أنه لا مانع من الاسترخاء قليلاً، من حسن حظهم أنهم يمتلكون الكثير من القطع الذهبية، لعلهم لا يملكون معادن نقدية لكن الذهب يقبل في أي مكان على وجه الأرض. بعد رحيلهم من آخر محطة لهم حذر سيون ليين من استخدام قوتها مجدداً تحت أي ظرف من الظروف، عليها أن تتحكم بما لديها من قوة مهما حدث، فهم الآن قريبون من مسار أورا بشكل خطير، ولا يمكنها فعل شيء قد يكشف أمرها ويعرضها هي ومن معها للخطر، تلك الليلة التي قضوها في النزول كانت مثل النوم في قصر الملوك بالنسبة لهم، لذلك قرر نامار وسيون، أن يأخذوا نوبة الحراسة طيلة الليل، ساعين للفتية بالنوم والراحة كيفما شاؤوا، فهذه راحة استحقوها بجدارة.

لدى ارتفاع الشمس كقوس في السماء كان الجميع قد استيقظوا من نوم هنيء لم يحظوا به منذ وقت طويل، هم لم يعلموا أنهم احتاجوا لهذه الراحة، لم يعوا أن أجسادهم تصرخ ألماً صامتاً، لتختفي هذه الصرخات مع النوم المريح الذي حظوا به، فينطلقوا صوب ذلك المسار المخيف. أكملوا طريقهم هذا اليوم بسرعة منخفضة لم يرغبوا لإعياء أنفسهم أو استهلاك قوتهم، بالرغم من امتلاكهم قدرة تحمل عالية للسير كما الركض لمسافات طويلة إلا أنهم يقطعون أرضاً صحراوية مختلفة عن سابقتها،

فلا أثر للحياة هنا، هي أرض جرداء ملئت بالمرتفعات الصخرية، حرارة الشمس فيها كنار ملتهبة تصيب عقولهم بجنون، من حسن حظهم أنهم ملؤوا عتادهم بالماء، ولم يستخدموا منه إلا القليل حتى الآن. بعد السير لنصف اليوم باتوا على مشارف مسار أورا هو يقبع عند آخر نقطة تبصرها أعينهم في الأفق، أوقفهم سيون قائلاً: «نحن الآن في مسافة آمنة، إن رغبتُمْ يمكننا تمضية الليلة هنا للراحة، ثم عبور المسار وما بعده غداً».

سكارم: «إن انطلقنا الآن، فستعين علينا استخدام أقصى قوتنا كما سرعتنا ولن نتوقف إلا بعد قطع مسافة كبيرة، أليس كذلك؟»

نامار: «بل، فهذا المسار ليس خطأ ربيعاً، هو حزام ذو مسافة شاسعة، لذلك سيتحتم علينا قطعه بأسرع وقت ممكن، فهل تملكون القدرة في أنفسكم لفعل هذا؟»

إيلهاب: «من الأفضل الانتهاء من هذا الأمر، فلا رغبة لي بالبقاء في هذه الصحراء مدة أطول، سوف نذبّل فيها».

لين: «أؤيد هذا الرأي».

أريو: «يبدو أننا ستقطع الصحراء إذا».

سيون: «حسناً إذا لحظات وننطلق».

بلدؤوا بشرب الماء بالتناوب، ولم يقتصدوا فيه هذه المرة، أحكموا عقدة

عتادهم حول أجسادهم، كما أعادوا عقد أحذيتهم الجلدية، وقف سيون في المقدمة مع نامار، نظرا للذين وقفوا خلفها في قلق باؤ، فخطوة واحدة خاطئة ستكشف أمرهم لا محالة، لا مجال للخطأ، لا مجال للتراجع، ما أن يخطوا الخطوة القادمة، سيدفعون قدرة تحملهم لأقصى ما يستطيعون سيضمونها تحت الاختبار، وعليهم النجاح فهو اختبار لا يمكنهم الفشل فيه.

سيون: «الآن سننطلق، لا ترددوا، لا تقلقوا سيتهي الأمر بسرعة، ثقوا بقدراتكم».

أشاح سيون بنظره لـ نامار الذي انطلق هاتفاً: «هيا بنا، لا تتوقفوا». اندفعت البعثة راكضة كما لم تفعل من قبل، بالكاد لامست أقدامهم الأرض، وحرارة الشمس فوقهم لم تجد وقتاً لتؤذيهم، في هذه الانطلاقة لم يخفف سيون ونامار من سرعتهم كما في السابق، فلقد اعتادا أن يباطأ من أجل الأصغر سنًا، إلا أن هذه المرة مختلفة، عليهم أن يصلوا لسرعتها ذاتها إن رغبوا النجاة، وبالفعل لم يخيووا ظنهما، بالرغم من تخلفهم في الخلف بيضع خطوات بسيطة إلا أنهم حافظوا على هذه الوتيرة لفترة لا بأس بها، لقد اعتقد نامار أنهم سيبطئون بعد فترة إلا أنهم لم يفعلوا واستمروا بالركض كما لو أن حياتهم تعتمد عليه، بل هذه هي الحقيقة كل واحد منهم يحمل على عاتقه حياة من حوله فلا مجال للخطأ. تحركوا

عندما انكسرت الشمس في السماء وانتهوا عندما شارفت على الاختفاء خلف الأفق، عندما أخبرهم سيون بالتوقف، خروا جميعاً أرضاً يلهثون من شدة الإعياء، بينما سيون ونامار يقفان كما لو أنها كانا يتزهران بهدوء، يبر هذا غيظ الفتية الذين أنهكهم مجرد الركض.

سيون: «لا أعتقد أن الماء الذي لدينا سيكفيكم».

أريو: «لا أظن أن الماء هو المهم الآن».

إيلهاب: «بلى إنه مهم، على عكسنا أنت تستطيع اختزان الماء في جسدك، نحن نحتاج الماء».

سيون: «دعوني أر إن وجد ماء في الأرض».

وضع يده على الرمال، محاولاً تحريك أي مصدر للماء مدفون في الأسفل، لحظات وانبثقت من الأرض مياه سالت على الأرض كبركة صغيرة، ابتهج الجميع لدى رؤية الماء فأقبلوا عليه يرتوون، ليبدأ ليل الصحراء البارد بإزالة حرارة النهار من أجسادهم، وحول لهيب إيلهاب انقوا بهدوء قاضين ليلة هادئة.

قيل انتصاف شمس اليوم التالي وقفت البعثة أمام جبل صخري أجرد لا من قليل من الأعشاب الجافة، هنا حيث وجدت ليين حلفاءهم التاليين، إنهم مخلوقات مختلفة، حسب ما ذكرت. تحت هذه الشمس

الحارقة ورمال الصحراء التي لدغت أقدامهم ضاق صبر سكارم هائفاً:  
«أيتها المخلوقات هل يوجد أحد منكم هنا؟ نحن بعثة من أثرا  
أتينا...».

توقف سكارم عن الحديث مطأطئاً رأسه ثم تنهد ليهمس: «لا أجد  
القوة لإكمال الحديث حتى، ليتولَّ أحد منكم المهمة».

سيون: «لم يطلب أحد منك فعلها بأي حال، أين لباقتك؟»

سكارم: «أحرقتها الشمس سيون، أنا ذاهب لأستظل تحت الصخور».   
تحرك سكارم متجاهلاً قائده، يتبعه كلُّ من إلهاب وليين جميعهم  
منهكون في ما عدا أريو الذي اعتاد هذا النوع من الأجواء الساخنة فهو  
ابن الصحراء، لذلك كان هو من يرتعد برداً في المناطق الباردة فيما الجميع  
بخير، والآن قُلبت الآية. غطى الظل سكارم الذي تم قذفه للأرض بنفث،  
لتعلو غيمة ترابية تناثرت في الأرجاء، رفع سكارم رأسه ليجد أن أريو  
قذفه حينها جال بعينه ليرى صخرة كادت تهوي عليه وتسحقه، لولا  
إنقاذ رفيقه له.

«لسنا هنا للقتال، أنا سيون النيلوفر الأزرق، وأتينا لتقديم الحماية  
لكم، لذلك أظهروا أنفسكم».

أصدى صوت مبتهج ومبهوت في الأرجاء: «سيون! أهذا حقاً أنت؟»

هوى أحدهم من فوق أحد التلال ليكون وجهاً لوجه مع سيون،  
بجسده الأخضر الداكن الذي وشمت عليه أزهار المورايا<sup>(١)</sup> البيضاء  
وأوراقها الفضية، أما عيناه وشعره المسدول فصيغت بالذهب، علم  
سيون من صاحب الصوت قبل أن يراه ليهتف: «أتوم!»

عندما وقف الاثنان بعضهما أمام بعض بدوا كمن رأى حنيناً قديماً من  
الماضي، طيفاً لما كانا عليه، احتضن كل منهما الآخر بسعادة غامرة، بشوق  
فرضته الأيام، لرابطة مزقتها الأزمان القاسية.

أتوم: «أنت حي! لقد ظننتك مت، قيل لي إنك قتلت».

سيون: «أنت تعرفني ما كنت لأقتل بهذه السهولة».

«لا أحد يعرفك أفضل مني، لقد قضينا ألفيات نجوب الأرض في  
مغامرات لا تنتهي».

«سعيد برؤيتك أتوم».

«الشعور متبادل».

نامار: «هلا أوقفتما هذا اللقاء المزعج؟ لدينا عمل هنا».



بدا عليه الانزعاج الكبير مما يشهد أمامه، أما أتوم فقد ارتعد مبتعداً  
للخلف ليهمس: «هذا نامار، ما الذي يفعله هنا؟»

نامار: «لا تهمس كالجنباء هكذا! ولسنا هنا للوقوف على الأطلال،  
أنه الأمر سيون».

سيون: «اهدا، لا تكن عكراً هكذا، أتوم، نامار رفيقي كما أننا نعمل  
معاً لجمع الحلفاء لنا».

«أن تعقد صداقة مع عدوك، هذا من طباعك، على أي حال أخبرني  
عن الحلفاء الذين تتحدث عنهم».

إيلهاب: «أيمكننا التحدث في مكان ظليل؟»

التفت أتوم للصوت ليقوم سيون بالتعريف عنهم: «هذه البعثة معي،  
هم حلفائي وذلك الفتى هناك هو ابني أريو».

تبسم أتوم بطريقة مبتذلة مجيياً: «لم أعلم أنك ستلجأ للحصول على  
ذرية ذات يوم، ليس أنت دون باقي المخلوقات».

«لم ألبأ بشيء هو أضمن هبة حظيت بها».

أبصر نامار تقلقل أتوم، إلا أنه لم يذكر الأمر، وقرر مراقبته بهدوء، فإنا  
اقتادهم صديق سيون لأعلى التلال، ومنه لوادٍ جرت عبره المياه وتلنر  
بحبال ورقية حجبت الشمس، أخيراً حصلت البعثة على بعض الراحة  
بعيداً عن الحرارة.

أنوم: «سشات، أنويس، يمكنكما الظهور الآن، فمن هنا ليسوا أعداء أو جيشاً من أورا».

من بين الصخور ظهرت أنثى بنّ من الجيل الضال، وآخر مخلط وحشي، حملت الأنثى وشم أزهار الغاجية على جسدها، أما المخلط فقد كان مزيجاً من الأزهار ذواتها كما الياسنت المائية<sup>(١)</sup>.

أنوم: «هذان رفيقاي، سشات، وابنها المخلط أنويس<sup>(٢)</sup>، تمكنت سشات من حماية ابنها وأخذه بعيداً عن أورا فور ازدهاره، متقنة فؤاده عبر مزجه بقلب جرو، وهذا هنا رفيقي سيون».

سشات: «ألم نخبرنا أن رفيقك قد قُتل؟»

«هذا ما ظنته أيضاً، إلا أنه عنيد لا يُقتل».

أنويس: «إذا كان نقش أزهاره على الأهرامات مجرد مضيعة للوقت».

سيون: «أكان هذا صنيعك؟ بالفعل لقد رأيت نقش النيلوفر يغطي جدران الأهرام».

أنوم: «أي نوع من الأصدقاء سأكون إن لم أُخلّد ذكرى قائد البِنّ ورفيقي الذي ظننت أنه قُتل».



نامار: «لم أنتم هنا ولستم في الأهرام؟ ألم تكن تلك بقعتكم؟»

سيون: «كنت لأطرح السؤال ذاته»

أتوم رفيق سيون منذ اللحظة التي أزهر فيها معاً، لطالما كان سيون يحط الأنظار منذ ازدهاره لقد امتلك فزاداً حرّاً متعطشاً للحياة، تمكن من جذب الكثير من البين حوله، وأولهم كان أتوم، الذي تبعه لكل مكان، حتى عندما قرر الارتحال بعيداً لاستكشاف الأرض تبعه، وعندما منحه أورا شرف الحصول على أحد أغصانها امتلا أتوم فخرأ كما لو كان هو من يحظى به، لم يجد أحداً أحق به من رفيقه. ثم أقبلت عليهم الحرب، ليُنقل سيون حيث أورا، بينما بقي أتوم حيث هو في الأهرام، يدافع عن شجرتهم التي أزهرتهم، وسلواه الوحيدة سماع إنجازات النيلوفر في الميدان، بالنسبة لـ أتوم كان سيون الشمس التي تشرق الكون بالحياة، أحب أتوم أورا لأن سيون فعل، وقاتل من أجلها مثله، لقد رغب أن يكون نسخة منه. ومثل كل البين فقد روحه يوم احترقت أورا، في بادئ الأمر رحل الكثير منهم عن الأهرام، في ما عداه هو وقليلاً من البين معه، وعندما قدم إليهم الجان محرقين شجرتهم اختبأ في حجرة صغيرة بعيداً عن الموت، فيما راقب من تبقى من البين يحترقون على مرأى من عينيه، استوطنت الجان الأهرامات لبعض الوقت، وذلك حتى أقبل عليهم ثادياس مع مجموعة من الجليل الضال، طارداً بذلك الجان ومانحاً البين موطنهم مُجدداً، لتضي

أعوام طوال يَطأ فيها البشر أرضهم وأهramهم وعندما رآوا البينَ بأشكالهم  
 الزهرة وقدراتهم التي كانت تفوق قدرة أي بشري أسموهم آلهة، ليكون  
 أنوم إله الخليقة؛ سشات إلهة المعرفة؛ ثم لاحقاً أنوبيس حاكم عالم  
 الموتى، وغيرهم الكثير ممن استوطنوا الأهرام، قامت هذه الآلهة المزعومة  
 باستغلال ألوهيتهم مطالبين البشر بمنحهم شيئاً من دمائهم أو أفئدتهم  
 فيزجها البينَ بأجسادهم مستعدين الإحساس بكل ما سُلِبَ منهم. أما  
 بالنسبة لـ سشات فقد وجدت بشرياً منحتة فؤادها، ولأن سشات كانت  
 إلهة بالنسبة لهم لم يهرب البشري بعيداً بل أعاد قلبها مسروراً فخوراً،  
 لتعلم سشات لاحقاً بالمخلوق الصغير الذي ينمو داخلها، والذي تكاد  
 نلتهمه كاملاً، وكأن القدر نظر إليها بعين الرحمة أرسل إليها بنتاً أنثى تعاني  
 مثلها، لتخبرها عن إشاعة مفادها أن أوراً وجدت لها في الأرض مستقرّاً،  
 أنها تحمي المخلوقات الصغيرة داخلهم ليزهروا، وكل ما عليهم فعله هو  
 اتباع دربها فحسب، ولأنها من الجيل الضال ترددت سشات في العودة  
 حيث أوراً، فهي لم ترغب العودة حيث أصل كل آلامها كما مخاوفها، إلا  
 أن رغبته في الحفاظ على ما بداخلها كانت أكبر من ذعرها، قلة من البينَ  
 وافقوا على الرحيل معها وذلك لأنهم رغبوا أرضاً فسيحة لهم عوضاً عن  
 الاختباء في هذه الأبنية الصغيرة، غيرهم كان من الأجيال السابقة الذين  
 تافوا للعودة حيث يتمون، لدى وصولهم حيث أوراً المبجلة، تحققت  
 أمنية سشات بحماية طفلها، ودججه مع البينَ ذاتها التي قدمت معها وقد

كانت زهرة يانسيت، إلا أن الواقع المرير حال دون تحقيق الحلم بالنسبة لها، ولأنها كانت من جيل الصفوة ذات فؤاد نقي لم يتلوث، سرت أورا حياتها ببطء مستهلكة قلبها لتمد الشجرة بالحياة، أما سشات، فقد عملت كمجندة لدى أورا التي لم ترغب بفؤاد ملوث من الجيل الضال، إلا أنها رأت ما يصيب البنّ المخلط من تعذيب واستعباد، لذلك أخذت ابنها فور إزهاره هاربة به بعيداً عن أورا، كي لا يتكرر الماضي ذاته الذي عاشته، عادت للأهرام لتعلم أن بنتاً من جيلها يدعى واردون قد رحل من الأهرام وبعد عدة سنوات أقبل إليهم بجنود من أورا، مهاجرين الأهرام ومن فيها من البنّ، لتهرب سشات مع أنوبيس، وأتوم إلى حيث هذه الأرض الصحراوية التي لا ترحم، تاركين الأهرام ليستوطنها الجان، وكذكري لمن رحل حفروا قصصهم على الصخور الجبلية كشاهد لقصصهم التي لن تصل إلى مسامع أحد<sup>(١)</sup>.

أتوم: «إذا سيون، هي الحرب مجدداً؟»

سيون: «أترغب خوضها؟»

«تعلم أنا سأتبعك أينما تذهب».



-١

نامار: «هل تجيد القتال يا هذا؟»

أتوم: «بالتأكيد، لست بمهارة سيون إلا أني أستطيع القتال».

في السابق لم يمانع النيلوفر تعامل أتوم معه بهذه الطريقة، لكن الآن لم يمتثل الأمر، بدا وكأنه لم يتغير طيلة ألفيات هو ذاته المخلوق الذي يستحسن كل تصرفاته ويعظمها، هو يبجله بطريقة تزعجه الآن، وعلى ما يبدو أنها تفعل الأمر ذاته لـ نامار، ربما لو أنه لم يخالط الجان لما وجد تصرفات أتوم مزعجة، وذلك لأن نامار يتحداه بطريقة شيقة هو لم يكن النيلوفر العظيم بالنسبة له، وإن كان نامار يكن الكثير من الاحترام له، إلا أن الاحترام والتبجيل مختلفان كلياً، أحب البنّ الطريقة التي يتحدى بها هو ورفيقه بعضهما بعضاً، يُجبر كل منهما الآخر على إظهار أفضل ما لديه، أما أتوم فهو مجرد تابع، يتبع الظلال وليس شمساً تشرق لتصنعها. غربت الشمس عليهم مع حلفاء آخرين، وعندما اتجه سيون لتبديل موقعه مع نامار الذي أخذ أول مناوبة للحراسة شعر منه بالاضطراب.

«ما بالك اليوم صامتاً على غير عادتك؟»

«لا يعجبني هذا البنّ هنا، هو مزعج».

«إنه صديقي منذ زمن، لقد عشنا الكثير معاً»

«لقد عشنا مغامراتكما معاً، لكن لم تشاركنا الدرب».

«أيزعجك أن أملك صديقاً آخر غيرك؟»

«ماذا؟ هل أبدو كالطفل أمامك؟ كما لا تقل إننا صديقان نحن لسنا كذلك»

يعلم سيون أن نامار كالطفل حقاً، إلا أنه رغب أن يجعله يدفع ثمن ما قاله.

«حسناً إذاً، فلا مانع لديك أن أحضرت أتوم ليكمل التدريب معنا، فكما قلت نحن لم نتشارك التدريب معاً، وكصديقين لا بد من فعل هذا، خاصة أنني بحاجة لصديق يرافقني هذا التدريب الصعب كما المضني».

ارتعد نامار من فكرة وجود هذا المزعج، المتملق، والفارغ الرأس يتبعهم كما ظلهم، قائلاً: «لن تجرؤ، سيون».

«لم لا؟ قلت إننا لسنا صديقين وأنا بحاجة لصديق من أجل التدريب، مخلوق أثق به ليتقاسم معي الأعباء، مخلوق يعتبرني صديقاً له».

أراد سيون الضحك على رفيقه الذي يسهل التلاعب به من قِبَل من يعرفه جيداً، وخاصة إن كان يحظى هذا المخلوق بمكانة في فؤاده، فأي مخلوق آخر كان ليُحرق لرماد لمحاولته التلاعب أو الاستخفاف به.

نامار: «ليكن إذاً سأكون صديقك، حتى تنتهي هذه المهمة والحرب بعد ذلك لا أريد أن تلتقي دروبنا مجدداً، فأنت مجرد متباه».

بُهِتَ النيلوفر مُجيباً: «متباه؟ أنا؟ فماذا تكون أنت إذا؟ أنت من

بصف ذاته بالعظيم عندما يتحدث، بل أنت لا تشعر بالرضا ما لم تَهَبَ المخلوقات».

«ذلك لأن لدي صيتاً علي أن أرتقي له».

«حقاً؟ حسناً إذاً، بعد انتهاء كل شيء سوف أتبعك كظلك حتى أتباهي بذاتي على كل من نلتقي في الدرب، علي الارتقاء لما تصفني به أنا أيضاً».

شعر نامار بشيء من الرضا لهذه الكلمات، هو بالتأكيد لا يرغب أن يمضي ما تبقى له من حياته وحيداً فلقد بات له منزل الآن في أثران، رفاق يعلمون كيف يتعاملون مع ذاته الفخور الغاضبة، مخلوقات تقبلته كما هو لا هو عليه، ليس لأنه نامار، بل لأنه رفيق لهم في هذه الحياة، إن كان ليهرب من قبضة زائيل، فلن يتمكن من فعل هذا بمفرده لا بد له أن يجد الدعم ممن حوله، ليزيلوا عنه هذا العبء الذي أثقل فؤاده.

قررت البعثة الاتجاه للبحر الذي يوجد فيه رابولا، هنالك حيث يكونون بمسافة آمنة لـ ليبين حتى ترشداهم للخطوة التالية، كما أنه سيكونهم معرفة إن انطلق رابولا ومن معه نحو أثران أم لا.

هذه المرة لم تنطلق البعثة بهدوء وذلك لأن البحر قريب منهم، كما أن نامار يرغب أن يتخلص من أتوم ومن معه، والذين كانوا يرتحلون على

الدرب ذاته نحو أثران، قبل أن تنتصف الشمس السماء وصلت البعثة نحو البحر، حيث الفراق.

أتوم: «سيون، ما رأيك أن أتبعك في هذه الرحلة، وحتى تجدوا كل الحلفاء؟»

شعر نامار برغبة لحرق الابتسامة الحرقاء من على وجه هذا المخلوق. سيون: «أنا شاكر لك هذه البادرة، لكن أعتقد أن أثران تحتاجك أكثر مني».

أتوم: «من الجيد أن يكون معك صديق في الدرب». أريو: «لا وقت لديه للأصدقاء هو يحاول أن يوطد علاقته بي لذلك وجودك سيزبذب هذا التناغم».

التفت سيون ونامار إليه حيث إن الأول استهجن تصرفات ابنه لكن ليس ليوبخه عليها، أما الآخر فقد أعجبه إجابة أريو الذي يبدو أنه ييغض هذا المخلوق.

إلهاب: «هو محق، هذان الاثنان لا يتفقان أبداً، لذلك يتخذان هذه المهمة كوسيلة لإيجاد التناغم بينهما، لهذا يجب على سيون عدم الانشغال مع صديق له».

حينها ابتعد نامار عن البعثة وذلك كي لا يصدق ضاحكاً مما يحدث، يبدو أن الجميع ييغضون وجود أتوم الذي كان لحوحاً، ثقيل الوجود.

أتوم: «ما كنت لأرغب بالخوول بينكما، لذلك سأمنحكما مساحة كافية؛ سيون، أعلم أنك قادر على إنجاح الأمور مع ابنك، فلا شيء مستحيل عليك، وأنت ابن سيون، لديك أب مدهش لذلك لا تتقص من حقه».

تبسم له أريو ابتسامة متكلفة جلية، ثم أشاح بوجهه ليرى أن أصدقاءه يجيئون ضحكاتهم مما يحدث، لم يسبق لهم أن اختلطوا بمخلوق مثله. رحل أتوم مع سشات وأنوبيس، وما أن تلاشى عن الأنظار حتى صدح نامار ضاحكاً، كما الحال له ليين وسكارم، بينما تنهد أريو، إيلهاب، وسيون.

سيون: «من أين أتى هذا الحديث عن أن علاقتنا متذبذبة؟»

أريو: «أرجوك، أنت أردته أن يرحل بقدري».

إيلهاب: «لم أخالط مخلوقاً مثله من قبل، مَنَعُ نفسي من إحراقه أو صفعه تطلب مني الكثير من الإرادة والعزم».

ليين: «كم أشفق على أبي المسكين، عليه أن يتعامل معه الآن».

سكارم: «أعتقد أن القائد سيدفنه في الأرض كي يتخلص منه فحسب».

نامار: «لرغبت في رؤية هذا».

تبسم سيون عما يحدث حوله، بالرغم من تصرف أريو الغريب إلا أنه في الحقيقة سعيد لرحيل أتوم لقد كان مخلوقاً ثقیل الظل بحق.

سيون: «حسناً إذاً بما أننا هنا، لیبین استخدمی قوتك وأرینا وجهتنا التالية».

امتثلت لیبین للأمر مغمضة عینها، لتحوم حول الأرض إلا أنها لم تجد أيّاً من المخلوقات جنوب مسار أورا حيث هم، جُلّ ما أبصرته هو تلك الأرض الجليدية حيث يقبع هايبرد<sup>(١)</sup> ذلك الیّن المسالم الذي لا رغبة له في الحرب.

لیبین: «لا أثر للمخلوقات هنا، إن أردنا أن نجد أحدهم فعلینا أن نعبر مسار أورا للشمال مجدداً، أستشعر وجود المخلوقات هناك إلا أني لا أعلم موقعهم تماماً».

سكارم: «لا أرغب عبور الصحراء مجدداً».

إيلهاب: «هل يمكننا السير على الساحل حتى نقرب من مسار أورا ثم نعبره؟»

نامار: «سيطول الترحال علينا بهذه الطريقة، عليكم أن تتحلوا بالقوة وتوقفوا عن التذمر».

---

١ - یّن مسالم من الأولین وهو من ساعد سيون ولايالا على الأرض الجليدية.

سيون: «اعتقد أنه من الأفضل لنا أن نتبع اقتراح إيلهاب، فالحرارة  
هذه ليست في مصلحتنا نحن البين، كما أن المسافة ليست بهذا الطول».  
خضع نامار لهذا الأمر، حينها ألقى سيون بذاته على البحر باحثاً عن  
رابولا ومن معه، فلم يجد لهم أثراً ليتيقن حينها نجاح المهمة التي انطلقت  
فيها ديفينا، ومن معها.

لتجول خاطرة في ذهنه: «لعل هذا الأمر ينجح لعلنا ننجو من هذه  
الحرب بعدد الحلفاء الذين باتوا معنا، لكل من ائتمنا على حياته وحرته،  
علينا أن ننجح، بل سننجح لأن حلفاءنا ذوو أفئدة نقية مثلنا».

## الفصل الثاني

### الحنث

نبضاتك المذعورة....

أنفاسك اللاهثة...

أفكارك المتصارعة...

حروفك...

ابتسامتك...

نظراتك...

جميعها خائنة...

أعرفت الوفاء يوماً؟

ظننت قلبك مخلصاً...

مثل قلبي....

## الأولون

عبور مسار أورا هذه المرة كان مهمة يسيرة إلى حد ما، وعندما أصبحوا بمسافة آمنة عن المسار بدأت لبيين مهمتها، لتجد مجموعتين من الين إحداهما على تلال خضراء، أما المجموعة الثانية فتقع على جزيرة معمورة بالبشر. كانت رحلتهم هذه المرة منعشة بالهواء البارد، كما النقي، وتلك التلال التي تزينت باللون الأخضر مع جداول المياه المتناثرة في الأرجاء والتي حلت على ضفافها أزهاراً صغيرة، كما تلحنت السماء بأصوات العصافير بين الأشجار وهدير النهر الهادئ، هذا هو كل السلام الذي احتاجوا إليه، ليجدوا أن أقدامهم تتباطأ رغماً عنهم راجين الاستمتاع بهذا المكان لوقت أطول، لقد كان الترحال مضيئاً، لقد مر ما يقارب الشهرين منذ بدؤوا هذه الرحلة، وعلى ما يبدو أن شوق لبيين لعائلتها، كما سكارم لغارينا بدأ ينهش روعيها، بدا على لبيين الحزن من حين لآخر، وفي الليل عندما يحين موعد حراستها تظل تتحبب بهدوء، لقد سمعت البعثة صوتها الباكي عدة ليالٍ، وإن لم تظهر صوتاً فإن عينيها الذابلتين تفضحانها، أما سكارم فلقد فقد ذاته المحبة للهو والعبث، ليمسي سريع الانفعال، تجلى هذا لهم منذ قطعوا الصحراء آخر مرة، لقد ضاق ذرعاً بكل هذا راغباً بالعودة لموطنه وعشيرته، وقد تفهم سائر البعثة هذا، حيث إنهم يرافقون

عائلاتهم في هذه الرحلة سيون مع أريو، ونامار مع إيلهاب، فلا يوجد ما يفقدونه ما داموا معاً، حاول أريو عدة مرات أن يرفه عن ليين إلا أنها لم تتجاوب معه كما في السابق، كما الحال مع سكارم الذي بات يستجيب لمزاح أريو وإيلهاب بنوبات من الغضب أو الضجر.

ذات ضحىً وبينما غطت الغيوم السوداء السماء، وفيما تماطلت عليهم زخات المطر الباردة، سمعوا صوتاً منادياً من أعالي أحد التلال: «أنتم يا مبعوثي أثران، نحن نتظركم منذ زمن».

نظر الجميع لمصدر الصوت ليجدوا بنّاً أنثى تقف على أحد التلال، ليقول سيون: «عرفي عن ذاتك؟»

«أنا نيدرين، البنج الأسود<sup>(١)</sup>، من الأولين، ولقد طال انتظاري لكم يا سادة الحرب».

نامار: «أخيراً، وصلنا حيث تتجلى الأسرار»

اتجهت البعثة نحو التل حيث وقفت نيدرين، إنها بنّ ذات جد أخضر باهت، وشم عليه بتلات البنج الصفراء والتي تحملتها أنماط



-١

سوداء اللون، بأوراقها الفضية، كما خصلت شعرها، وعينها التي  
تلوت بالفضة، كانت مثلاً للبنّ من جيل الأولين<sup>(١)</sup>.

نيدرین: «إذا أنت ذائع الصيت سيون؟ إنها لبهجة لي مقابلتك أخيراً،  
بالرغم من أني حاولت قتلك من وقت ليس بطويل».

ارتعد الجميع مضطربين خوفاً من أن يكونوا قد وقعوا في فخ، إلا أن  
سيون تحدث: «لا أذكر رؤيتك قبل اليوم».

«نحن لم نلتقي قبلاً، إلا أني علمت بقدمك حيث هجنا الجان،  
لأتبعكم بعد أن ارتحلتم من عندهم، إلا أن ضباباً حال بيني وبينكم».

نامار: «إذا أنت المخلوق الذي تجرباً وتبعنا ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>».

نيدرین: «أردت حماية ذاتي كما الأولين ممن معي».

سيون: «وهذه هي سمعتك التي تسري على لسان معظم الأولين،  
أول من أعلنت الانشقاق على أورا».

نظرت نيدرین لمن أقبل إليهم من البعثة متبسمة بطريقة تكاد تكون



٢- من هجنا: أول مرة بدأ نامار و سيون بالتحرك عبر الأرض بحثاً عن اجابات،  
وبذلك بعد وضع أريو في الجزيرة المنعزلة عُقب إنقاذه من الاحتراق في بابل.

مشؤومة، قائلة:

«لا تعلمون كم من الوقت انتظرت حتى نصل لهذا اليوم، حين تتوحد المخلوقات معاً لإنهاء أورا، لقد عشت حياتي في انتظار هذه اللحظة».

قادتهم نيدرلين حيث يوجد باقي الأولين، لقد قبعوا في أكواخ خشبية متناثرة فوق التلال التي تذررت بالضباب المتناثر حولها كما بينها، أقبل الين خارج أكواخهم لحظة سمعوا صوت نيدرلين الهاتف:

«أيها الأولون، لقد وصل سادة الحرب، ولأجل حريهم وحرينا نحن ماضون». تعالت أصواتهم الهاتفية والتي تلاشى صداها مع الرياح اللطيفة، التفتت إليهم نيدرلين قائلة: «ومتى الترحال من هنا؟»

نامار: «عندما نحصل على إجابات تُشبع فضولنا».

«ما يثير فضولكم؟»

سيون: «ثادياس، وحقيقة أورا».

تلاشت ابتسامة نيدرلين وتبدل عينا وجهها:

«لم أسمع هذا الاسم منذ وقت طويل، ندمي الوحيد في هذه الحياة هو عدم تمكني من إنقاذ ثادياس من ميزويا، لقد فُطر فؤادي بموته، اتبعوني سأخبركم بكل ما أعلم».

قادتهم نيدرلين لكوخ كبير توسط التلال، اقترشوا الأرض جب

وضعت سجادات من الفرو بينما أخذت مضيفتهم صدر المجلس على كرسي منخفض تغطى بأنواع مختلفة من الصوف والفراء.

«ما ترغبون معرفته؟»

سيون: «من تكون أورا؟ ما الأطياف؟»

ندرين: «أورا طيف من الأطياف الأربعة، طيف النار، الماء، الريح، والثرية. وأورا هي طيف الثرية، كل الأطياف تناثرت لتخدم هدفاً من أجل الأرض، أما أورا فلم تزل للأرض، بل اتخذت سطحها مقراً لها، زاعمة شيئاً هي ليست عليه.»

نامار: «ما هي الأطياف؟ وكيف وجدت؟»

«لا أعلم ماهية الأطياف، ولا منشأها، فهذه هي حدود المعلومات التي شاركني إياها نادياس.»

سيون: «وماذا عن نادياس؟ ما علاقته بهذه الأطياف؟»

«لقد حمل شظية من طيفين داخله والثالث لدى حورا، كل ما أعلمه هو أن أورا احتاجت شيئاً من الأطياف لتزهر، لتسلب شيئاً من تناثرتهم وحين أزهرت أزالتهم منها مانحة إياهما لنادياس وحورا اللذين أزهرتا قبلنا.»

ليين: «كيف يمكننا تدمير أورا؟»

نيدرین: «یمکننا حرقها».

أیقنت لیبن مع سیون کما نامار أن نیدرین لا تعلم بشأن عناصر إنهاء أوراء، لذلك توقفوا عن السؤال بهذا الشأن رغبة بعدم تسلیط الضوء علیهم أو إثارة الشکوک.

أریو: «قل لنا إن هنالك سلفاً للبنّ، مخلوقات سبقوا البنّ الحالیین، ماذا تعلمین عن هذا؟»

نیدرین: «معلوماً عن هذا الأمر قليلة، فلا أعلم أكثر مما تعلمون أنتم أيضاً».

نامار: «ماذا عن نخبة أوراء الصامته؟»

ارتعدت نیدرین عند ذکر هذا الاسم، لتتظر إلیهم بخواء قائلة: «إنهم بنّ من حکمت علیهم أوراء بالعبودية، عندما تجد من بین البنّ من یملکون نقاط ضعف، أو لیسوا مؤهلین للنجاح فإنها تحکم علیهم بجحیم خاص بها. یتّم أخذ هؤلاء البنّ وملء أجسادهم بمزیج من ریح أوراء وُسْم حوراء، کما یتّم استتصال أفئدتهم لتظل بین یدی حوراء المشووم لیتحکم بأجساد البنّ. هؤلاء المخلوقات البائسة غیر قادرة علی الموت أو الفساد هم یقبعون مأسورین داخل أجسادهم، بأعین ترى ما یحدث، وجد یتشعر الألم، عاجزین عن منعه عن أنفسهم، حتی الصراخ الذی ینحف من وصیهم حُرّموا منه، ما هم إلا أجساد یعبث بها حوراء کبفاً

شاء، لا يتوقفون عن الحراك إلا إن فصلنا أعناقهم عن أجسادهم، أو أحرقهم الجان، حتى عندما تتمزق أجسادهم فإن حورا يسارع في إنبات أطراف جديدة لهم، يمكنك رؤية الذعر في أعينهم عندما يفعل، إن لم تصرخ أفواههم فإن أعينهم تفعل، ولعل صراخها أكثر صخباً، ما زلت أذكر الذعر في عيني من قتلت منهم، ولعل أحد أصدقائي بات منهم الآن، بنّ عزيز على فؤادي يدعى عادار، من أجل حمايتنا، تخلف هو في الجزيرة ليعطل مهاجمينا من الوصول إلينا، فؤادي يحترق كلما تذكرت ظهره الممزق وهو يحميننا، لذلك أنا أتجه لهذه الحرب، لأرد الصاع لـأورا، لاستبعادنا، لسرقة أفئدتنا، لقتل كل الين، ولأجل عادار إن بات أحد نخبها الصامته فحق علي أن أنهي عذابه بقتله».

نامار: «ما دمت ترغبين بهذه الحرب بشدة، لماذا لم تصنعي جيشك وتهاجي أورا؟ لماذا انتظرت قدومنا؟»

«لأنّ لست سيون ونامار، أنا مجرد قصة منسية ومُحرمة، لا يعلم الكثيرون عن حقيقة الماضي، لا يهتم إلى من ألجأ فلا أحد مستعد للمخاطرة بحياته من أجل نكرة، لكن أنتما أسطورة لن تزولا حتى بعد ألفيات أخرى، حتى لو تلاشت أجسادكما، ولم تعودا جزءاً من الكون، فإن نصص ما أنتما عليه لن تزولا أبداً، وستظل تذكر على ألسنة المخلوقات جميعاً، لهذا يتبعكما الجميع، لهذا تمكنتما من صنع حلفاء لكم، إنه إثبات

عل وزر اسميكما، هذا واجبكما تجاه المخلوقات، كما أفى قاتلت أورا وأتباعها من قبل، عندما تبعت ثادياس من أجل تحرير الجيل الضال».

نظرت المجموعة بعضها لبعض في تعجب، لم يذكر أحد من المخلوقات هذه المعركة أو مشاركة الأولين فيها، ولا حتى سينا التي يعرفونها حق المعرفة.

ليين: «لم نسمع شيئاً عن هذه المعركة، أو مشاركة الأولين فيها نحن نعلم أن ثادياس هو من اعتنى بالجيل الضال لبعض الوقت فحسب».

نيدرین: «وهذا هو جوابك يا فتاة، هم شاكرون لـ ثادياس وليس لنا، وذلك لأننا لم نقبل بالجيل الضال بيننا».

## فيدرين

«إن أورا لشرّ، هي ترغب السيطرة عليكم، تطمع بكم أدوات حتى تحظى بالأرض لها، هي سجينّة جشعها، في هذا المسار ذاته تزهر، غير قادرة أن تباعد أو تحيد عنه، ولأنها ترغب رؤية أبعد من هذه النقطة، تستخدم أفئدتكم، لتمدوا من جذوركم في الأرض، ويكون من الأرض جزء ملك لها، فهي ليست الغبراء ما هي إلا طيف خاوٍ عريق المنشأ، ترغب المجد في ماليس لها فيه حق، ولن تتوقف حتى تحصل على الأرض، وتملك كل البين، علينا إنقاذ البين منها، وأنت نيدرین أول من سأنقذ، فأنت لست زهرة علاجية فلا تحرر لك من رحيقها دون مساعدتي، ألا تعلمين نيدرین؟ في داخلي سبيل خلاصكم من أورا».

بهذه الكلمات تحدث نادياس، مخبراً نيدرین الواقع الذي جهلته، كل التقديس الذي حملته لـ أورا تبدل لبغضاء ما أن حررها الآفاري، ما تزال ذكرى الألم الذي اعترّاها ذلك اليوم حديثة في ذهنها، حين حُقِنَ سم الكالا الأسود فيها، شعرت كما لو أن كل كيائها يشتعل ناراً سوداء، تكاد نيدرین تقسم أن كل قطرة دماء في جسدها غلت من السعير الذي أحاط بها، إلا أنه ألم رحبت به، إنه ثمن الحرية التي لم يعرفها الكثير من البين. كان نادياس يصبو إلى تحرير البين بهدوء أن ينشئ لهم موطناً بعيداً عن أورا

التي لم تعد تزهر البينّ منها، كما أن الأفئدة التي تم زرعها لم تزهر بعد، فهناك فرصة لإنقاذ البينّ من أورا، إلا أن نيدرلين لم ترغب الصمت، طمعت أن تكون الضوء الذي يزيل الجهل، أن تكون المنقذة، وبعد أن تم جمع عدد لا بأس به من البينّ ذوي الخصائص العلاجية، وحين شعرت أن عدداً من البينّ السام مثلها قد تحرروا من أورا، توجهت لـ عا دار الترجس الأصفر<sup>(١)</sup>، طالبة منه دعمها في مسعاها، ليعلم البينّ عن شرور أورا، فيستفضوا ضد حكمها، فقد آن أوان الحرية، وإنقاذ البينّ الغافلين المستضعفين.

قيل الغروب، انطلقت نيدرلين تعتلي قمة تل قريب، ومنه أرسلت رسالتها الصامتة، لتحمل الريح شذاها للبينّ، ومعها انتفض البينّ مضطربين، ناظرين لصاحبة هذه الرسالة ثم إلى أورا والآفارين، كمن يروجونهم تكذيب النبأ، رأت نيدرلين في عينيّ ثادياس السخط كما الحياة، لقد بددت كل مجهوداته دون أي اعتبار، لتعلم مدى طيشها عندما أطلق حورا خلفهم النخبة الصامتة، الذين قذفوا حبالهم صوب البينّ مع نيدرلين لانتزاع أفئدتهم، ليسقط منهم القليل، أما الأكثرية فقد هرعوا هارين عن مسار أورا ومن خلفهم البينّ ممن قرروا الفرار بعيداً مع نيدرلين، وعلى



خطاهم الصامتون يصطادونهم، إلا أن نيدرین ومن معها من السامین استخدموا خصائصهم ليقفوا من استطاعوا من الصامتين، وبعد ركض ليس بعيد تلاشى وقع الأقدام من خلفهم، نظرت الینّ خلفهم ليجدوا أن حورا ونخبته يقفون دون حراك في بقعة واحدة، ليعلموا حدود مسار أورا، هذا الطريق الذي لن يسلكوه مجدداً ما داموا على قيد الحياة.

على نهاية الأرض وقفوا المنظر مهيب ارتعدوا، ذلك الأزرق الأبدي المهل، لقد امتد بلا حدود حتى عانق السماء متحداً معها، أها ارتحل الینّ المائي؟ أها موطنهم؟ كيف لهم ألا يخروا ذعراً من هذا الأزرق العظيم؟ وكيف لینّ الأرض من أمثال نيدرین الارتحال عليه؟ وحتى إن فعلوا فلماذا أين يتجهون؟ هل من أرض تحملهم بعد حدود الماء؟ وإن وجدت فأين هي؟ شعر الأولون باليأس كما الضياع، إن لم يتبعهم حورا ومن معه الآن، فهم سيفعلون في زمن ما، فهذه الأرض ما تزال لـ أورا حتى لو لم تكن في مسارها، لماذا استعجلت نيدرین انتفاضتها دون التفكير؟ من المفترض أن يمنحهم نادباس أرضاً لهم، عدا أنه ليس معهم، وما كان ليكشف عن ذاته الآن، فخطته الأساسية تقتضي البقاء حيث الینّ لإنقاذهم منها، وفي ذلك اليأس انفلج الماء بمخلوق قديم، هو أحد بنّ الماء الذين أمروا بالرحيل لزراع أفئدتهم في الأعماق، ماراحا أقبل إليهم، بهيئة مختلفة عما ألفوه بها، إلا أن رائحة الطحالب منه جعلت الینّ يعلمون من يكون، عدا أن هذا ليس كافياً للثقة به، لتراجع نيدرین ومن معها للخلف بضع

خطرات، أما مارا حاحا فحادتهم بحير منه.

«بعت لي ثادباس عبر طيف الماء بحيري عنكم، لقد كان عسراً فأمر  
بديري، لقد أفسدت ما قضى ثادباس الفيات بخطه له، والآن كل دبر  
في خطر من بطش أور؟»

بديري: «هل أنت هنا لتعطيني أم لمساعدتنا؟»

مارا حاحا: «سأساعدكم، فهذا ما طلبه مني ثادباس، سأقلكم لأرض  
نمضكم».

حادار: «كيف أخبرك ثادباس هنا وهو حيث أور؟»

مارا حاحا: «لأنه يحمل شيئاً من طيف الماء فيه، لقد شعرت عندما تشق  
فؤادي بفعل مخلوق بحري شرس، ليأمر طيف الماء بإنقاذني، ولما دنا  
اليوم بفضل».

بديري: «أوجد أطيف غير أور؟»

مارا حاحا: «هذا حديث عليك أخذه من ثادباس، فلن أخبر يا ليرته  
فيه حق».

أنثوس: «لقد ارتحل بعدك بين آخران، ميزويا وكيللو، هل زرع  
أفتدتها في الماء؟»

«لا هما حران مثلي، إلا أنني لم أخبرهما عنكم ولن أفعل، فهنا لم أر  
من ثادباس، فلا نعلم عن شرور الأفتلة بعد».

حيثما نزلنا

والأرض قل التجدد

نمره ماراحا صنع طوف فيرخل بهم عبر الماء، ليطيعوا دون تردد،  
مر من حدوة من الأخشاب ثم جمعوا بينها بحبال ورقية، وبهذا بات  
منه وسيلة لنقل، ليبر بهم ماراحا المحيط، هذا الأزرق الأبدي  
نصفه ما اعتد البن، مهما ارتحلوا فيه لم يجدوا له نهاية، وبعظمة حجمه  
من صوفه أراضي عديدة كل واحدة منها أكبر من سابقتها، عدا أن جميعها  
منية مقارنة بالبحر، كلما ارتحلوا أكثر ازدادت برودة الأجواء، ليغطوا  
خاضعاً بالعديد من الأوراق تقيهم التجمد، أخيراً وبعد ارتحال دام  
سعة أيام وصلوا للأرض الموعودة، حيث هبط بهم ماراحا لأرض  
سوداء اللون، أحيطت بـ جدران صخرية تلحفت باللون الأخضر  
الداكن، وعليها دبب الدواب بمختلف الهياكل، دواب لم يعهدوا البن  
من قبل، وخاصة تلك التي سكنت البحر، لتقفز بأحجامها العظيمة نحو  
السما، مرغبة للماء مجدداً، أو نفثت الماء متطايراً للسما من الثقب في مقدمة  
رأسها، بالرغم من وجود البن في أرض غريبة وتخوفهم من المجهول إلا  
نهم وجدوا السلام على هذه الأرض التي لم ترحمهم من بردها الأبيض  
سقط من السماء، إلا أنه كان بديعاً بما يفوق الوصف، وليتأقلم البن  
مع البرد القارس استخدموا جلود الدواب على الجزيرة، أول من اكتشف

الأمر هو عادار، ذات شتاء بارد عاصف، تاه هو وقليل من الينّ معه بين الثلوج وخوفاً من الموت انطلقوا صوب أحد الكهوف العديدة ليأووا إليه، وهناك وجدوا دابة نافقة، لا بد أن مخلوقاً آخر تناول من جسدها شيئاً، حين وضع عادار يده عليها وجد أن الشعر على جسدها دافئ كما لو أن البرد عاجز أمام هذا الجلد، ليزهر ورقة كبيرة حادة، وبهدوء سلخ الدابة النافقة، بالرغم من الذعر الذي اعتل من معه من الينّ، إلا أنه لم يبال فلقد رغب الدفء أكثر من أي شيء، وحين انتهى انطلق للخارج جالباً في يده ثلجاً نظف به الجلد حتى زالت دماؤه، ثم رماه على جسده، ليزول البرد تماماً، ويعود الدفء إلى جسده، ليصبح اللبن بعد ذلك وسيلة لحماية ذاتهم من قسوة البرد.

على تلك الأرض عاش الأولون لوقت طويل، جاهلين أي شيء يحدث على الأرض أو الينّ، كل ما علموا به هو تلك المخلوقات التي هبطت عليهم من السماء، لوقت طويل هيأت نيدرلين ومن معها ذاتهم لهجوم من تلك المخلوقات التي جهلواها، إلا أن آيّا منهم لم يزرهم يوماً، ثم ذات يوم ومن العدم شعروا بمرارة في أفئدتهم لم تكن الماء، أو حزناً، بل شيئاً من ضيق يحتاجهم، وكما بدأ هذا الانزعاج زال، وبعد أيام ليست بطويلة أقبل إليهم ثادياس، زافاً إليهم الخبر: أورا احترقت وبات الينّ أحراراً منها، لتسهل نيدرلين ومن معها بهذا الخبر والحرية الكاملة للعيش

دون الخوف من أورا. قضى معهم نادياس بضح ليال، ليخبرهم عن بعض الحقائق التي يجهلونّها، الأطفاف، لغة حوارهم الجديدة، الجان، الحرب، بين الماء، ارتباط الجان مع البين، وهجنتهم، ثم ذات ليلة قبيل ارتحال نادياس لوجهته التالية والتي لم يطلع عليها أحدًا، دار بينه وبين نيدرین حوار بدأته هي:

«ظننتك ستظل غاضباً لما اقترفته، فهل غفرت لي؟»

«لست تسألين هذا طمعاً في عفوي، أنت تريدين سماع الشاء، إثبات أنك متقنة البين من أورا، لا يمكنني إنكار جرأتك التي أنقذت البين معك، إلا أن هذا الأمر ذاته آذى الكثير من البين الآخرين، لقد سلبت منهم أورا أي فؤاد يشعر، إن عانيت أنت من رحيقها، فتخلي ما شعر به سائر البين عندما زرعت من ذاتها فيهم، والآن بسبب هذا باتت أفئدة البين معطلة، حتى بعد رحيل أورا أفئدتهم غير قادرة على الشعور، هم أجساد نسر بلا روح، هدف، أو رغبة، مجرد مخلوقات تعيسة، أنت حررت بعض البين، إلا أنك حكمت بالعذاب الأبدي على سائرهم، إن كنت نبخين عن الاعتراف بفضلك فلن تجديه لدي».

استشاطت نيدرین غيظاً من حديثه حيث إنه فقه روحها ببساطة وليس هذا فقط، بل هو يلومها على ما حدث في الماضي، هو لا يراها كمنقذة، بل كلاء أصاب البين، كيف يجرؤ على الاستهزاء بمجهوداتها؟ بكل ما مرت

به مع الأولين؟ وبالرغم من أنها قضت ألفياتها هنا بأمان بعيداً عن كل الحروب والقتال، إلا أن هذا لا يمنع نادياس الحق باستصغارها ومن معها، ومع هذا كظمت نيدرین غيظها وصمت عنه، ليرتحل نادياس عنهم لسنوات طوال قد تكون قروناً أو ألفيات، ليعود إليها ذليلاً طالباً المساعدة.

فيا أمطرت سماء الربيع زخات مطر باردة انحنت معها بتلات الأزهار رِضاً، ومن فوقها ركضت الخيول البرية بحرية عظيمة، وحين أن الأولين يقبعون داخل أكواخهم يراقبون تبدل المواسم إذ بطيف قديم يُقبِل إليهم، لقد كان نادياس ذا هيئة مختلفة، بعينين ملوهما الحزن، وكيان يحمل عليه أوزار الكون كلها، ليقبل عليه عادار مسروراً، لطالما كان روحاً نييلة.

«كم مضى من الأزمان منذ آخر لقاء لنا نادياس؟»

«لقد فقدت العد، فحيث كنت لا أعلم الليل من النهار».

أنثوس: «ما جلبك إلينا؟ ليس وكأن حضورك غير مرحب به»

أقبلت نيدرین: «أنت هنا لغرض ما، أنت بحاجة لمساعدتنا في أمر،

أليس كذلك؟»

كان سؤالها بمثابة رجاء للقدر، أن يُدَلِّل لها الآفاري، ليرجوها مهاناً.

ثم يعترف بخطئه نحوها، ليُعلن للين أن نيدرین لكم منقذة.

نظر إليها كمن يرى روحها جليلة أمامه، لقد علم جيداً ما تبتغي، ما رجته، ليجيها:

«بل أنا كذلك، لقد ساح البين في أنحاء الأرض بلا رغبة في أي شيء، في الحياة، كما أن ما لدي من علم قد يحدث تأثيراً سلبياً على مجرى الأمور إن علمت به المخلوقات سواكم، لذلك لا أجد على الأرض من قوة عذاكم، فإن كنت داعمة لي فسأعترف بفضلك على المخلوقات نيدرین، وأنني كل البين عن فضلك في ما هو قادم».

شعرت نيدرین بنشوة مريرة، هذا هو كل ما رجته، ما تآقت له منذ أمد، الاعتراف بفضلها، عدا أن مصدر مرارتها هو معرفتها بأن هذا الاعتراف ليس مخلصاً أو صادقاً، نادياس يقدم لها ما تبتغي فقط ليحصل على ما يرغب منها، ولكن أستكون انتقائية الآن؟ ما الذي سيم في إن كان نادياس يسعى فقط لإرضائها ليستغل نفوذها على البين؟ فهي أيضاً تستغل اسمه الذي هو أعظم منها لنشر وترسيخ مكانتها بين البين.

داخل الكوخ المركزي جلس البين يستمعون لما يقوله لهم الآفاري: «استمعوا إلي جيداً الآن، ما أقوله لكم هو اليقين فلا تجزعوا، أورا لم تقن، هي حبة نجوب الأرض مع حورا وقليل من البين معها، لقد حاولت زراعة ذاتها في الأرض، ولأجل أن تزهر استرقت من البين أفئدتهم، وقد أزهرت برعماً صغيراً للغاية، لكن هذه ليست المعضلة. ما يؤرقني هو

أنها زرعت من أفئدة البين في الأرض، لتثبت أشجار اللبن مزهرة، هؤلاء البين ضالون، وكما الأفئدة التي أزرعتم للمشاعر جاهلون، هم مثل الموه الخاوية المظلمة، بلا عقول تعمل، بلا علم، لغة، أو حتى هدف، أنشأتهم أورا جنوداً يحمونها من الجان إن اندلعت الحرب مجدداً، هي تختص من أفئدة البين أنقاها، بالرغم من السعير الذي أحرقها إلا أنها لم تنبذ عاداتها الجشعة، أولاً وقبل كل شيء علينا إنقاذ هؤلاء البين من أورا كما حورا، لأن فوادي عليهم ينشطر، حقيقة أنهم لا يملكون إرادة تخصهم تحطم روحي، لذلك هل أنتم مقدمون لي العون لإنقاذهم؟

للحظات طوال ظل البين في صمت، كما لو أنهم ينتظرون من نادياس أن يخبرهم أنه يمازحهم، فكيف لمن تم إحراقها لهشيم أن تعود؟ بل هو يخبرهم أنها لم تحترق على الإطلاق، أهذا لأنها طيف؟ بالرغم من أنهم لا يعلمون عن الأطياف إلا ما أخبرهم نادياس، لكن كيف للطيف ألا يحترق أو يزول؟ كيف أمكنها النجاة من كل هذا؟ ويعد كل شرورها وأفعالها على البين هي تعيد الكرة مجدداً.

نديرين: «أتعي ما تقوله لنا نادياس؟ أتعي أن هذا يعني حرباً أخرى بين المخلوقات؟ إن كان ما تقوله حقيقةً فهذا يعني أن البين سيحئون عن أورا راجين منها المشاعر، أن تمنحهم الحياة، ومجدداً ستشهد الأرض حروباً لا تنتهي، لا بد لنا أن ننهي أورا، لا بد لنا من إحراقها أو فعل شيء لإيقاف شرورها».

نادياس: «ليس بعد، ليس الآن، فنحن لا نعلم ما يحمله الغد لنا مع أورا، لكنني أرغب التقليل من قوتها قدر الإمكان، لهذا سأخلص البينّ الضالين منها، ولهذا السبب ذاته لم أجا لأيّ بِنّ آخر فلا أرغب منحها الدعم والسند من المخلوقات».

أنثوس: «وهل تظن أن الأمر سيطول لتعلم المخلوقات بعودة خالقتهم؟ عاجلاً أم آجلاً سيعلمون وستحتشد الجيوش لها».

نادياس: «أنت محق، ولكن أريدكم أن تتقوا بي بأن الأوان لم يحن بعد».

عادار: «وماذا لو أنك أخطأت في تقدير أوان تدميرها؟ لقد أخطأت من قبل عندما ظنتها احترقت، ولهذا السبب نحن نخوض هذا الحوار الآن، لا يمكننا أن نتحمل ثمن إخفاق آخر».

نادياس: «ماذا تقصد بـشمن، عادار؟ ما الثمن الذي دفعتموه أنتم؟ لقد فررتم من حيث أورا مبكراً جداً، لقد رحلتم مُحْلِفِينَ خلفكم بِنّا بنم اضطهاد أفندتهم، أرواحهم، عقولهم وأجسادهم، أنتم لم تقدموا للبِنّ أو الأرض شيئاً، ظللتم في سلامكم لوقت طويل حتى أن الجان لم يبرؤوا على الاقتراب من أرضكم الصقيع، فلم تعلموا عن أهوال العالم إلا الظفها، والآن تحاكموني على عدم إنهاء أورا! بعد كل المعاناة التي كللت روحي وعقلي! أديكم أدنى فكرة عن شعوري فيما راقبت أورا تزدري أغصانها في البِنّ وتستغلهم، فيما أنا عاجز عن إنقاذهم لأنني أخشى

إبادتهم من قِبَلْهَا، ماذا عن الحروب التي بَعَثُ الْبَيْنَ إِلَيْهَا؟ وكل الرسائل التي نقلتها لهم من أورا تأمرهم أن يقاتلوا من أجلها لأنها الأرض، ماذا عن الْبَيْنَ الَّذِينَ رَحَلُوا لِمَعْرَكَةٍ ولم يعودوا منها؟ وأولئك البواسل الذين أزهروا كسلاح للحرب فقط؟ أعتقدون أن آيًّا من هذا كان يسيراً علي؟ لقد فقدت روحي في سبيل حماية الْبَيْنَ منها، وكنت لأفعل أكثر من هذا، كنت لأنقذ المزيد منهم لو لم تتسبب أفعالكم الرعناء في جعل أورا يقظة نحو الْبَيْنَ، كنت لأخلصهم جميعاً منها، إلا أنكم كبستم يدي، فلا تخبرني عن التضحيات التي قمت بها، ولا تسألني عن الثمن، فلا أحد من الْبَيْنَ أو المخلوقات يعلم الوزر الذي أحله في فؤادي، فما بدأته أمرٌ لا يمكن إيقافه، أما ما ستؤول إليه الأمور فهو وزر يسحق الأرواح، فإن كنتم تملكون مقدار ذرة من ضمير أو روح فستقاتلون في هذه المعركة معي، إنها معركة واحدة للحظات قليلة، هي لا تكاد تعادل كل الحروب التي خاضها الْبَيْنَ لآلِيات.

قال ثادياس قوله ناهضاً من المجلس بسخط لم يعلم الأولون أنه يمتلكه، لقد فاجأ الجميع كما ألبسهم رداء الخزي، ما قاله صحيح، هم لم يعلموا من مشاق الحياة إلا ألطفها، كيف أمكنهم الشك به وعابته هكذا؟ ففي نهاية الأمر هو من أيقظهم من غفلتهم التي كانوا عليها حيث أورا، لولاه لكان مصيرهم مشؤوماً: إما أن يقتلوا في معركة ما، أو

نتخلص أفئدتهم، والأفطع من هذا إن تلاشت أفئدتهم لعدم مثل سائر  
البنّ الذين باتوا بلا أفئدة تشمر.

لم تهتم نيدرین لسخط نادياس، ولم يعن لها، وكم رغبت طرده من  
أرضها خائب الرجاء، إلا أنها رأت في أعينهم الشفقة عليه، كما الحزبي  
من تصرفاتهم، علمت أنهم ماضون لهذه المعركة حتى إن رفضت هي،  
ليس وكان لها سلطاناً عليهم، هي زحفت بهم بعيداً عن أورافحسب، أما  
المنفذ الفعلي لهم فهو نادياس الذي أخبرهم بالحقيقة وأرسل لهم ماراحا  
عابراً بهم المحيط، لطالما كان البنّ هنا سواسية بلا رئيس عليهم، بالرغم  
من أنهم استشاروها في بعض الأمور، إلا أنهم لم يدعوها قائدة قط، لهذا  
هي لا تملك القدرة على منعهم من القتال، وإن فعلت فقد يذهبون بعيداً  
عنها فتمسي بلا مخلوقات تتطلع لها، مخلوقات تُشبع حاجتها للتفرد،  
لذلك صمت نيدرین ولم تتمكن أن تفعل شيئاً تجاه الآفاري، بل هي لم  
تسبحرف واحد في الحوار المتداول بين البنّ الآن عما يجب عليهم فعله،  
جماً دون استثناء يشعرون بأنهم مدينون للآفاري بمعركة واحدة على  
الأقل، بالرغم من تخوف البعض إلا أنهم لا يملكون الجرأة للانشقاق  
على الجماعة، فهؤلاء البنّ لا يعلمون عن الكون إلا هذه الجزيرة وهذه  
للجموعة فأخر شيء يرغبون به هو نبذهم خارجها، لذلك أجمع الجميع  
على دعم نادياس.

اتجهت نيدرین حيث الأفاري ناظرًا لنجوم السماء وذلك الستار  
الأخضر المتوهج في سمائها، كم أحببت هذه السماء التي لم تعلمها أو تعتدّها  
بالرغم من أنها نظرت إليها ألفيات لا تحصى، إلا أنها جمال خالد.

نيدرین: «لقد أصبت الجميع بالخزي، فإن كان هذا هدفك فقد  
نجحت به».

«أترينني مخلوقاً مثل هذا؟»

«وما الذي أعرفه عنك حقاً أيها الأفاري؟»

«لا شيء، لا أحد يعلم أي شيء عني، فأنا وحدي من يعلم كل ما  
يَجِبُ أن يُعلم، أنا أعلم الماضيّ الدموي، والغد المظلم، وكل ما جت  
يدي، إلا أنني لم أخن يوماً، لم أكذب أو أتلاعب أبداً، لطلما كانت نوابي  
صادقة في إنقاذ البين وحمايتهم، حتى إن بدت أفعالي مشكوكاً بها أو بينة  
فلكل فعل سبب».

نيدرین: «وهل ستحمينا هذه المعركة من الغد المشؤوم؟»

«أتمنى ألا نصل لذلك الغد يوماً».

مكث نادياس شهراً كاملاً مع الأولين، في انتظار تأهبهم للقتال  
لقد نقل إليهم ذكرياته عن قتال البين والحروب، مما شكل لهم الكثير من  
الاضطراب في بادئ الأمر، إلا أنهم باتوا يعلمون أن هذا هو غدهم إن لم

يمكنوا من حماية ذاتهم، فأورا لم تندثر بعد، وحين تنهض مجدداً سيكون هؤلاء البين في طريق غضبها الذي سيجتاحهم في أي وقت، وبالرغم من أن طرقهم لم تلتق بالجان يوماً إلا أن هذا قد يتغير في أي وقت، لذلك عليهم أن يمسوا أقوياء لحماية أنفسهم. بالرغم من اضطراب الأولين من القتال وتخوفهم، إلا أن التدريب والقوة التي استمدوها كانت جديدة عليهم، شعروا بذاتهم جبارين، لم يعلموا أن بإمكانهم استخدام أجسادهم أو خصائصهم هكذا، مما مدهم بنشوة كما جبروت عليهم جميل.

بعد شهر كامل من التدريب قرر الأولون الانطلاق لأرض معركتهم، والحاس ملء أفئدتهم، ليصنعوا سفينة كبيرة اعتلوها جميعاً، كانت الخطة تنفي تقليص المسافة التي يقطعونها على مسار أورا، ولفعل هذا عليهم عبر الطريق الأطول عبر البحر عوضاً عن قطعه على اليابسة، وبهذا انهبوا للجنوب الغربي نحو اليابسة الضئيلة التي تفصل بين محيطين، ليقطعوها ركضاً خلال بضع دقائق لا أكثر، ليكملوا طريقهم عبر المحيط مجدداً مقترين من مسار أورا، ليجتاح الأولين شعور غريب بالحنين، ليس لأورا بالتأكيد، لكن لا يمكنهم إنكار تأثير مسارها عليهم، شعروا كما لو كانوا جزءاً من الأرض، عندما انتصفت الشمس السماء، رست سفينة الأولين على الشاطئ، لتقابلهم جبال صحراوية جرداء، بيثة غريبة عليهم لم يسبق لهم إحصار الصحراء، أو يروا أرضاً جرداء، تقدمهم ثادياس

منطلقاً في المسار آمراً إياهم بعدم التوقف فهم الآن في أرض الأعداء، بالرغم من أن نيدرلين أبغضت فعله وتولية السلطة إلا أنها تبعته بصمت فهي لا ترغب الموت بعد، في طريقهم أبصروا نقوشاً في الأرض، بخطوط طويلة، مستقيمة متقاطعة، ويمكن ليس ببعيد، ظهرت رسومات أخرى عظيمة ومتناثرة، تشرح حياة الين إن صح التعبير<sup>(١)</sup>.

عادار: «ما هذه النقوش؟».

ثادياس: «رغبت أورا إزهار ذاتها هنا، لقد كانت هذه الأرض غابة مليئة بكل أشكال الحياة وألوانها، صبت الأنهار من كل طرف، تساقطت الشلالات كأمطار من كل مرتفع، احتوت الأرض منازل للدواب كما أعشاش للطيّار، استخدمت أورا فؤاداً واحداً للين زارعة إياه أرضاً، فإما قام حورا بتخليد قصة أورا على الأرض لذلك نقشوا هذه النقوش على الصخر، إلا أن فؤاداً واحداً لم يكف أورا لتزهر، لذلك سلبت من الأرض مصادرها بعنف شديد حتى باتت هذه الصحراء الخالية من الحياة».

أنثوس: «أعني هذا أنها ستحول الأرض كلها لصحراء كهذه في سبيل ازدهارها؟»



ناديباس: «هي لا يمكنها الازدهار في الصحراء لذلك حرصت على  
الا تفسد أرضها التالية، ومن أجل هذا فقد ضمت عدة أفئدة للبن معاً  
من أجل أن تزدهر، كلما ذُبلَّ وجدان بدلت به غيره بهذا لن تحتاج مصادر  
الأرض، بل البن يكفون».

جوام: «وكم من البن ستحتاج لتزهر؟ هذا وحشي»

ناديباس: «لا يهم عدد البن، هي قادرة دائماً على استبدالهم، يمكنها  
إنشاء المئات أو الآلاف من فؤاد بن واحد، لذلك لن يفنى البن أبداً، ولن  
تفقد أورا مصادرها للعيش».

إن واجه الأولون أي شكوك في الماضي فقد زالت الآن، تبدل أي شك  
لبقن أن أورا لا بد أن تنتهي بلا محالة.

بعد ركض ليس بطويل، لاحت في الأفق تلال خضراء، بدت هيئتها  
غريبة فهي متماثلة، متوازية، كما أصغر من أن تكون طبيعية الصنع، حينها  
نوقف ناديباس هامساً: «بين تلك الأهرام<sup>(١)</sup> يقبعون».

رفع الأولون أعينهم راجين تبين هذه الأبنية، فهم رحلوا من أورا قبل  
تشيد كل الصروح، لذلك لا علم لديهم عن هذه الأبنية، عدا أنها بدت



بديعة مهيبة. أقبلت نيدرلين في رغبة منها لانتزاع السلطة من ثادياس والحصول على المجد الذي تستحقه قائلة: «لنطوقهم من كل الأنحاء، أنثوس، وعادار التنا للجانب الآخر منا، وستصعد جميعاً فوق هذه التلال لقتالهم من عليها، ولنحاول إنهاء أورا إن سنحت لنا الفرصة».

ثادياس: «لا تقتلوا أيّ ينّ ضال إن أمكنكم هذا، فهم لا يعلمون من الحياة إلا ما تم تلقيتهم، وكونوا حذرين من حورا فإن شره لا ينحسر أمام شر أورا، إن وضع من رحيقه فيكم فأنتم هالكون».

بهذوء انطلق كل من أنثوس وعادار صوب موقعهما، فيما انطلقت نيدرلين مع الأولين يتبعهم ثادياس، تسلق البنّ التلال بخفة كبيرة عماولين عدم إصدار أي صوت ينبئ الأعداء عنهم. انتظرت نيدرلين حتى رأت أن الجميع في مواقعهم لتظهر ذاتها من فوق التل هاتفة: «انطلقوا»

ليقفز الأولون صوب الأرض ونحو الجبل الضال الذين راقبوا دون أي ردة فعل، وذلك حتى هتف حورا: «لنقاتلوا، احموا أورا وإيائي».

اندفع الجبل الضال نحو الأولين لقتالهم، إلا أنهم كانوا يستخدمون أجسادهم وهجماتهم دون أي تخطيط أو هدف، هم يتحركون بعشوائية غريبة ومحنة، بل إن بعضهم اصطدموا ببعضهم الآخر أو أصابوا من هم من جيلهم ذاته، أهذا ما يعنيه ألا يحمل المرء عقلاً يعمل أو فؤاداً يشع؟ لقد كان مشهداً محزناً للغاية، لذلك تفاداهم الأولون منطلقين حيث

حورا الذي حمل بين يديه نبتة صغيرة ومن انكسار الشمس على أوراقها علمت نيدرلين أنها أورا، لتطارد حورا الذي تفاجأ بظهور عادار وأنثوس من بين الأهرام ليقطعا طريقه، إلا ان الينّ مع أورا أبعدها أنثوس وعادار بعيداً عن طريق الآفاري الذي صرخ للضالين: «لا تدعوهم يلحقون بي، لتضحوا بحياتكم من أجل أورا»

لتسارع نيدرلين خلفه، فجأة تلونت الأرجاء حولها بغبار أسود، وفيما عبرته شعرت بوعيها يتلاشى، وقبل أن تختر للأرض إذا بحبال تلتف حول جسدها جاذبة إياها بعيداً، وبالسّعة ذاتها تم دفع شوكة دقيقة في يدها لترى أنه عادار من أنقذها بدفع سمه في جسدها قاتلاً: «لا تسهوري، لقد أخبرنا ناديباس أن نحذر من حورا».

ومن بين أنفاسها اللاهثة قالت: «لكن أورا ترحل».

عادار: «لم يحن وقتها بعد».

ساعدتها على النهوض لتعود حيث باقي الأولين فتجد أن القتال انتهى، بل لم يكن هنالك قتال لأن ناديباس أمر الضالين بالتوقف ليستجيبوا له، الأمر الذي غاظ نيدرلين حتى السخط، إلا أنها تمالكت ذاتها مجدداً فلا ترغب خسارة مكانتها الآن، عدا أن الآفاري حمل نظرة غريبة في عينيه، لقد كان ينظر لمكان واحد صوب مخلوق واحد، إلا أنها لم تتبين هذا المخلوق لأن ناديباس أشاح بنظره بعيداً وبسرعة، وحين سألت جوام عما

حدث أخبرتها بأن لا شيء مميزاً قد حدث، كل ما في الأمر أن نادباس هبط من على الهرم، ليختل توازنه للحظات قليلة عدا أنه عاد للنهوض مجدداً، وقبل أن يسرق الأفاري لحظتها مجدداً انطلقت بين الحشود لتصعد فوق هرم ما قاتلة:

«أيها الضالون، أنا أدعى نيدرين، من جيل الأولين، أنتم أفئدة حزينة، ووجودكم مثير للشفقة، لكن هذا ليس خطأكُم، فأنتم لم تختاروا أن تزهروا في هذا الجهل أو الظلام، لكن أنا هنا مع الأولين لتحريركم من أورا كما حررتهم من قبل، لذلك اتبعوني حيث أرضنا، حيث الأمان بعيداً عن أي عناء، وحيث أنا ستكونون سعداء، سمنحكم من علمنا، سنترعكم من هذا الظلام كما الجهل».

راقبت نيدرين وجه نادباس فيما تحدثت، أرادت أن ترى فيه الغبط، الحسد، كما البغضاء، بل هي كانت لترضى بالفخر حتى عدا أنه لم يكن يستمع لها، لقد كان شارد الذهن، كما لو أن هنالك أمراً أكثر أهمية منها ومن نصرها، لم يبال نادباس بها أو باحتفالها، بل هو لن ينازعها السلطة، ببساطة هو غير مهتم، فلتحظ نيدرين بما ترغب به من حفاوة فيما سيمتج هو عن لعب هذه اللعبة معها. شعرت بحقارة نصرها، هذا ليس نصراً لها ما لم يعترف به نادباس، حتى لو لم يفعل كانت نيدرين لتقبل بقليل من الاهتمام منه أو ردة فعل على ما قامت به، عدا أنه لم يمنحها شيئاً من هذا، لتقرر رد الصاع له لاحقاً.

انطلق الأولون بتبعهم الضالون للشاطئ ليقضوا ليلتهم هناك، فيما كان نادياس يراقب البحر من على الرمل وحيداً، قدمت له نيدرین ومهاشربة ماء قدمتها له، لتأخذ مقعدها على الرمال التي تغت بصوت الأمواج تضرب شطآنه، لتقطع نيدرین الصمت: «ماذا بعد هذا نادياس؟ هل سظل معنا لتساعد في الضالين، أم أنك ستعاود الارتحال؟»  
«لست تساءلين رغبة منك لأبقى، أنت تريدين الاطمئنان أفي لن أملك مجدك أو سلطتك».

نيدرین: «مادمت تعلم الأمر فما هو جوابك؟»  
«لا تغلّقي ستظلين أنت النجمة الساطعة للأولين، فلست أهتم بسلطان، قوة، أو حتى مجد».  
نيدرین: «ما تبغيني إذا؟»

«أن لا تحمل روحي وزراً لست أقوى عليه».  
«وما هذا الوزر؟»  
«السامقيرين لأشاركك كل أفكارك وهمومي».  
«إنأدعني أطرح عليك هذا: هل ستحمل روحي وزراً ثقيلاً نظير  
بغدي هؤلاء الضالين؟»

«لن تحمل روحك أي وزر، لأن روحي فعلت».

نيدرلين: «ألهذا كنت شارذ الذهن اليوم فيما ألقىت خطابي؟»

«هنالك أمور أهم عندي من خطابك».

«أجل لقد أوضحت هذا جيداً، لقد أخبرتني أن المجد يعود لي في هذا الانتصار، إلا أنني لم أحظَ بأي مجد».

نادياس: «وهل هذا خطئي؟ كيف لي أن أعلم نوع المجد الذي تطمعين به؟ لقد انتصرتِ، حررتِ البَنّ، ما الذي ترغبين به أكثر مني؟»

نيدرلين: «أريد إقراراً منك بأهميتي، بأنني لم أخطئ أول مرة عندما أعلنت الحرب ضد أوراء، بأنني حقاً أستحق هذا الانتصار والمجد، أريد إقراراً بأنه لن يتم تجاهل اسمي في تاريخ البَنّ وانتصاراتهم، لا أقبل أن يتم استبعادني».

«إرضائك وإشباع غرورك ليسا واجبي، فأنا أحمل الكثير من الأمور على عاتقي ولن تكوني أنت أكبر اهتماماتي أو أولها، فأبحثني عن غبري لإتمام هذه المهمة، فلا طاقة لي لأوليك اهتمامي».

نيدرلين: «أعتقد أنك تملك الترف لتحدث معي هكذا؟ لعلك تحتاجني يوماً ما، وتعود إلي ذليلاً مثل هذه المرة، فأنصحك ألا تتعل علي، لأنني لن أمد يدي إليك مجدداً ما لم أخضعك لي».

«احذري نيدرلين، فأنت تتحولين لصورة أخرى من أوراء، فاحذري حتى لا تفقدي كل ما تملكينه الآن».

قال ثادياس قوله مبتعداً، عندها، قاومت نيدرین الرغبة لقتله حيث هو، إلا أن الأوان لم يحن لـ الآفاري المتعالي بعد.

ما أن أشرقت شمس اليوم التالي، حتى صنع الأولون سفينة أكبر من سابقتها، لينطلق بهم ثادياس مع الضالين نحو أرضهم، لدى وصولهم شعر الأولون بالسعادة للعودة لوطنهم، فقرروا صنع أكواخ لتزلاتهم الجدد، حيث إن الأولين هم من سيعتني بالضالين، إلا أن لـ نيدرین أنكاراً أخرى، فهي لن تحتفظ بهم في أرضها كمَجْدٍ كاذبٍ لم تنله، البينّ يعلمون جيداً أن ثادياس من أنقذ الضالين، فلا يمكن لها أن تتبجح بمجد يُظهرها كمغرورة متفاخرة لا تعرف الخزي، كما أنها لا ترغب بوجودهم حتى لا يكونوا مثل شاهد على فشلها، لذلك قبل أن يصنع البينّ أي شيء للوافدين الجدد تحدثت نيدرین على الملأ قائلة:

«رفاقي من البينّ، أشكر لكم لطفكم الذي أظهرتموه لهؤلاء الضالين كما إنقاذكم لهم، ما كنت لأرغب بأي شيء أكثر من أن أمنحهم وطناً معنا، إلا أنه بعد التفكير، أعتقد أنه من الأفضل لنا ولهم أن يحظوا بأرض غير هذه الأرض موطناً لهم».

هذه المرة نالت نيدرین ما تبتغيه عندما تغيرت تعابير ثادياس لسخطه بادٍ لشعره بالرضا يملؤها، إلا أن البينّ ما كانوا ليقبلوا بأمر كهذا دون تساؤلات، ليكون عاذاً أول السائلين:

«لماذا ترفضين منحهم وطناً في أرضنا؟ إنهم أرواح مرثيٌ لها».

«لأنهم أرواح مرثيٌ لها علينا السماح لهم باكتشاف الكون بأنفسهم، ما الذي يجعلنا مختلفين عن أورا إن أبقيناهم هنا؟ هل يحق لنا حبسهم في جهلهم؟ أو يمكننا منحهم ما هم بحاجة إليه؟ نحن الأولين أيضاً لا نعلم الكثير عن الأرض، وهذا لأننا عزلنا أنفسنا في أرض واحدة، وكم من المعرفة نملك لمنحها لهم؟ أنكفي لإخراجهم من الظلام؟ لا أعتقد هذا، لذلك علينا أن نمنحهم الفرصة التي لم نحظ بها نحن، ألا تعتقدون هذا؟»

تردد البين كثيراً، لقد وجدوا في حديثها المنطق، إلا أنهم أيضاً يرغبون بتقديم المساعدة، حينها تحدث نادياس قائلاً:

«لم أجد كلمات أكثر حكمة من هذه نيدرین، أعتقد أنك محقة في عثر الجيل الضال، سأخذهم أنا وأرتحل بهم لأرسم الأرض، وأجد طريقة تخرجهم من الظلام، فشكراً لمنحي هذه الفرصة».

ارتعدت نيدرین من حديث نادياس، ناظرة إليه، لتجد ابتسامة خيئة متصرة لم يرها غيرها ترسم على شفثيه، لقد وقعت في فخه، أيّاً يكن مر أو سببه، إلا أنه قام بجرها لهذا، لقد رغب الضالين معه لسبب لم تعرف بعد أو أبداً، إنه ذاته السبب الذي من أجله راقب نادياس البين الضال بذهن شارد، لقد وجد بين هؤلاء الضالين هدفاً، أيّاً يكن هذا الهدف

موجبات وجوده، لا بد أن نادياس لم يرغب أن يعلم أحد بهذا لذلك من الأفضل له اصطحاب الضالين معه، لتضليل نيدرلين عن هدفه، كم هو مكر هذا الـ آفاري، وليضمن أن لا يتم تعكير خطته تحدث بسرعة قائلاً: «لنرحل أنا والجيل الضال الآن، فلا أرغب الإلتقال عليكم أو إطالة وجودي، فلقد قمتم بدوركم جيداً أيها الأولون ولهذا أنا ممتن، وكل هذا الفضل يعود لك نيدرلين».

تمنت لو أنها تمزق تلك الابتسامة المبتذلة من على وجهه، لو أنها تقتله، عدا أنه ذكي خبيث، حصل على ما يريد، ألا وهو الرحيل من هنا دون اعتراض أو مشكلات، ليرحل مبتعداً دون انتظار أي حديث من الأولين ومعه رحل الضالون.

وذاث يوم بارد بالكاد سطعت فيه الشمس، رست على شواطئهم سفن حملت عليها أعداء لهم، إنهم جنود من أوربا عليهم أقبلوا، لقد كانوا من نخبتها الصامته، كما هجناء الجان وبين من مختلف الأجيال، جميعهم انطلقوا مهاجمين إياهم، ليقاتل الأولون بضراوة، إلا أن أعداءهم يفوقونهم عدداً كما قوة، فالأولون غير معتادين على القتال ضد نار الجان التي أخافتهم كما أحرقتهم، استعملت نيدرلين من سمها فيهم إلا أن نخبة أوربا لم تتأذى منه أو يصيبهم الجنون، كما أن الهجناء من الجان أحرقوا بتلاتها قبل أن تطاهم، لقد كانت معركة من طرف واحد، كما أنها أول مرة يعلم

فيها الأولون ما هي حقيقة المعارك، ليتجمدوا في أماكنهم غير عابئين  
كيف يقاتلون عدة أعداء في الآن ذاته، وفي دعر منها هتفت نيدرلين قائلة:  
«اهربوا، لننجُ بحياتنا!».

بجزعٍ فر كل البين على الأرض متفرقين، منهم من ارتحل عبر الكهوف،  
غيرهم من قفز من على الأجراف نحو البحر، بعضهم من قصد البراكين  
قاذفين أنفسهم فيها للموت، أما نيدرلين فقد رحلت عبر نفق جليدي<sup>(١)</sup>  
عكس صورهم المحطمة على جدرانها، ومن خلفهم كان أتباع أوراء، لعلوا  
صوت فرقة سياط عالية يتبعها تأوه، نظرت خلفها لتجد أن عاदार سقط  
أرضاً بظهر قد فلق من السياط، وفيها خطت إليه صرخ عليها قائلاً:  
«ارحلي، خذي البين معك وارحلي نيدرلين».

نيدرلين: «لا يمكنني تركك».

نهض عاदार على قدميه رغم الألم، ليمنح ظهره لها لتجفل من مظهره  
الممزق والنازف ليتحدث قائلاً:

«يا قائدة الأولين ارحلي من هنا فواجبك هو حمايتهم، كما فعلت دائماً،  
ارحلي نيدرلين فأنت أمل الأولين منا».



ثم أزهق منه جبالاً ورقية كما جذوع خشبية صانعةً جداراً عظيماً يحمي  
به رفاقه، تصلب نيدرلين في ذعر لما يحدث، لتجد أحدهم يمسك بذراعها  
ويخلعها بعيداً، وحين نظرت وجدته ثادياس، لم تعلم كيف له أن يكون  
هنا ولماذا، إلا أنه فعل، لتحاول أن تتخلص من قبضته عليها، إلا أنه  
أحكم الإمساك بذراعها لتصرخ: «دعني ثادياس، فعادار سيقتل، عليّ  
إنقاذهم فهور ريفي».

«ألم نسمعي ما أخبرك به؟ عليك حماية الأولين من أورا، عليك البقاء  
حية فدورك لم ينته بعد، ما تزال المخلوقات في حاجة إليك، ما تزال  
الحرب في حاجتك، دورك على الغبراء لم ينته بعد، لقد أقسمتُ على إنهاء  
أورا، وسأفعل، ستدفع ثمن كل خطاياها، سأسلبها كل ما تتمنى كل  
رغبته وجشعها، سأجعلها تندثر مهما كان الثمن، لذلك لتحبي نيدرلين،  
لتبقي حية فتشهد هذه النهاية، ولترجلي راضية».

فرفت نيدرلين الدموع فيما قالت بصوت يرتعش: «أنتقسم لي بحياتك؟  
أنتقسم على إنهاؤها؟ حتى لو عنى هذا نهايتك؟»  
«أجل أقسم لك على هذا».

عبر الاثنان النفق الجليدي والذي في آخر خطوة فيه حل صوت  
صراخ عادار صدى تردد في الأجواء وهبط على فواد نيدرلين ندماً وقسماً  
لن يندثر، إن كان قدر عادار هو الموت فنعم الميتة هي، وإن كتب عليه

القدر عذاباً بين يدي أورا ومن معها، فقسماً على روحها أن تنفذ بها  
كلف الأمر، لتمنحه ميتة رحيمة.

توقف البين مع نيدرلين على ضفاف النفق الذي يؤدي للمحيط، صائعين  
لأنفسهم قارباً، فيعتليه الجميع ومعهم نادياس الذي حرك الماء بسرعة،  
لتنظر نيدرلين حيث جزيرتها ووطنها الحبيب، فترى البين من رفاقها يقفزون  
للمحيط فارين من الأعداء ليتخبطوا في الماء، ومن تأخر في القفز تم القبض  
عليهم بحبال مختلفين على الأنظار، لتحدث لنادياس قائلة:

«علينا العودة وإنقاذهم سوف يغرقون، افعلي شيئاً فأنت تملك الطيف  
فيك».

نادياس: «لن أعود، هذه تضحية علينا القيام بها».

«أفقدت عقلك؟ هؤلاء رفاقي، استخدم طيفك الآن وأنقذهم»

نظر إليها نادياس فيما استمر بتحريك الماء، بالرغم من أنها رأت  
السخط في عينه عدة مرات إلا أن لا شيء قريب من هذا، لقد كان حثافاً  
شديداً حتى أن لونه الداكن ازداد شوماً، لقد مثلت عيناه رغبة انتقام،  
قتل، تعطش للدماء، لسماع صرخات رجاء واستغفار، هذه النظرات لم  
تكن لها، بل لـ أورا التي أبغضها من سحيق فواده، رغب تدميرها، لطالما  
أخبرها أنه يقاتل من أجل البين والبين فقط، إلا أن هذه أول مرة تصدق  
نيدرلين، من بين حنقه وبغضائه صدقت كلمات الآفاري.

نادباس : «استمعي لي جيداً نيدرین أيتها البنج الأسود، لا تجربی على إخباري كيف أستخدم الطيف في، ولا تجربی أحداً من المخلوقات يوماً بحملی له ما لم یأتك بعلم یقین، لأن الطامعین في هذا الطیف أعظم منی ومنك، إن كانت أورا شراً مهیباً، فما یوجد تحت الماء من بَن لا یقلون شراً عنها، صنعت أورا البَن للاستحواذ على الأرض، فصنع هو بَن الماء، هو يرغب هذا الطیف في، یطمع في السيطرة على الماء كما ترغب أورا الأرض، لذلك لن أدله على حیث هذا الطیف، لن أمنحه بصیص أمل بالحصول علیه، لیختق میزویا بجشعه حد الموت، هو قریب منا الآن، ینجه إلینا، وسیعلم بما أحمل داخلي، لیشن حرباً علینا في عرض المحيط، ولا أحد منكم سینجو منها، فهل أنت مستعدة لهذه المخاطرة الآن؟ أم نودین العیش يوماً آخر للانتقام؟»

لم نجد نیدرین فیها القوة لتجیب كانت ترتعد ذعراً من نادباس وإن لم تظهر ذلك، تلك اللحظة أیقنت أن الأفاری قوة لا یستهان بها، هو لیس مخلوقاً ترغب به عدوّاً لك، بل أنى لها أن لا تلاحظ هذا قبلاً؟ لقد استغل لطفه الذی یخفی خلفه أمكر العقول وأدھاها، لقد أنقذ البَن من أورا بسلامة تامة، ولولا تدخلها ذلك الیوم، لربما تمکن نادباس من إنقاذ كل البَن من أورا فلا یقی لها إلا جذعها الخاوی، ثم عاد لیسلبها أرضها كما بَنها الضال دون مجهود یذكر، ولعب اللعبة ذاتها على نیدرین عندما تحدته

فسلب منها الضالين ليخفي هدفه الحقيقي، كيف أمكنها أن تكون بهذا الغرور فلا ترى كل العلامات الصارخة بأن هذا البين قوة لا يستهان بها؟ تنحى ثادياس عنها مكملاً النظر صوب المحيط، قطع الأفاري مسافة كبيرة للغاية، تخطى عدة يابسات ولم يتوقف أو يخفف من سرعته، عداً شيئاً من حنقه قد تضاءل، شعرت نيدرلين بهذا، لتجد الشجاعة للتحدث معه بهدوء، فلقد قررت مسبقاً أنها لن تتخذ من هذا البين عدواً لها، بل هما حليفان في السراء والضراء وحتى الموت، وتحت سماء مُلئت بنجوم الليل وفيما البين نيام من الإنهاك الذي تعرضوا له، أقبلت حيث ثادياس قائلة: «لم أشكرك على إنقاذنا، أعذر عما بدر مني، الآن وسابقاً، نحن حليفان معاً ولن نتخذ منك عدواً لي».

«سبق وأخبرتكم أن هدفي هو حماية الأرض من شرور أوراء، أيّاً تكن أشكالها وهيئاتها، وأنت أحد السبل لإنهائها».

«أترانا جميعاً جنوداً في حربك عليها؟ ألا ترى فينا رفاقاً؟»

«لست أملك الرفاهية لهذا، إن أردت أن أمنع تحقق الرؤى فعلي أن أفعل أموراً لا يقوى عليها غيري، ولأفعل هذا عليّ أن أمتلك فؤاداً من صلب، لا يحمل فيه أكثر من عزيز واحد».

نيدرلين: «أهنا العزيز من البين الضالين؟ لقد رأيتك تنظر إليهم ذلك

اليوم، تنظر إلى أحدهم إن صح القول، فمن ذلك البن الذي تحمله في  
فؤادك؟»

«ليس للضالين في فؤادي مكان فهم لهم ما لكم من مكانة، مجرد جنود  
على هذه الغبراء، أما العزيز على قلبي فهو مجرد أسطورة يحكي بها البشر،  
مجرد قصة، أنقى من أن تكون واقعاً».

«أنت ماكر أيها الآفاري، لذلك لن أزيد الحديث في هذا الأمر، عدا أن  
عليك أن تخبرني، كيف علمت بهذا الهجوم علينا؟»

«رأيت حراك الجنود بمساعدة الأطياف، ولم يكن الحراك لكم فقط،  
فلقد ارتحل الجنود أيضاً حيث الجليل الضال وقد أرسلت إليهم بخبر  
ينقذهم من أورا».

«أين نقودنا الآن؟»

«حيث تكونون على مقربة من بعض الحلفاء فلا أعتقد أن أورا تجرؤ  
على الهجوم بالقرب من تلك الأرض».

بعد يومين في البحر رست السفينة حيث اليابسة لأرض ملئت جبلاً،  
أنهاراً، وبحيرات، وسماء تذررت بالغيوم، هذه الأرض لم تكن بمثل برودة  
أرضهم الحبيبة، إلا أنهم سيتكيفون عليها كما سابقتها، انطلق بهم ثادياس  
بين الجبال، والوديان ومن حين لآخر قابلوا مخلوقات لم يعرفوا عنها شيئاً،  
شيء منهم شابه البن كثيراً، إلا أنهم لم يتلونوا بألوانهم ذواتها، فلم تنقش

على أجسادهم الأزهار، لم تُصَنَّ شعورهم بالذهب والفضة، أشار لهم  
ثادياس بالبشر، هم لا يملكون من الحياة طولها، أو من الأبدان أقواها،  
إلا أن أذهانهم وإصرارهم لا تختلف عن أي مخلوق آخر، ومن الأفضل  
للبن عدم استغلال ضعفهم لأن البشر لا يهابون شيئاً، فهم مستعدون  
لإشعال العالم ناراً ما أن شعروا بتهديد يطل أوطانهم أو حرياتهم. في  
ترحالهم أبصر الأولون الجان النقي، ليكن واحداً أو اثنين متفرقين لعلهم  
يتسكعون أو في مهمة كما أخبرهم ثادياس:

«إن قابلكم أحد من الجان حيث موطنكم فتبينوا مآربه أولاً، إن كان  
مرسلاً من ملك الجان زائيل فلا تدخلوا في قتال معه، فهو لن يقاتل البن  
منكم، لعل الجان يحمل رسالة للهجناء، حيث إن موطنهم قريب منكم،  
لذلك لا تعبثوا مع الجان ولا مع الهجناء إن التقت طرقتكم، فهُم حلفاء  
باسيليا وأي هجوم عليهم يعني الهجوم على مملكة الجان وهذا آخر شيء  
تريدونه، سبق وأن نبات الهجناء بقدمكم وموطنكم قريب منهم فلا  
تقلقوا وكونوا حذرين، لا تأمنوهم لكن لا تقتلوهم بلا أسباب».

يديرين: «والجيل الضال هل سيكونون معنا؟»

«لا لقد قدمت لهم أرضاً أخرى ليست عن الهجناء ببعيد، ومع هذا  
فانا أفضل أن يكون بينكم وبين الضالين خط تواصل، فهذا أفضل لكم،  
بالرغم من علمي بعدم اهتمام زائيل بالبن، إلا أن هذا قد يتغير في أي

لحظة، لذلك في حال حدوث هجوم على أحدكم عليكم حماية بعضكم بعضاً».

نيدرین: «إن حدث أمر كهذا فسأعتمد عليك لإنقاذنا مجدداً».  
«عليكم الاعتماد على أنفسكم، فلا علم لي كم سألبث على هذه الأرض».

أوصلهم نادياس لأرضهم الجديدة، بين الوديان استقروا، على أرض تلوت بهم وأزهرت من أزهارهم، رحل الآفاري عنهم بقول واحد قدمه كير لـ نيدرین:

«احذري هيرانم من الهجناء، لا تقشي عنها فقط كوني حذرة، لا تدعيها تعرف نواياك».

لم يحظ السلام بمكان في أفئدة الأولين فلقد لازمهم القلق من هجوم جديد، والأمر من هذا هو أنهم غير مهينين للقتال جيداً، لذلك أخذت نيدرین بنصيحته، أن تجد من يسند ظهرها، لتذهب بنفسها حيث الهجناء، على تلك الأرض ذات الجبال العمودية وقفت بين الضباب منادية: «أيها الهجناء لست بعدو لكم، أنا نيدرین البنج الأسود، بنّ من الأولين، أخبركم نادياس عنا، وأرغب مقابلة قائدكم».

بعد قليل من الوقت انتشع الضباب ليظهر جان أسود اللون مهيب،

عرف عن ذاته ببالاي: «ما الذي أتى بك هنا أيتها البن؟ أخبرنا ثادياس أنكم لن تتجاوزوا حدودكم، فهل أنت مخلقة الوعد؟»

«أنا أذكرك نيدرین أيتها البنج الأسود».

أتى صوت من خلف بالاي، لتظهر بن أنثى بأزهار البلامون الزرقاء، بدا صوتها حزناً ذابلاً، ورؤيتها بجسدها الضعيف ووقفها المترددة أكدت الأمر.

نيدرین: «أنا أذكرك، أنت بن من الأولين مثلي».

«هيرانم».

«أجل كان هذا اسمك، لقد مضى وقت طويل».

بالاي: «لا أعتقد أنك هنا من أجل حنين لماضيٍ سحيق، لذلك أربح معرفة ما أقصدهك أرضنا؟»

نيدرین: «لقد تمت مهاجرتنا في أرضنا كما تعلم، وقد كان بعض المهاجرين من هجناء الجان، نحن الأولين لا نملك الكثير من الخبرة في القتال وخاصة قتال الجان لذلك ألجأ إليك لمساعدتنا على تطوير ذاتنا، لعل أورا تُغير علينا مجدداً، وحتى لو لم تفعل أقسمت على تدميرها نظراً لما قامت به من قتل رفاقي، لذلك أطلب منك مدناً بالقوة وتدريبنا، لكن أنت أو أحد هجنائك لست أمانع، أنا أربح القوة فحسب».

صمت بالاي لبعض الوقت لينطق: «دعيني أفكر في الأمر، فأنا لا أرغب منحك قوة لتستخدميها ضدي لاحقاً، كما أننا حلفاء مع باسيلييا ولست أنوي خيانة تحالفي معهم».

«من أجل هذا التحالف مع باسيلييا ستضمن أنني لن أشن حرباً أو معركة ضدك، لقد عانت صفوفي الكثير من الخسائر ولست بالحمقاء لأعلن الحرب على حلفاء مملكة الجان، كما أنني لست أطمع في تحالفٍ معك أو معهم، بل هو تبادل المنافع».

«وبماذا أستفيد أنا من هذا التبادل؟»

«أن أكون أنا والأولون أول من يقاتل معكم إن أعلنت الحرب ضد أورايوماً، أنت تعلم أن هذا ليس بأمر مستحيل أو بعيد».

«ارحلي الآن، وسأمنحك جوابي بعد أيام من الآن».

ومع هذا لم تتوقف نيدرلين، بل انطلقت لأقصى الأرض، وعلى شاطئ البحر وقفت تتساءل كيف تقطعه؟ وإلى أين؟ فهي لا تعلم حيث الضالون، كل ما أخبرها به الآفاري أن بينهم من يقرأ تغيرات الرياح، لم نغ نيدرلين ما يعنيه هذا، إلا أنها قررت الإيمان بـ ئادياس لتتظر، وبعد مضي نصف يوم، اقترب من الشاطئ قارب مزهر يحمل عليه اثنين من الضالين، أحدهما كانت الزنبق العنكبوتي، لتسعد نيدرلين بهذا.

«شكراً لقدومك».

«فعلت ما أملاه عليّ نادياس فحسب».

نيدرین: «أخبرني أن نتحالف معاً، أن يكون بيننا تواصل».

أومات الينّ الخالية من الحياة بالموافقة لتردف نيدرین: «وكيف نفعل

هذا؟»

«أتجيدین اللغة المكتوبة؟»

أجابت نيدرین بالنفي، لتمدد الينّ جذوراً منها لتفعل الأخرى للتل  
لتنقل لها معرفة الينّ باللغة المقروءة، ثم ناولتها حجراً لم تر مثله نيدرین  
في الجمال والروعة، إلا أن روعة الحجر الملون تعكرت بقليل من التراب  
الذي سبغ داخل فقاعة مائية، لتردف الينّ:

«حركي التراب داخل الحجر، كما سأفعل أنا، ولا تحادثيني ما لم يكن  
الأمر مهماً، كما سأفعل أنا».

أرادت صفع الينّ على طريقة حديثها وتعاليتها، إلا أنها أدركت أن  
هذه الينّ لا تحمل شيئاً مثل التعالي، هي مجرد أداة بلا هدف أو رغبة، كما  
أنها في حاجة لها الآن فلا داعي لخلق العداوات فيما هي الطرف الأضعف  
في أي نزاع ستفتعله. عادت إلى حيث أرضهم الجديدة لتجد أن رفاتها  
أقاموا المنازل من الأوراق، والأخشاب، لتمضي بضعة أيام حق فيها

بالإي وعده، فلقد أجابهم بالموافقة على تدريبهم، ليرسل إليهم هجيناً  
أولاً مرة في الشهر، وامتنع عن إرسال أي من الجان، أمر لم تعترض عليه  
فمن الحكمة ألا يشاركها كل خبراته وقوته. لتمضي قرون طوال، زارهم  
فيها نادياس مرتين أو ثلاثاً، ثم بعد انقطاع دام ألفيات وصل لمسمعها  
مقتله على يدي ميزويا، أخبرتها البين من الجيل الضال بالنبأ، لتجد فؤادها  
حزيناً عليه هو من أفنى كل حياته من أجل البين، كما أنها شعرت بالغدر  
والمرارة، لقد وعدّها أنه سينهي أوراء، أنه سيضمن ذلك، فلم قُتل قبل  
إنهاء الأمر؟

لكن الآن في هذا الحاضر، وهذه البعثة من أثران أمامها تذكرت مكر  
نادياس، لعل موته جزء من هذه الحرب، لعله أوصلهم لهذه النقطة حيث  
الجميع يتحالفون من أجل إنهاء أوراء، وليس أي مخلوقات، بل قائد البين  
الأعظم سيون، وأسطورة الجان نامار، تبسم فؤاد نيدرین سعادة لأن  
انقضاء قريب، وشكر آل نادياس على عقله الذي خطط لكل شيء مسبقاً.  
حوار البعثة مع نيدرین لم يتو بعد، حيث إنه ما يزال لديهم بضعة  
أسئلة ليكون الدور لسليل نامار هذه المرة،

يلها: «أمر أخير، أتعلمين لماذا قد يتعاهد بين المحيط مع أوراء؟  
وماذا تعلمين عن متاجرة أفئدة البين عن طريق هيرانم؟»

«بَيْنَ المحيط مغفلون، مُعَمَّون، بلا عقل، لا يدركون ما يفعلونهم ميزويا فهو غدار، جشع بلا ذرة وفاء أو مبادئ، ولعل أورا اتخذت منه حليفاً نظراً لسيطرته على المحيطات، أما هو فقد وافق على هذا العهد لأنه يريد اعتزافاً بقوته وسيطرته، ومن أفضل من أورا المنح كبريائه كما غروره ما يحتاجه؟ لعلها سمحت له بالسيطرة على كل البحار والمحيطات في مقابل العمل معها، أما هيرانم، فهي جبانة إنها تخشى على حياتها أكثر من أي شيء آخر، لعلها تضحى بكل شيء في مقابل بقائها حية، سبق وأن أخبرني نادباس عما فعلت مع ميزويا، الذي قتله نظير جشعه الذي لا يمتلى»

سيون: «هل يجب أن نخشى غدر هيرانم؟»

نيدرلين: «أجل».

زعزعت هذه الإجابة الأرض من تحت البعثة، فلقد أثبتت لهم مخاوفهم كما شكوكهم، علم نامار أن عليه الآن التواصل مع زابنيل لتحذيره.

عندما جنح عليهم الليل، وداخل الكوخ الذي مُنح لهم ليقضوا الليلة فيه، أطلق نامار غيمة دخانية أحاطت جدران الكوخ من الداخل، ليمسح استراق السمع، جلس الجميع في حلقة فقد حان وقت الحقيقة، بدأ نامار بإرسال المعلومات لـ زابنيل عبر حجر ذي حمم بركانية متأججة، لتأتي الإجابة على هيئة لهيب أبيض، ثم قال: «زابنيل قد استعدى الجان من الهجئات أولاً، طالباً منهم الالتحاق بالحرب القادمة وقض عهدهم مع بين

الماء وقد وافقوا سعداء، والآن هجناه الحان مع البين من فوهم يستعملون  
للاقتال لـ باسيلييا للقتال، لعل زابيل يرغب وضعهم تحت ناظريه ليدروا  
عن احتمالية الخيانة».

سكارم: «ومع هذا لا يمكننا الاطمئنان لهذه المدعوة هيرانم».  
سيون: «حسناً لدينا حديث آخر مهم جداً، ما يقال الآن لا بد أن  
لا يخرج من هنا، لا تنفخ هوا به لأحد مهما حدث، هل حديثي واضح؟»  
أوما الجميع حينها نظر سيون لـ لين في إشارة أن تبدأ حوارها.  
«حسناً أولاً أريو وإيلهاب أنما لا تعلمان هذا، ولكن سأخبركما  
بحقيقة مولدي، ثم سأخبركم جميعاً بما علمته مؤخراً عن حقيقة قوتي».  
نصت لهم لين من تكون، وحقيقة أنها تخفي المالك الذي هو جزء  
من مبنا داخلها، ثم عن الطيف التي تحدثت معها غيرة إياها عن عناصر  
قل أوراء، وأن هذا الطيف جزء من وجودها، راقبت لين فيما بدت  
الصدمة على رفاقها الذين لم يعلموا شيئاً من هذا وخاصة أريو الذي  
أنه حقيقة إخفائها أمراً كهذا عليه، حتى سكارم بدا عليه الانزعاج من  
إخفائها سرّاً عليه وهما رفيقا درب منذ وقت طويل جداً.

لين: «أعلم ما تفكرون به، لماذا أخفيت أمراً كهذا عليكم؟ ليس  
لأمر علاقة بعدم ثقتي بكم، ولكن...».

نامار: «لقد كانت تتبع أمرنا أنا وسيون، كما أمر شاوران الذي منع الإقضاء عن حقيقتها منعاً باتاً».

سيون: «شاوران وجلنار لا يعلمان بأمر الأطياف بعد، فهذا الأمر مستجد لنا جميعاً، وكما قالت ليبيّن ليس للأمر علاقة. بعدم الثقة، إنها الخطورة تقع في المعرفة».

كان أريو غاضباً كما إلهاب وسكارم لأنهم لم يجدوا سبباً يبرر إخفاء أمر مهم كهذا عليهم.

أريو: «أين الخطر في معرفتها بهذا؟»

نامار: «الخطر يقبع في البينّ ذي سم الهذيان، ماذا لو وقعتم في بدي أحدهم وتم تخديركم لقول الحقيقة؟ حينها ستكون ليبيّن التي تملك أحد عناصر تدمير أورا في خطر».

إلهاب: «إذا ما الذي تغيّر الآن، لماذا تخبروننا بهذا الآن؟»

سيون: «لأننا مُقبلون على نهاية الرحلة كما بداية الحرب، لا نعلم إن كنا سنتجو منها أم لا، إن حدث شيء لي ولـ نامار فلا بد لكم أن نعملوا عبء هذا الأمر حينها، إيجاد العناصر المتبقية وإنهاء أورا، أنتم لم تعودوا الأطفال الذين بدؤوا هذه الرحلة معنا، أنتم تعون الآن حجم المهمة التي نقوم بها كما وزرها، لا بد من إنهاء أورا، لذلك في حين موت أحدنا أو

كلينا، وإن كنا في المعركة ورأيتم فيها الخسارة، فعليكم الانسحاب فوراً،  
نحت أي ظرف يكون، عليكم أنتم الأربعة البقاء أحياء، لأنكم الوحيدون  
الذين يعلمون حقيقة إنهاء أورا، لذلك نحملكم مهمة إنهايتها وإنقاذ  
المخلوقات منها، لأننا نأتمنكم ونعلم جيداً قدراتكم، عليكم معاهدتنا  
على إنهاء الأمر مهما كانت التضحيات، هل هذا واضح؟»

سكارم: «حتى لو عني هذا رؤية أحدنا يُقتل؟»

نامار: «ما دمت أنا أو سيون حيين، لن ندع أحداً منكم أنتم الأربعة  
يُقتل، لن نضحى بكم، أو نتخلى عنكم، هذا نقسم عليه بحياتنا، ولكن...»  
إيلهاب: «لنتوقف عند هذا الحد، لا نتحدثنا عن الموت، لقد أقسمنا  
على أن نهي الأمر أحياء، لذلك لن نضطر لإنهاء الأمر بمفردنا، مهما  
نكن نتيجة المعركة القادمة عليكم البقاء حيين، ولننهِ الأمر كما بدأناه،  
معاً».

أريو: «نحن نرفض حل هذه المسؤولية، ابقيا حيين وأنبيا ما بدأتما».

سكارم: «لو أننا ظللنا بمفردنا فعلى الأغلب ستتقاتل ليل نهار، فمن  
الأفضل بقاؤكما للسيطرة علينا».

ليين: «كما أني لا أثق بهم عندما يتعلق الأمر بالتصرف الحكيم، فهم  
طاشرون، لذلك لا أتمنهم على طيفي».

تبسم كل من سيون ونامار، اللذين علما أن رسالتهما وصلت إليهم  
وأفزعتهما، هم يعلمون جيداً ما تحمله الحرب من موت، إلا أنهم لا  
يرغبون بالتفكير به، هم مستعدون لحمل كل الأعباء كما المسؤولية،  
عدا أن الحديث عن الموت شيء مكروه الآن، لذلك توقف الاثنان عن  
الحديث أكثر بشأن الموت، لتشرق الشمس حاملة معها الأولين إلى حيث  
أثران، أما البعثة فقد اتجهت لآخر وجهة لهم حيث الجبل الضال.

## الضالون

في ترحالهم لمحطتهم التالية، تحتم عليهم عبور البحر، وكما خشي سيون ونامار، عم الهدوء الرحلة لا هجوم من بين المحيط، لا بد من وجود أمر مريب لعدم تهجمهم عليهم، وحين الاستطلاع مع شاوران علموا أنه لم توجد خسائر في صفوف الحلفاء الذين ارتحلوا لـ أثران، بالرغم من أن عدم خسارة أي جندي يعتبر أمراً إيجابياً ولمصلحتهم إلا أن هذا الهدوء غيف كما مريب، ما الذي يدفع أورا لهذا السكون؟ هي من ترغب السيطرة، إخضاع المخلوقات والحرب، لقد قضت المخلوقات ألقيات تهرب منها، وكل منها يحمل قصة عن وحشيتها، فلم الهدوء المريب؟ لم يرغب القائدان أن يكونا متشائمين لكن هما أخبرُ من ترك الأمور للمصادفات، لذلك قررا الانتهاء من الجليل الضال والعودة لأثران فقط للاطمئنان، وبعد ذلك سيرحلون مجدداً للبحث عن تبقى من الحلفاء.

كانت سعادة البعثة لا توصف لدى معرفتهم باقتراب موعد عودتهم، لقد غلب الشوق ليين وسكارم، ومع هذا النبأ الجديد ارتفعت همتها قليلاً وازداد الشوق لمن ستراهم أعينها قريباً، كما كان الحال لـ أريو وإلهاب اللذين لا يرغبان بشيء أكثر من النوم المريح فوق فراش دافئ وتحت دثار ناعم، كما وجبة طعام لذيدة تروي جسدهما الذي سئم الطعام

الجاف، فلا أحد من البعثة يجيد الطهو، وحتى لو أن أحداً فعل فهم لا يملكون رفاهية الطهو الفاخر.

أخذوا خطواتهم داخل غابة من سيقان الخيزران الشائخة، الرشيقة، كما الهادئة، لطالما أحب إيلهاب الوجود بينها، مثل تلك الأيام التي قضاه وهو يركض بين ثغراتها حين كان يلهو مع والدته وهو طفل أو عندما اتخذها أرضاً لتدريباتهما معاً، يذكر رائحة الهواء التي تَعُمُّ المكان، كما الرياح المنعشة التي تجعل الخيزران ينحني لها بهدوء ثم يعود للانتصاب مجدداً في مكانه بعزة لا يحطمه شيء. أصوات خطوات أقدام تسحق الأوراق الجافة أسفل منها، جعلت البعثة تستعد لما هو قادم، فهم ليسوا بمفردهم، ليظهر أمامهم بشري، حليق الرأس يرتدي ثياباً بيضاء، يحمل بين يده خرزات خشبية مضمومة داخل خيط طويل؛ حتى البشري رأسه لهم، وعندما استقام تحدث معهم بلغة لم يفهموها. ما أثار استغرابهم هو أن البشري لم يجفل منهم أو يرتعب، كما أنه لا يحمل شيئاً من البين داخله، إنه بشري نقي، اتجه نامار صوبه واقفاً أمامه ليثبت من حقيقة البشري، قائلاً: «هو لا يصبرني».

سيون: «كونه لا يخشانا يعني أنه على معرفة بالبين».

عاد البشري للتحدث، وعندما أيقن أنهم لا يعون ما يقوله، أشار لهم بيده ليتبعوه، ترددت البعثة قليلاً، إلا أن البشري أعاد الإشارة لهم

بإتسامة هادئة، ليتبعوه مغامرین، بعد عدة خطوات تجلی أمامهم حقل من  
الأزهار الحمراء الدموية، علم سیون حالاً أنها زنبق العنكبوت الأحمر، لا  
بد أن الین من الجیل الضال التي تعرفها سینا هنا، لیکملوا طریقهم خلال  
الحقل الساحر، وعندما عبروا غابة الخیزران التي تلت الحقول وجدوا  
قرية صغيرة أحاطها سور من أعمدة الخیزران المصفوفة، داخل جدرانه  
وُجدت منازل خشبية أنيقة، صغيرة، وحیمة، وفي شوارعها النظيفة سار  
الین والبشر جنباً إلى جنب دون أي خوف، في تناغم جمیل هادئ. مثل  
مرشدهم لم یذعر البشر لدى رؤية الین، عدا أن الجیل الضال تَلَقَّقُوا  
في أماكنهم لدى رؤيتهم زوارهم، إلا أنهم لم یظهروا أي عداوة، أخيراً  
توقفوا أمام أحد المنازل، حرك البشري الباب المتزلق واطناً داخل المنزل،  
خالعاً نعليه لینهر البعثة عندما دخلوا المنزل دون خلع ما في أقدامهم،  
لبشر لهم ییده أن ینزعوها.

«أرجو أن تعذروا فظاظته، فهو متعصب لعادتهم، لا یقبل قلة  
الاحترام لها».

نظرت البعثة إلى الین التي كانت تقف خلف أحد الأبواب الورقية  
المحاطة بالخشب، ومن وشمها علموا أنها رفيقة سینا، والتي تحدثت  
مع البشري بلغته ذاتها، لیحني رأسه مجدداً مختفياً خلف أحد الأبواب  
المتزلقة.

«أنا سيكاي، الزنبقة العنكبوتية الحمراء»<sup>(١)</sup>، أهلاً بكم في نربا المتواضعة».

سيون: «لا يبدو أننا بحاجة للتعريف عن أنفسنا ما دمت في انتظارنا». سيكاي: «أنتم غنيون عن التعريف، تفضلوا بالدخول إلى المجلس لترتاحوا».

تبعث البعثة سيكاي، ليأخذوا أماكنهم فوق الوسائد التي وضعت على الأرض بصفين متوازيين، وما أن فعلوا حتى دخل عليهم بعض البشر مع موائد خشبية صغيرة حملت أطايب الطعام عليها لتقدم إليهم بكل تهذيب، لم تحط البعثة بضيافة أنيقة مثل هذه من قبل.

سيون: «في آخر محطتين، بدا أن الجميع يعلمون بقدمونا، فكيف علمتم بهذا؟»

سيكاي: «إنها الرياح، لعلها لا تتحدث إلا أنها تنبئني عندما تقترب عاصفة التغيير، لأشارك ما لدي من علم مع نيدرلين، لذلك تم استقبالكم بحفاوة».

«الرياح؟» سخر نامار



سيكاي: «لعلك لم تعتد الاستماع أيها الجان، لكنني تعلمت أن أستمع للرياح، فهي الوحيدة القادرة على تغيير مجريات كل شيء، هي من نصف بالبحار وتوقد النيران».

ليين: «أتحدثين عن طيف الريح؟ هل تسمعينها؟ هل تتحدث إليك؟»

سيكاي: «أنت غريبة أيتها الفتاة، أكاد أقسم إن شيئاً من نادياس فبك».

حاولت ليين أن تحافظ على ملامح وجهها دون تغيير، كما فعلت البعثة التي لم ترغب بأن يفتضح سرهم، لذلك غير سيون الحديث بسرعة: «أخبرتنا سينا أنك قد تساعدتنا في هذه الحرب، فهل هذا صحيح؟»  
سيكاي: «سينا؟ لا أعرف أحداً بهذا الاسم».

سكارم: «إنها من الجيل الضال مثلك، كانت مع نادياس، هي المألوك».

تغيرت ملامح سيكاي لشيء لم يستطع أحد تفسيره، أهو الخوف، أم السرور؟

سيكاي: «إذاً هي ما تزال حية».

سيون: «أخبرتنا أنك كنت مع نادياس في ارمحالكم، أرجو أن تحملي إجابات عن تساؤلاتنا».

سيكاي: «لماذا تسألني أنا؟»

إيلهاب: «ماذا تقصدين؟»

«ما دامت الهالوك معكم، لا بد أن لديكم كل الإجابات التي تحتاجونها، فهي أمينة سر ثادياس، كل ما يعرفه، كل شيء عن هذه الأرض، جُلّ معرفته تم منحها لها، لقد قدم إليها من المعرفة ما لم ينسأ لأي منا، لذلك هي تسعى للإيفاء بعهداها له».

شعرت ليبن كما لو أن قلبها يتحطم، وعالمها يطفو من غير أرض تحمله، هل كانت سينا تخدعهم؟ هل علمت بأنها تحمل طيفاً داخلها؟ أنها عنصر تدمير أورا؟ لم ظلت صامتة؟ هل هم مجرد أسلحة في خطتها؟ وما هي خطتها؟ ألم تحبهم يوماً؟ آلاف الأسئلة أحاطت بها، ولم تنفك منها إلا عندما أمسك أريو يدها، محاولاً تهدئتها، لتلاحظ أنها ترتعد من ذعرها.

سيكاي: «تبدين كمن رأى الموت أيتها الصغيرة».

«أنا بخير»

سيون: «سينا لم نخبرنا شيئاً، لذلك افعلي أنت».

مخاوف سيون ونامار تحققت مجدداً، فلقد تساء لا قبلاً إن كانت سينا تخفي الأمور عليهم، وعلى ما يبدو أنها تحيك شيئاً خلف ظهورهم.

نامار: «لماذا يعلم ثادياس الكثير من الأمور؟»

سبكاي: «لأنه حمل شظية طيفين داخله».

سيون: «لماذا قدمت أورا هذين الطيفين لـ نادياس، بينما منحت حورا واحداً فقط، في حين أنه الأكثر ولاء لها؟»

احسب حديث نادياس فلقد كانوا ثلاثة آفارين وليس اثنين فقط، أورا احتاجت شظية من كل طيف كي تأخذ شكل الشجرة التي كانت عليها، إلا أن هذه الشظايا قوية للغاية، ظلت تتصارع داخلها رغبة في تدميرها وتسخيرها للأرض كما توجب عليها، لذلك أزهرت أورا نادياس مانحة إياه الرياح، لحورا النار، أما الثالث فقد كان له الماء، عدا أن طيف الماء تلاعب بالثالث مستخدماً إياه ضد أورا، لترسل نادياس قاتلاً إياه فيمسي طيف الماء له».

حل القليل من الصمت، هذه معلومة أخرى أخفتها سينا عنهم، كما أنها معلومة لم يسبق لهم سماعها، لكن هل من الضروري السؤال عما نُقِلَ قبل وجود البين ذواتهم؟

سكارم: «لماذا لم تؤذ الأطياف حاملها؟»

«طيف النار يملك القدرة لإيذاء حورا إن تخطى مسار أورا، وقد فعل عدة مرات، إلا أن نادياس أذكى منه، فلقد سلم ذاته للطيفين داخله، ليُرياه حقيقة أورا، وما هي فاعلة بهم وقصص من سبقونا، ليقرر العمل من أجل مصلحة البين».

إيلهاب: «كيف لم تلاحظ أورا تغير ثادياس بينما لاحظت تغير الأفاري الآخر؟»

«أنتم لا تعرفون ثادياس حق المعرفة، ليس كما عرفته أنا، هو مكر، عبقرى، خبيث، كل ما قام به، كل ما صنع، بل إن كل حرف نطقه، هو من أجل أن يوصلنا لهذه اللحظة ذاتها التي نحن فيها، أعتقد أن يتأمله ليس بقادر على إخفاء اختلافه؟»

سيون: «ما الذي حدث لمن سبقنا من مخلوقات؟ ومن هم؟»  
نامار: «ولماذا لم ينه ثادياس أورا قبل أن تزهو البين؟ لقد كان لديه عناصر تدميرها كما القدرة لفعل هذا، فلماذا لم يفعل؟»

«أولاً، لا علم لي بما حدث لمن سبقونا، كل ما أعلمه هو أن أورا أزهت يتأمل قبلنا. ثانياً، بالرغم من أن حديثك صحيح بشأن قدرة ثادياس على إنهاء أورا، عدا أنه علم عن حقيقة أورا كاملة أثناء ازدهار الجيل الأول، مما جعلهم تحت رحمتها هي ورحيقها الذي يسري داخلهم، إن عصي البين خالقتهم فهي قادرة على قتلهم فوراً، لن يستطع ثادياس المخاطرة بهذا، كما أن ما حمله وحورا داخلهما ما هي إلا شظايا ليست قادرة على إنهاء أورا، عدا أن ثادياس تمكن من جمع كل شظايا الطيفين داخله بعد احتراق أورا»

أريو: «لقد ذكرت أن طيف النار قادر على إيذاء حورا فور مغادرة  
سار أورا، فما هو المميز بشأن هذا المسار؟»

«طيف النار مُنْشَطَر لِشَطْرَيْن، أحدهما في شبال الأرض والآخر في  
جنوبها، لا يلتقيان نظراً لحزام ناري يفصل بينهما، هذا المسار هو حيث  
لا يوجد طيف النار، هناك تزدهر أورا، حيث لا يوجد هو، لأنه إن  
اجتمعت الأطياف الثلاثة معاً فهذه نهايتها، حاولت الرياح اقتلاعها لكن  
بلا فائدة، عصفت الأعاصير الممطرة ضاربة إياها، إلا أنها أبية، عدا أن  
النار هي الأشرس والأقوى، لذلك تظل أورا حيث لا يصل إليها طيف  
النار، كما تبقي حورا معها حتى لا تتحرر شظية طيف النار».

ليين: «ألا يكفي طيف النار لإنهائها؟»

«لا أعلم، لربما، لكن نادياس أخبرنا بضرورة وجود الأطياف الثلاثة،  
لكن على أورا ألا تمتلك طيفاً من هذه الأطياف دون طيف النار، وخاصة  
طيف الريح، وذلك لأنها ستملك قدرة لرؤية الأرض كلها ووضع  
المخلوقات تحت بصرها، أنت تعلمين ما أتحدث عنه يا فتاة، أليس  
كذلك؟»

ارتعدت ليين في مكانها، بينما تحرك سيون واقفاً أمام سيكاي، فيما  
غلف نامار ليين بجدار من دخانه، لينهض أريو، سكارم، وإيلهاب  
مستعدين للقتال.

تبسمت سيكاي قائلة: «إذا أنا لست بخطئة، هي حقاً نعمل طبد  
الريح داخلها».

سيون: «ما هدفك من هذا؟»

سيكاي: «لا تقلق لست أنوي إيذاءها، فأنا أدين بهذا لـ نادياس  
كأقل تقدير، نحن الجيل الضال ندين بحياتنا له، كل ما نحن عليه، كل  
ما حظينا به، كان بفضل إنقاذ نادياس لنا، أو لحكيم علينا بمصير النخبة  
الصامته ذاته، نحيا في جحيم لا ينتهي، كما أني لست حمقاء، أنا أرغب  
نهاية أورا مثلكم جميعاً، لقد قضينا حياتنا نهرب منها، كم من رفاق لنا  
يحيون مثل الجثث بلا حياة بسببها؟ لن أغفر لها هذا، كما لن أغفر لـ ميزويا  
قتله نادياس. خلافاً لسينا، تخلّيت أنا عن عهدي مع نادياس منذ زمن  
طويل، أريد إحياء عهدي له، أن أرد له دينه علي، بأن أحقق مسعاه في  
هذه الحياة».

نامار: «ما هذا العهد؟»

سيكاي: «أن ندمر أورا مهما كلف الثمن».

سيون: «هل يمكننا الثقة بهذا العهد؟»

«أنا أقسم على هذا».

سيون: «لقد تخلّيت عن هذا العهد سابقاً، فلماذا قد نتق بقسمك

الآن؟»

«لأني أنسم بروحي، ولروحي».

حرر نمار ليين من داخل الدخان ليدو عليها الارتياح بعد سماع حديث سيكاي قائلة: «هل يعني هذا أن سينا ليست عدوة لنا؟ هي لم نخذعنا؟»

كان سؤالها كرجاء لـ سيكاي ألا تحطم روحها، لتجيب:  
«بافتاة لا أعلم ما أَلَمْ بـ سينا بعد افتراقنا، ولا أملك كل معرفتها، عدا أنني موقنة من أمر واحد، وهو أنها أمضت حياتها من أجل تحقيق مهمة نادباس، كي تجعل رؤيته حقيقة: عالم من دون أورا».  
أربو: «لقد قلت ضرورة منح الأطياف لـ أورا كي ننهيهما، ألن يؤدي هذا ليين؟»

«لا أعلم، إلا أن نادباس أخبرنا من قبل، هذه الأطياف لديها وجودها الخاص، وكيانها المنفصل، هي لن تتلاشى ما لم تكن داخل مخلوق، كما أنها لا تلمس روح أو جسد المخلوق، لذلك أعتقد أنها كيان داخلها إلا أنه منفصل عنها بطريقة ما».

إيلهاب: «حسنًا الآن علينا إيجاد طيف الماء، كما معرفة طريقة لأخذ شظية طيف النار من حورا، ووضعه في أورا»  
سيكاي: «لا بد أن سينا تعلم مكان طيف الماء، أو كيفية إيجاده، أما طيف النار فلا داعي لأخذه من حورا».

سيون: «لم لا؟ كيف ستنهي أورا من دون هذا الطيف؟»  
«حورا لا يحمل إلا شظية ذليلة إلا أن الطيف كاملاً ليس بحوزته.  
هنالك مخلوق أكثر قوة وشراسة جمع بين شقي الطيف ليحمله داخله»  
نامار: «من؟»

تبسمت سيكاي قائلة: «إنه ملك الجان زائيل، ملكك نامار».

## زائينيل

باتت الأجواء في باسيليا مشحونة كما متذبذبة منذ أن رحل نامار لينضم للبعثة، الجميع يستعدون للقتال، الجيوش تحتشد من كل بقاع الأرض، إلا أن هذا ليس ما يقلق زائينيل، هذه الحرب ليست شاغله الأعظم، ما يشغل تفكيره عدة أمور أولها؛ الهدوء المريب والتابع من عشائر الجان التي ترغب الإطاحة بـ مُلك زائينيل، بالرغم من أنهم كانوا أقل إثارة للمشكلات منذ أتى نامار لخدمة المملكة إلا أن الهدوء التام ليس جيداً، وليس هذا فقط هو يكاد لا يشعر بهم على الأرض، وهذا ما يقلقه. ثانياً؛ معاهدة ميزوريا مع أوراء، ليس وكأن هذا أمر مستغرب، لكن ما يقلقه هو أن حلفاء من الجان المهجن يملكون علاقة قديمة مع بن المحيط، وهذا يقلقل أمن باسيليا، كما يجعل زائينيل يفكر عدة مرات في مدى مصداقية المهجناء، ما يغضبه أيضاً هو مدى جهله وعجزه عن معرفة ما يحدث مع بن المحيط، وذلك لأن قدرته على الرؤية في الماء معدومة. أخيراً؛ غضب ابنه بارموث منه، وذلك بسبب العهد الذي أخذه على نامار من دون إذنه، لم يجب ابنه نامار يوماً، ولطالما تساءل عن سبب السماح لخائن مثله بالعمل في خدمة باسيليا، لم الثقة الكبيرة به؟ ذلك اليوم وبعد أن رحل نامار جرى بينهما جدال طويل.

بارموث: «لماذا جعلته يُقسم لي؟ أنا لا أرغب بخائن مثله بين أتباعي». «لعلك ترى فيه الخيانة عدا أني أبصر الإخلاص لذاته وفؤاده قبل كل شيء»، ثقب بمن ينفث السم في وجهك، وليس من يخضع لك بسهولة، هذا ما يميز نامار أنه لا يخشى شيئاً أو أحداً، لذلك لن يتلطف معك أو يغدر بك من خلف ظهرك، هو لا يرغب بمجد، لا يطمع في قوة، لا فخر أو عشيرة، رغبته بسيطة إلا أنها عنيفة، هذه الرغبة هي ما يحركه، كل ما يتغيه هو حماية نسله، مخلوق كهذا هو من يمكنك الثقة به».

«أتقول إن كل من يخدمونك منذ آلاف السنوات ليسوا أهلاً للثقة؟ أنا لا أعتقد أنك تُصِفُهُم بهذا، جميع الجان كانوا معنا منذ البداية، قاتلوا في حرك، هتفوا باسم مملكتك، هم يقدمون أرواحهم فداءً لهذه المملكة ولك، إلا أنك تفضل نامار عليهم، تثقُ به أكثر منهم، لا يهم ما تقوله لي، أعتقد أن نامار ليس أهلاً للثقة».

زاينيل: «إن كنت لا تفهم أساسيات الحكم أو كيف تختار سيفك الذي تَضْرِبُ به، فانا لم أحسن تعليمك أو إعدادك كولي لعهدي، يا ابن أمتي كن ذكياً، أن تعلم نوايا وحش مسعور لا يخفي حقيقته، أفضل من أن تنق بوحش يخفي أنيابه ومخالبه فقط ليغدر بك في غفلة، لا أطلب منك الثقة ب نامار، بل أطلب منك استغلال اسمه، سمعته، قوته، اجعله لميك الذي يحرق أعداءك، اجعله جيشك، بالنسبة له هنالك شيء أثمن من حياته

ذاتها، من أجل إلهاب سيشعل الحروب، أعتقد أنه سيتوانى عن فعل  
أي شيء من أجله؟ لذلك استخدم هذا الحب والإخلاص لمصلحتك،  
اجعل نقطة ضعفه قوتك أنت، اجعلها لجأماً تعقد به حياة نامار، كن ذكياً  
واعلم أن كل من حولك مجرد أدوات تستخدمها لتحصل على مرادك، لا  
أحد في الخارج هناك يهتم لأمرك حقاً، هذه أعباء الحكم، الجميع يكيّدون  
لك، الجميع يتظرون رؤيتك تسقط، بل هم من يكيلون الضربات لك،  
هم يخفون حقيقتهم بالتعظيم الفارغ، والانحناءات المكسورة، لذلك  
اجعل معك مخلوقاً مسعوراً مثله، لأنه الصادق الأوحى بينهم.

علم زائينيل أن حديثه لم يلقَ استحساناً لدى ابنه الذي ما زال غاضباً  
منه، إلا أنه سيعي ما يعنيه والده يوماً ما، وذلك لأن زائينيل يعلم جيداً  
ما يجول في أفئدة الجان، كما أنه فعل كل شيء واستخدم كل وسيلة ممكنة  
حتى يصل إلى ما هو عليه اليوم، بما في ذلك منح جسده لطيف النار،  
والقتال في حربه ضد أورا.

اتسمى زائينيل لثاني جيل من الجان ينشأ بعد هبوطهم للأرض، لم يطلق  
عليهم اسم أو لقب، كانوا مجرد جيل آخر، في ذلك الزمان البعيد تقاتل الجان  
في ما بينهم بضاوأة، دمروا بعضهم بعضاً كما الأرض معهم، متجاهلين البن  
وكل شيء آخر، كل ما رغبوا به هو إبادة بعضهم بعضاً، وذلك من أجل

الحصول على جزء أكبر من الأرض فحسب. عشيرة أكين هي إحدى عشائر الجان الست عشرة، كانوا جلددين، كما حكماء، عندما أيقنوا أن حروبهم عاثت بالأرض الفساد، قرروا وضع حد لها، مُطالبين الجان بتوحيد صفوفهم وحماية أنفسهم من خطر البين القادم، فلقد شهدوا أنهم يحشدون صفوفهم بصمت مخيف، إلا أن الجان لم يرغبوا السلام، وعندما قررت عشيرة أكين أخذ نصاب الأمور بيديها، وتنصيب ذاتها كقوى لحفظ السلام، وحلت العشائر صفوفهم لأول مرة، وذلك لإنهاء تدخل عشيرة أكين.

في يوم مشؤوم انطلقت عشائر الجان نحو أرض العشيرة، محركة منهم من استطاعوا، مدمرين كهوفهم ومغاراتهم، مستترفين حمم بركانهم حتى خمد، إلا أن زائيل الصغير السن آنذاك هرب بمساعدة والدته، حلق مسرعاً، بعيداً، بينما استرق آخر النظرات لظهر والده الذي كان مجبى، وجناحاه اللذان انتزعا من على ظهره يهويان أرضاً، وصدى آخر أوامره يصرخ: «التنج!»

الانتقام، كان دافع زائيل الأوحى للنجاة، ليحيا مع من هرب من عشيرته بمعزل عن الجان وحروبهم، وكالمسعود تدرّب وتعلم، حل البغضاء كما السخط في روحه كيفما تحرك، جعلهما اللهب الذي يُوججه، الأنفاس التي يفرها، كل نبض لروحه كان من أجل تنفيذ وصية والده كما رؤية حلمه يتشكل لواقع.



سنرات مضت وحد فيها الجان صفوفهم ضد عدوهم من البنّ، إلا أن زائيل لم يكن مهتماً بهم أو بحربهم، بل إن ظلام روحه رجا موت الجان جميعاً، وعندما فعل تذكر حديث والده حين سأله: «لم تتعب نفسك في جعل الجان يوحدون صفوفهم؟ دعهم يتقاتلوا، ليفنوا بعضهم بعضاً، ودعنا نحن ننعّم بالحياة، كما الأرض»

ابني، جميعنا خلقنا لنعمر الأرض، هي موطننا جميعاً، ونحن ورثتها، علينا تعميرها لا تدميرها، وما يفعله الجان هنا هو نقيض ما أمروا، جعلنا من بعضنا أعداء لبعض، نحن جميعاً مجبولون من النار، عدا أن العدو الحقيقي، هو من يظل صامتاً لوقت طويل، يراقب بترقب وحذر، ويتنظر الوقت المناسب لينقض، إنها تلك الشجرة مع مخلوقاتا الذين لم يتحركوا منذ أزل، هم يراقبون، يتتظرون متى تَزَلْ أقدامنا، متى تُقَصَّ أجنحتنا، إلا أن الجان لا يعون ذلك، غرورهم كما كبريائهم يجعلهم يعتقدون أن البنّ ليسوا أنداداً لهم، لكن عندما يضربون، وسوف يفعلون يوماً ما سيعلم الجان فداحة خطئهم، لذلك بني كن لهم القائد الذي يحميهم، وحد صفوفهم، واضرب بيد لا ترحم، فالرحمة لا تتماشى مع الحكم، أخذ صوت كل من يعارضك، اسلب حياة كل من يغدر بك، واعلم أن خطر الأصوات في صمتها».

من حين لآخر همس صوت في روح زائيل، كان يدعوهُ للقدوم إليه، مرة تلو مرة، ومن حين لآخر رأى في منامه الأرض وهي مختلفة الهيئة،

بصخور تسبح في الفلك بلا حياة فيها، لتشتعل الخنادق بلهب نارٍ حمراء كاللظى، ومن بينها سالت أنهار من الحمم البركانية الغاضبة، لتطاول بانبثاق عظيم غطى الفلك كله، فيعلو الهمس حتى يغدو صوتاً أجش عظيماً قائلاً:

«أقبل زائيل، فأنا قدرك».

ليدرك أن هذه لم تكن منامات إنها رؤى، شيءٌ عظيم الكون يستدعيه، وأدرك أن آيًّا من يكن صاحب الدعوة فهو أصل وجوده، ليرنخل من دون هدىً باحثاً عن أصل روحه.

ابتعد زائيل عن مواضع الجان حيث البراكين، إلا أنه عَلِمَ في صميه أنه سيجد ضالته في أحد منها، لوقت طويل ارتحل قاطعاً الأرض من دون أنيس له، وفي يوم صحو سطعت الشمس ضاربة على الأرض بقوة، التقت طرقه مع بعض الجان الذين علموا من يكون فور رؤية لون جسده، لتبدأ بينهم معركة ضارية، ابتدأ الجان وكان عددهم خمسة بمحاصرة زائيل، وتطويق، مطلقين لهيباً من النار نحوه في الآن ذاته، ليحمي نفسه ببعثرتها بزوبعة من لهيبه الأبيض، إلا أن أحد الجان انبثق منها حاملاً منجلاً مشتعلًا بنار سوداء، وقبل أن يتصدى له زائيل إذا هو يُصاب بجرح بليغ في مقدمة جسده، لينبثق منه لهيبه، بسط زائيل جناحيه علقاً للسماء بعيداً، فيتبعه ثلاثة من الجان، إلا أن نده في هذه المعركة كان

صاحب المنجل من عشيرة عنقال الوحشية، استل زائينيل فأسه الأيض  
 للضوع من حجارة المرو البركانية<sup>(١)</sup> وأشعله بلهيب أبيض ليزداد  
 سطوعاً وتوهجاً، وأول ما فعله هو التخلص من اثنين من الجان ليتفرغ  
 لقتال آل عنقال. أسرع زائينيل نحو الجان الأول ويقبضة مشتعلة اخترق  
 جلده حيث فؤاده محرقاً إياه لرماد، ليتحرك مبتعداً فوراً لشعوره بهجوم  
 آخر قادم من عنقال، وحين فعل شعر بألم يخترق جسده ليرى أن الجان  
 الآخر أصابه برمح في ظهره، شعر بألم لا يوصف، ليس من الرمح ذاته، بل  
 مما حله من دماء بن سامة له، أقبل الجان إليه ليتزع رمحاً ظناً أنه قد أنهى  
 خصمه بالسهم، وعندما اقترب هوى عليه زائينيل بفأسه حتى اجتز رأسه  
 من على جسده، محيلاً جسده للهبب أزرق اللون. شعر الملك بجسده  
 بضعف ويخبو من السم الذي تعرض له، إلا أن الموت رفاهية لا يمكنه  
 تحملها، متجاهلاً ألمه أشعل النار في كل جسده، منطلقاً صوب خصمه  
 الأسود الأخير، أما من تبقى من الجان فقد هرباً خوفاً من هذه المعركة،  
 تحرك غريم زائينيل نحوه أيضاً مشعلاً جسده بلهيب أسود قاتم، كل منهما  
 أطلق سعيره نحو خصمه ليرتطم اللهيان معا ليتنتج لهيب دخاني اللون  
 حجب نظر بعضهما عن بعض، إلا أن عنقال و زائينيل لم يتوقفوا، ليخترق



الاثنان اللهيّين بقوة لا مثيل لها وعندما شعر زائنيل باقتراب خصمه لوح فأسه بقوة، عله يصيبه، وقد فعل، لم يعلم موقع الإصابة ولم يبال لأنه هو الآخر قد أصيب بمتجل خصمه في كتفه الذي كاد يُتَزَعُ من مكانه لولا أنه تحرك في آخر لحظة، هذه المرة لم يتوقف عن الحركة أو التحليق ضارباً جناحيه بكل ما لديه من قوة منطلقاً بعيداً، ولم ينظر للمخلف ليرى إن تأذى خصمه أم قُتل، ولا يهم الآن لأنه هو من سيفقد حياته إن توقف، فلقد نهش سم البرق جسده.

في هدوء تام سبّح زائنيل، مستمعاً لأرث<sup>(١)</sup> النار العذب اللحن، صوت ينبع من حوله كما من داخله، إنه صوت النار التي جُبِلَ منها، كانت دافئة، حميئة، عطوفاً، أحاطت به كما كانت تفعل والدته قبل أن تفقد حياتها، أراد البقاء هنا للأبد، التخلي عن غضبه، غيظه، انتقامه، متخلياً عن كل شيء، بعيداً عن كل شيء، هنا حيث لا تطاله أغلال القدر الثقيلة، ومن بين هذا الأرث عاود الصوت الأجش استدعاءه:

«طال انتظاري زائنيل، لقد اصطفيتك فأسرع الخطا».

«لماذا أنا؟»

لم يجب الصوت، إلا أن اللهيّين حول زائنيل انطلقوا ليهوي نحو العدم، فاتحاً عينيه بذعر للواقع، ما زال حياً.

١- صوت النار.



«لقد أظلت النوم أيها الجان». نظر زائيل لمصدر الصوت ليجد بِنّا  
بجد أسود اللون، ذا عينين ذهبيتين صافيتين مثل صفاء الثلج، كما  
كانت خصلات شعره الذهبية، وعلى جسده وشمّت أوراق ذهبية إلا  
أنه لم ير الأزهار عليها، فزع زائيل من البينّ وعندما حاول النهوض شعر  
بموضع إصابته يصرخ ألماً.

«اهذا زائيل، لست هنا لقتلك».

«من أنت؟ كيف تعلم من أكون؟»

«أنا أحد الأفارين، أدعى ثادياس الكالا السوداء، وقد همست لي  
الرياح باسمك».

«ما الذي تقوله؟»

ثادياس: «أسمع صوتاً يستدعيك؟ يخبرك أن تسعى إليه؟»

«كيف تعلم هذا؟» ذعر زائيل من هذا البينّ الذي كان هادئاً، حازماً،  
وذا حضور طاغ.

«سبق وأخبرت أن الريح تهمس لي، لقد تم اختيارك من قبل طيف  
النار، هو يراك جديراً بحمل شعلته، وتنفيذ رغبته، بل سمها أمانة».

«أنت غريب يا هذا! هل تتحدث معك النار أيضاً؟» قالها زائيل  
ساخراً من البينّ الذي سمه الجنون لسمع الرياح.

«أنت لا تصدقني، لا بأس إذاً، لكنك ستفعل ما أن تصل حيث يقع طيف النار، وحين تحظى به داخلك، ستعلم ما أقصد».

زائيل: «أنت تستمر في قول طيف، ما هذا؟»

«هو واحد من أربعة، ثلاثة تبعثروا متخذين هيئة عناصر الأرض».

«وأي الرابع؟»

«إنه قرار طيف النار ليخبرك به، وليس أنا، والآن اتجه حيث تقولك الرياح هناك ستجد ضالتك».

نهض زائيل بالرغم من ألمه وشعر بنسيم هادئ، قديم، مرح، يطوف من حوله جاعلاً أوراق الأشجار المتساقطة ترقص بين ثناياه المخفأة، نظر الجان صوب ثادياس قائلاً:

«هل لنا لقاء آخر أيها البين؟»

«لا، فهذا لقاءنا الأول والأخير، زائيل من آل أكين، سيصبح لك شأن عظيم بين المخلوقات، ستُسمي أسطورة تتناقلها الأجيال لآخر الأزمان، أنت أحد ورثة الغبراء»

قال ثادياس قوله ليباعد عن زائيل راحلاً

«انتظر، ماذا تقصد بورثة الغبراء؟»

إلا أن سؤاله حلق في الأفق دون جواب يلقي على مسامعه، ومع

انسيم اللطيف خلق زائيل حيث يرقد قدره، ليجده في فوهة بركان عظيم، لقد كان أعظم بركان أبصره، بحمم تنبثق للسماء بغضب صاحب، وادخنة غلفت السماء باللون الأسود القاتم والذي حرم على أي شعاع للشمس النفاذ، من بين هذه الأدخنة ضرب البرق الساخط بصوته المريع والذي تكرر كلحن يستشيط غيظاً، كرهاً، ونقماً، إلا أنه لحن روح زائيل، وعندما اقترب من الفوهة تلاشت الرياح التي أحاطته كما لو أنها تسلت خلسة بعيداً عن الجلال المسعور.

شيء من هذا المشهد، وهذا الإحساس الغامر بدا كدعوة لـ زائيل، ليجد مكانه بين الرماد والحمم هنا حيث يتمي، ليسط جناحيه على وسعها، قاذفاً ذاته داخل الحمم التي استقبلته بحب خالص، ومنها إلى نهر ناري ملتهب وكظيم حتى بات لونه أسود، وفي حين غرة اجتاحه السيل المشتعل جارفاً إياه إلى حيث لا يعلم، ليفقد الجان الاتجاهات لم يعلم أعلاه من أسفله، يمينه من شماله، كان العالم كله سابحاً في لهيب أسود يزفر من حين لآخر بلهيب أحمر، ثم رُمي زائيل من سيل لآخر، أخيراً أضاءت الشمس الكروية الصفراء بضوئها وجوده، الآن لم يعد يعلم إن كان في أعالي السماء أم خسف به لأسفل الأراضي، إلا أن الكون وقف عن الحراك، والزمن تجمد أمام هذا الوجود الصاخب، الصامت، وحتى الآن لم يصل زائيل حيث يجب عليه، قليلاً بعد، عليه الاستمرار

بالسقوط أكثر، ومن خلال جدران الكرة عبر إلى أعنف مكان في الأرض، هنا حيث لا يوجد أرض أو سماء، حيث الحرارة تكاد تحرق وجوده، كما القوة غير المرئية التي تسحق جسده، هنالك تصاعدت أعمدة متأججة بلهيب من سعير، تراقصت في ما بينها منجرفة للأعلى كزوابع تتحكم بالكون، ومين بين هذه الزوابع برق ضوء. بلا صوت رعد يتبعه، لقد كان عنفاً أخرس ساحراً، جعل زائيل يشعر بأنه نكرة، لا شيء، مجرد ظل يوجد عندما تقرر عظمة الشمس التكرم بالظهور، وفي هذا المكان لم يملك إلا التواضع والانتظار بصمت حتى يهاتفه الصوت مجدداً، هنا حيث لا يوجد إدراك للزمان وقف زائيل، غير مدرك أطلال عليه الانتظار أم قصر، إلا أن الصوت تجلل بالحديث إليه مجدداً:

«لقد طال انتظاري زائيل».

«أرني ذاتك»

«أنت في ذاتي».

«أتيتك كما أمرت، فما لك بي؟»

«أخبرني عزمك».

«الانتقام».

«ليس هذا».

«تدميرهم».

«ليس هذا».

«خدمتك».

«ليس هذا».

«ما الذي تريده مني؟»

«أخبرني عزمك».

«من تكون؟»

«أخبرني عزمك».

«أفي ولاني تطمع؟»

«أخبرني عزمك».

لا يهم ما كانت إجابة زائيل فإن الرد دائماً: «أخبرني عزمك».

ولأول مرة في هذا المكان الخالي من الزمان شعر بأن دهوراً انقضت وهو ما زال يسأل ويلقى الرد ذاته، ولسبب ما لم يرغب الرحيل من هذا الهدوء كما السلام العنيف، إلا أنه أدرك اكتفاءه من الحرب، أخيراً قرر أن يكون صادقاً مع ذاته، أن يتوقف عن الخداع والحرب من كل شيء، ليخلص لفؤاده لمرة واحدة فقط:

«أنا مجرد قَبَسٍ يتأرجح مُتطائراً مع الأعاصير، فقدت كل عزيز علي  
حتى التهمتني البغضاء، وفي وحشتي الأبدية ذَبَلْتُ، أريد النهوض بعيداً  
عن الماضي، أريد استعادة ذاتي، مُلكي، هذه الأرض، وتدمير كل أعدائي،  
يا لبيب الأمل المتذبذب، امنحني القوة، هَب لي القدرة لأحمل العالم كله  
بين كَفَي يديّ، هلا قدت الطريق لقدرتي؟»

«لتكُن النار التي تحرقُ الأعداء، لتكُن صوتي، بصري، سخطي،  
لتَضْرِب دون تردد، لتحرق دون رماد، انهض وريثاً للغبراء، وإن آن  
أوانك فسيرُثني من هو أحقُّ منك بي، حتى ذلك الحين، أنا حَقُّكَ،  
لهيُك، نصرُك، لتأخذ مني إليك، ولتحملني أمانةً حتى نهاية عهدك».

قُذِفَت كرة حمراء من حيث لا يعلم وضربت زائيل في جسده متشرة  
عبر كل كيانه، لتغمره بقوة لم يشعر بها يوماً، فبرى الأرض كلها، أبصر  
قيعان المحيطات تتحرك بتسلل في ظلماتها، شهد ثوران البراكين وقد  
تَمَيَّزَت من الغيظ، شعر بوقع أقدام كل من دَب فوق الأرض، ويتمزقها  
الرقيق عندما اخترقتها النباتات، كل ثرواتها المخبأة في باطنها، شعر  
بنبضات قلب كل مخلوق حي، وتحلل كل جسد أوى إليها في سبات  
أبدي، وتلك الثلوج الباردة، المتساقطة برفق فوق حبات التراب مانعة  
ما تحتها من الازدهار، ووابل من الأمطار المتناثرة تحمي الأرض الظمأى،  
كان كل ما على الأرض في مرأى عيني زائيل، وحجب عنه البحار، كما  
ذلك المسار الأوحـد.

هناك تقع من علينا إنهاؤها، والآن انطلق عائداً زائيل، اجمع  
هني في الطرف الآخر للغبراء، لتُقد قدرك، اصنع حرويك، أنها، فأنا  
فوتك التي لن يفوقها شيء».

ثم قذف زائيل بعيداً وسرعة هائلة ليجد ذاته ينث من خارج  
البركان، إلا أنه لم يكن البركان ذاته الذي نفذ منه، بل إنه البركان الذي  
يسرته لملكته لاحقاً.

ليرحل للجنوب حيث الأرض الجليدية، وهناك وجد هرمأ أسود  
ليخرج منه بين أخضر اللون هيا الجان ذاته للقتال، إلا أن بين نظر إليه  
بسلام قائلاً:

«أنت للمكان الصحيح يا أول وريث لطيف النار، نصف طيفك  
هناك حيث ذلك البركان يستمر، اذهب إليه، وحقق قدرك».

«الأمر بين غريب». فكر زائيل داخل ذاته، كيف لهم أن يعلموا مثل  
هذه الأمور؟ ولم يقدموا المساعدة لجان؟

«من أنت أيها بين؟ ولم تساعدني مثل ذلك الـ نادباس؟»

تبسم بين قائلاً: «أنا هايبرد، ما أنا إلا صوت الغد، وما نادباس إلا  
السييل إليه».

زائيل: «ماذا تعني بهذا؟»

«هذا كل ما لدي أيها الملك، خذ طيفك وحقق القدر».

ارتعد زائنيل حين دعاه هايبيرد بالملك، لم قد يفعل أمراً كهذا في حين أنه ليس ملكاً؟ إلا أن البنّ ولج لهرمه الأسود، ليخلق زائنيل داخل البركان مندفعاً كما في المرة السابقة، ليقلب إليه الطيف دونما حديث، فيستقر فيه ومع هذا يشعر زائنيل بوزر يفتك بكامل جسده، إلا أنه شعر بقوة تتضاعف، لينطلق مغادراً البركان راحلاً عن الأرض الجليدية إلى حيث عشيرته المنسية، ليجدهم مرهقين، يائسين، خاضعين لضعفهم وأقدارهم، لعل هذا خطؤه هو، لأنه رئيس العشيرة بعد والده، إلا أنه لم يفعل شيئاً لهم، لقد اهتم بثأره دون حياتهم، انطلق يتبع صوتاً هاجراً إياهم دون زعامة، لكن ليس بعد الآن، هو يعلم مهامه ومهمته، لينهض فوق عرش الجان، ممتلكاً إياهم.

من هنالك أخذ زائنيل مهمته على محمل الجد، عالماً أنه لن ينجح بمفرده يوماً، لذلك بدأ بتعليم الصغار من الجان على القتال قبل الكبار منهم، وحيث كان يستخدم قدرة الطيف لديه ليلاحظ كل شيء، متعلماً من كل مخلوق وجد على سطح الغبراء، بدأ بالجان والبنّ متعلماً طريقة التخطيط للحروب والغارات، درس تفكيرهم، خطواتهم، قدراتهم، تعلم كل ما يمكنه منهم ولم ييخل على ذاته بشيء، وحتى عندما ظن أنه تشبع منهم لم يتوقف عن المراقبة عن بعد، هذا ما تعلمه من مراقبة

الحيوانات المفترسة وهي تصطاد طريدها، ليراقب عن بعد، ليتحرك بخفة، لينتظر اللحظة المناسبة لينقض على فريسته، التأخر كثيراً يعني خسارة الثغرة الصغيرة للنصر، والتحرك مبكراً يعني الكثير من الخسارة أو الموت. عدا أن المراقبة بمفردها لم تعد كافية، بالرغم من الخسائر التي تكبدها الجان والبنّ على حد سواء بسبب معاركهم التي امتدت ألفتات، إلا أنهم ما زالوا يفوقون عشيرته عدداً، زائينل يُقاتل جبهتين، خصمه أورا كما الجان الذين لن يسمحوا له بيسط قوته أو السيطرة، كما أن الجان الآن وحدة متحدون ضد خصم واحد فلن يخترق صفوفهم مهما حاول، لذلك عليه الانتظار أكثر وتضخيم جيشه، في انتظاره علم عن وجود مخلوقات من الجان والبنّ الذين اقترنوا معاً، متجين مخلوقات جديدة، مخلوقات لم تعلم الجان عنها بعد.

ليقرر حينها تطبيق أمر تعلمه من مخلوقات النمل التي تقاتل حروباً أنرس من حروب البنّ والجان، عليه أن يستغل المهجناء وذويهم، كما يستغل النمل حشرات المن، حيث تقدم الأخيرة عسل النباتات للنمل الذي يحمي المن من أي حشرات قد تؤذيها، إن تمكنت الحشرات من التعايش بتبادل المنافع فسيُفعل هو أيضاً، سيتمنح المهجناء الحماية، بينما يقاتلون هم في حربه، يلبون نداءه إن طلب، مُقسمين على الولاء له وللملكة التي سيقمها. التزم زائينل الحذر واستمر بمراقبة المهجناء، هو

يعلم جيداً أن لا أحد منهم سيقدم للحرب أو يكشف حتى عن ذاته دون ضمان للنصر، وبالعهد الذي لديه من الجان الآن، لن ينظر أحد إليه، إلا أنه اتخذ خطوة أولى متجهاً للجبال العمودية حيث المهجناء، ذهب وحيداً من دون رفقاء أو حماية، وذلك ليظهر حسن النوايا، وعندما رآه المهجناء وضعوا أنفسهم في وضعية الهجوم.

«أنا زابنيل من آل أكين، جئتكم بالسلام».

أقدم إليه بالاي والذي عرفه زابنيل من مراقبته المستمرة لهم، قائلاً:  
«ما الذي يفعله فأر من عشيرة أكين هنا؟»

«أنا هنا لأقدم لكم عرض تحالف».

«لماذا؟»

«نحن مستضعفون في الأرض، وكلانا مُقاتِل، لو علم الجان عن وجودكم أو وجودنا لأبادونا دون تردد، لكن أنتم لديكم عدو آخر غير الجان، إنها تلك الشجرة التي تفرون منها، أليس كذلك؟»

بالاي: «ما غايتك من هذا التحالف؟ ولم قد نوافق؟»

«كما ذكرت لك نحن المستضعفون هنا، لو رغب أي من أعدائنا الإغارة علينا فلا فرصة لأي منا بالنجاة، لذلك لنكن حلفاء على هذه الأرض، إن هوجتم فساكون درعكم الذي يحميكم، وعليكم فعل الأمر ذاته معي».

«السنا خونة للجان؟ فلم نحمين؟»

«ما الخيانة في ما اختارته أفندتكم؟»

رأى زائنبيل أن حديثه هذا جعل من يراقبه يرتعد قليلاً، وشعر بنبضات قلبهم تتغير بشكل ما، كما لو أنها تآقت للسلام الذي منحتهم إياه إجابة زائنبيل، ليردف: «أعلم أنكم لا تثقون بي، لكن اعلّموا أنني أعتبركم حلفاء لي، خذوا هذا الحجر البركاني وإن تعرضتم للإغارة، فكل ما عليكم فعله هو طلب النجدة مني».

«كيف علمت عنا؟»

لم يكن زائنبيل ليخبرهم عن طيف النار داخله فلا أحد يعلم عنه، ولا حتى أقرب الجان من حوله، لذلك قرر جعلهم يحييون عن السؤال بأنفسهم قائلاً: «المخلوق ذاته الذي أنقذكم من أورا».

لتسأل أنثى بنّ: «ثادياس؟»

شعر زائنبيل بالراحة عندما نطقت اسمه، فهو لا يعلم حقاً كيف هربوا أو نجوا، ما حدث لهم كان إما في مسار أورا أو البحار حيث لا عين له هناك، ليجيب: «هو ذاته».

بالرغم من الحديث الدائر إلا أن الهجناء لم يمنحوا زائنبيل عهداً، ليعود لللك لعشيرته، عاقداً العزم على أخذ عهد من الهجناء، والطريقة المثلى

لفعل هذا هي إثبات ذاته وعشيرته لهم، وبعد التفكير المطول والدقيق توصل إلى خطة، وبدأ بتنفيذها.

سر خاص لا يعلمه أو يملكه إلا صفوة مختارة من عشيرة أكين، هم لديهم قدرتان مختلفتان عن الجان، أولاها تمكنهم من التشكل بطريقة منقطعة النظير، بالرغم من أن الجان قادرون على هذا، إلا أن تغييرهم محدود، وغير متقن، كما أنه لا يأخذ أكثر من لحظات، أما صفوة أكين فهم قادرون على الاحتفاظ بتشكيلهم لأزمان طويلة جداً، وليست فقط هيئاتهم من تتغير، بل حتى لهيئهم يغير خصائصه وفقاً لما يشكله الفرد من العشيرة، وهذا ما استخدمه زانيل لإتمام خطته. انتظر حتى آن وقت إيقاف الحرب بين المخلوقات، والتي تمتد لبضعة عقود، كما سبق أن اختار ضحيته في هذه الخطة، جان من عشيرة ماكاش، عشيرة حمقاء بلا عقل يفيدهم، عدا أن ما افتقروا إليه من الذكاء قايضوه بالقوة الوحشية النفة لذلك لقبوا بعفاريت الجان، كما أن موطن عشيرة ماكاش منعزل عن باقي مواطن الجان، ذلك لاحتقار ونبد الجان لهم في السر، عدا أنهم يظهرون المودة لهم لاحتياجهم لعفاريت ماكاش في الحرب. انطلق زانيل إلى هناك منفرداً، مستخدماً الفوارات الساخنة في الأرض كغطاء له، تلك الأرض امتلأت بالجبال إلا أن قليلاً منها بركاني، وبالرغم من الصقيع الذي غطى معظم الأراضي، إلا أنه وقف ذليلاً أمام ينابيع الماء الساخنة والتي

من حين لآخر تنفث المياه أعمدة للسماء، في أحد تلك الينابيع اختبأ الملك  
 متقمصاً هيئة ضحيته الخرقاء ممن يعلم جيداً تحركاته ودريته، حين سار  
 الجان منفرداً، همس زائينيل من تحت الماء همساً كالوسواس، داعياً اسمه،  
 ليتوقف الجان في مكانه باحثاً عن مصدر الصوت، ليعيد زائينيل الكرة  
 عدة مرات، ولأن الجان أحق قرر البحث عن مصدر الصوت عوضاً  
 عن الابتعاد، ليقوده الصوت صوب ينبوع مياه، فينظر الجان فيها فيرى  
 انعكاسه بصفاء تام، أو ما ظن أنه انعكاسه، حينها انبثق الماء للأعلى ومعه  
 زائينيل الذي علم أن لديه فرصة واحدة للقضاء على هذا الجان أو أن مهمته  
 محكومة بالفشل، ومن بين الماء الحارق، أطلق قبضة نارية نحو ضحيته،  
 مسكاً وجهه بكفه ليشعل النار فيه مستخدماً طيف النار في هجومه،  
 نجح الجان تماماً، دون رمادٍ يتناثر شاهداً على وجوده يوماً. لبضعة أيام  
 بعدا اختلط زائينيل مع عشيرة ماكاش، دون أن يلحظ أي منهم اختلاف  
 ريفهم، ومن هنا بدأ بزرع بذرة صغيرة سيحصدها لاحقاً، كان يتحدث  
 بين العشيرة على أهمية اكتسابهم مكانة أكبر بين العشائر، أن عليهم  
 للطلبة بالاحترام، بالرغم من عدم اتخاذ العشيرة أي فعل فوري، عدا  
 أن هذا كان كافياً بالنسبة له، بعدها وجد بضعة جان فتيّة طائشين، وبدأ  
 بالتزّين لهم بأهمية اكتساب مكانة لهم بين العشيرة، ولفعل هذا عليهم  
 كسب الاحترام أولاً، أخبرهم بوجود همسات تتحدث عن جان خونة،  
 من اغفلوا قرناء من البنّ متجّين بينهم هجناء، لتثور حمية الجان الفتية

ويقرروا الذهاب لقتل الخونة سرّاً، فهذا ما سيكسبهم مكانة بين العشيرة كما باقي الجان، لينطلق الفتية حيث أخبرهم زائينيل، في حين انطلق هو الآخر مسرعاً حيث محطة لقاء له مع مجموعة مختارة من عشيرته، لقد كانت أرضاً مرجانية ليست بقريبة أو بعيدة عن موطن الهجناء، وهناك راقب ما يحدث منتظراً طلب النجدة. بالرغم من أن عدد الهجناء فاق عدد الجان من عشيرة ماكاش إلا أنهم لم يكونوا ندّاً لهم، فيفنى العديد من الهجناء، إلا أن زائينيل لم يرث موتهم أو يؤنب ذاته، بالنسبة له هذه مجرد وسيلة للحصول على ما يريد، حلفاء يستخدمهم، كل من حوله مجرد أدوات لإتمام مهمته، بعد الكثير من الصرخات والموت، استخدم بالاي الحجر طالباً النجدة من زائينيل، عدا أن الآخر لم يتحرك، انتظر قليلاً بعد، فالوصول بسرعة قد يكشفه، لحظات قليلة بعد، وعندما رأى أن زالجون ابن بالاي كان في خطر، تحرك الملك بكامل سرعته والتي لم يتمكن حتى جنوده من مجاراتها ليغتنم فرصته الوحيدة، في طرفة عين كان فأس زائينيل يهوي على عنق خصم زالجون منقذاً إياه من الموت، وتبعه جنوده مدمرين كل الجان الذين قام هو بالوسوسة إليهم، فلم يبق منهم أحد ليقص قصص الهجناء. تحققت رؤية الملك ومسعاه، فبإنقاذه زالجون بات بالاي مديناً له، كما الهجناء الذين وجدوا فيه وعشيرة أكين حليفاً قوياً لا يستهان بهم، ومن هنالك بدأت ثمار التعاون الذي دام لألغيات. في مراقبته المستمرة، لاحظ زائينيل جانّاً من عشيرة عنقال يدعى نامار، ولم

يمكن إلا أن يحترم هذا المخلوق، احترام عظيمته، قوته، تخطيطه، كما روح  
القاتل فيه، وازداد احترامه له عندما راقبه مع البين المدعو سيون، لقد كانا  
ثنائياً عظيماً، بالرغم من قتالهما الدائم، من اختلافهما، إلا أنهما متناغمان  
بطريقة ما، ثم أتى ذلك اليوم الذي شعر فيه زائيل باضطراب طيف النار  
داخله، ليخبره عن احتراق الشجرة.

زائيل: «كيف حدث هذا؟»

«لا رؤية لي هنالك، إلا أنه هاجس».

«أهذا يعني أنها قد انتهت، لم تعد تشكل خطراً علينا؟»

«هيتهما احترقت، لكن ليس هي، معركتك معها لم تبدأ الآن، وموعد  
لقاتلنا سيطول».

لم يطل الأمر حتى علم زائيل ما حدث، ليطمع به نامار جندياً له،  
فبدأ بالبحث عنه، ليجده مجرد طيف لما سبق وكان فتخلى الملك عن رغبته  
به، فلا حاجة به لمخلوق بلا رغبة في العيش، ومن هنا قرر الانتظار حتى  
يحدث نثار البذرة التي زرعها في عشيرة ماكاش. ولم يمض إلا بضعة  
فرون حتى تحققت فعلاً، حيث إن الجان انتهوا من مجازرهم نحو البين  
ليتلزوا بحروب جديدة بينهم متناسين المعارك التي خاضوها معاً، وكل  
الانتصارات التي تشاركوها، وكما العادة استغلت عشائر الجان، عشيرة  
ماكاش، ليعدهم بفتات الغنائم إن هم قاتلوا معهم، لتبدأ بذرة زائيل

بالانفلاق منبئة الشك والتساؤلات، انتصاراً بعد انتصار رأت عفاريت  
ماكاش الضيم الذي يعاملون به، وكل الإهانات التي لم يلحظوها قبلاً  
باتت كالغيظ المشتعل ينهش أفئدتهم، إلا أنهم يعلمون افتقارهم للذكاء،  
إن قرروا الاحتجاج أو الرفض فإن الجان سيتحدون معاً ضدهم مبدين  
إياهم كما فعلوا مع عشيرة أكين، بالرغم من قوتهم إلا أن عشيرة ماكاش  
ليست نداءً لكل عشائر الجان مجتمعة، لذلك خضعت للواقع المرير  
والذليل، وذلك حتى ظهر لهم الملك المنقذ.

قَدِمَ زائيل إليهم مقدماً ما رغبوا به، ما جعلهم هو يرغبون به، التقدير  
اللازم، العرفان، كما المساواة.

«يا عشيرة ماكاش، أنتم عظماء الجان وجبابرتنا، أنتم من ترتعد  
الأرض من تحت أقدامكم، من تهب الرياح لحركة أجنحتكم، لقد  
أجحفتكم لدهور لا تحصى، تم استصغار عظيمكم، ولولا تضحياتكم  
الجليلة لخسر الجان حربهم ضد البنّ، هل ستصمتون على الإساءة أكثر؟  
هل سترضون الجور أكثر؟ الاستحقاق؟ أولستم أنتم من دكّ الجبال  
لتستوي مع الأرض؟ ألستم أنتم من ثور البراكين لصرخاتكم؟ ألم تملوا  
الذلّ مثلي؟ إذا لتمضوا معي، لتكونوا قوتي ولأكون قوتكم، كل ما هو  
لي، لكم، كل نصر لي هو نصركم، سأمنحكم الشرف والإجلال اللذين

نستحقها عشيرة ماكاش العظيمة كما مقاتليها البواسل، لتكونوا شركاء  
لي في النصر، ولنصنع موطناً نكون نحن فيه الأسياء.

بهذا باتت عشيرة ماكاش ثاني حليف لـ زائيل، ولم يهتموا حقاً  
بتعاونهم مع المهجناء، فكل ما رغبوا به هو عظيم الشرف، ومن هنالك بدأ  
الملك عمله في توحيد العشائر، إما الانضمام إليه والخضوع لعهد كملك  
للجان، وإما الموت والإبادة للعشيرة التي تخالفه، ليبدأ بصغائر العشائر  
الذين لا يملكون القوة ذاتها أو العدد ذاته اللذين تمتلكهما العشائر الخمس  
الكبيرة.

خلافاً لحروب الجان والين، معارك زائيل لم تدم إلا بضعة قرون،  
فُتِلَ خلالها الكثير من المهجناء كما الجان، إلا أنه حدث ما لم يتوقع حدوثه،  
ألا وهو أن عشيرة عنقال وافقت على القتال في معاركه لتوحيد الجان،  
عند أنهم يطالبون باستقلال العشيرة وحيدة بعيداً عن أمور الجان، فقد  
أصابهم الكثير من الأسى بخمود بركانه، واختفاء نامار عليهم، كما أن  
ما يقوم به الجان من قتل وقتال لم يجذب لهم، لأنهم يعلمون أن الحرب  
سظالم في نهاية الأمر وقد تبدهم، فاتخذوا القرار الحكيم بالتعاون مع  
زائيل، وكل هذا بفضل ذلك المخلوق من عشيرة عنقال والذي يحمل  
الكبر من التقدير لـ نامار، أما العشائر الكبيرة التي رفضت الانصياع  
بسهولة، فانهى بهم الأمر مقتولين، ومن نجا منهم فروا بعيداً عن أعين

زائينيل مشكلين حلفاً صغيراً خاصاً بهم، آخر من انضم للمملكة هي عشيرة نيشا، وذلك بعد حرب هي الأطول بين كل حروب زائينيل، وكان زاديق ابن زعيم العشيرة هو من اقترح السلم والمعاودة مع المملكة وذلك بعد أن قُتل والده في آخر معركة، وإكراماً له جعله زائينيل قائداً للجيش، الأمر الذي جعل بعض المهجاء ينشقون عن المعاهدة، إلا أنه لم يأنم يوماً، بالرغم من أنه لم يثبت عكس ذلك إلا أن زائينيل يعلم أفضل من أن يأنم أحداً.

أول عمل قام به الملك بعد أن استتب الأمن بين الجان هو إثبات قدرته كملك والقبض على من كَنَ له الاحترام يوماً، نامار، الذي بطش بالجان من الجيل الفاسق قاتلاً إياهم، حقيقتان لم يتحدث بهما زائينيل، أولاهما هي رجاء من أحد الجان الذي طلب العفو عن حياة نامار وعدم قتله، أمر لم يكن ينوي القيام به في المقام الأول، إلا أنه استغل الأمر ليعقد صفقة، وثانيتها، أن زائينيل لم يمانع البتة فعل نامار بل إنه استحسنته سرّاً، فلقد أبغض هو أيضاً الجيل الفاسق الذي تعامل بالسحر مع البشر، كرههم بالمنطق ذاته الذي لدى نامار، لأنهم عار على فخر الجان الذين قفوا حياتهم يقاتلون معارك ضارية، عار على التضحيات التي بُذلت من أجل السلام، إلا أن كونه الملك منعه من الفتك بهم فيجب أن لا يحمل صورة الملك الطاغية، فهو يملك أعداء من بواقى العشائر التي تكيد له في كل

فرصة يجدونها، ثم هنالك صوت طيف النار الذي يخبره بأن أورا عاودت الانبعاث، لذلك كان عليه كسب الجان إلى صفه وأسر نامار حيث لا يراه أحد، ليرسل زابنيل أشد الجان من جنوده آمراً إياهم بالقبض على نامار وجسه.

كانت معركة ضارية لم يشهد الملك مثيلاً لها، اعتقد أن نامار مجرد طيف لما سبق وكان، لكن كل ما تغير هي هيته وغضبه الذي تضاعف نحسب، غنى من أعماق فؤاده لو أن نامار يكون في صفه، إلا أن مركزه كملك لا يسمح له باتخاذ عدو الجان حليفاً له الآن، يكفي وجود المهجئات معه، وهو الأمر الذي يستهجنه الجان مسبقاً، خلال الألفيات التي تلت ذلك بعث زابنيل بالكثير من الجنود باحثين عن أثر لـ أورا، ومنهم لا يالا والدلة إيلهاب، وكمن سبقها اختفت دون أثر يذكر، ليتيقن أن مهمة طيف النار له ستبدأ الآن، وعندما أعلن إيلهاب الحرب عليه، منضماً لـ أورا، فعل أمراً لم يفعله مع كل من خالف العهد سابقاً، استباح حياة إيلهاب، وذلك لهدف واحد فقط، إن كان نامار سيتحرر من قيوده يوماً، إن كان يجب ابنه وعشيرته حقاً كما شهد، فهذا يعني أن نامار سيفعل كل شيء والي شيء من أجل إنقاذ حياة نسله، هذا ما رجاه الملك. ثم تحرر نامار من قيوده، سائحاً في الأرض كما يحلو له مع بشري، علم من معرفته الواسعة أنه معين بن وأنه ابن للبن سيون، فراقب الملك مجدداً، وكله يقين بأن

طرقهما ستلتقي مجدداً، وعندما قَدِمَ نامار إليه أخيراً شعر زائنبيل بحياة لم يشعر بها منذ ألفيات، كما لو أنه عاد فتياً، لم يضطر لتصنع الوقار أمام نامار، فكل ما يهيمه هو إنقاذ نسله، حقيقة أن نامار لا يخيب ظنه فيه جعلته سعيداً كما جشع لجعله جندي باسيليّا حتى بعد موته، ولهذا أمره بالقسم لابنه بارموث، حتى يحمي مُلكه حتى بعد الموت، فخلال القرنين اللذين عمل فيهما نامار في المملكة، قَلَّتْ هجمات العشائر المبعثرة وازدادت أعداد الجان المنضمين للمملكة، هو حقّاً السلاح المناسب والمثالي الذي يجب عدم التفريط به مهما حدث، وحتى آخر رمق في روحه.

مؤخراً بدأت الأوضاع تنذب مع الهجاء وخاصة بعد الحلف الذي قام به ميزويا مع أورا، ليستدعي الملك بالاي ومن معه من الجان، تاركاً جزءاً بسيطاً منهم حيث الهجاء، لطالما علم بوجود صفقة غريبة بين هيرانم وميزويا، إلا أنه لم يعلم مفادها، حيث إن كل لقاءاتهما تتم في الماء، فلا علم له بما يحدث هناك، لذلك ظل يراقب هيرانم بدقة، والآن حدثه نامار عن تجارة الأفئدة، بالرغم من أنه لا يهتم حقّاً لما يحدث للبِن، وحتى هو بحد ذاته يستغل الجميع كسلاح له من أجل الحصول على مبتغاه، إنما فكرة التجارة بالأفئدة كانت وحشية أكثر من أي شيء فعله هو أو شاهده في حياته، وحيث إن فواد هيرانم هو الآخر لدى ميزويا، فلا علم لزائنبيل

ما قد يصيب تحالفه مع الهجناء. لعلما علم أن بالاي في جهل عن لقاءات هيرانم مع ميزويا، فلقد كانت تتم في جوف الليل، إلا أنه رغب التحقق من ولاء الهجناء له، وخاصة الجان منهم، وقد أعاد بالاي قسمه لـ زائيل قائلا: «مولاي، نحن الهجناء سلاحك، لعلما كنا، وسنظل دائماً، جاثاً، بنّا أو هجناء، وعلاقتنا بين الماء انتهت يوم شطروا أفندتهم لنا، فلا اتصال لنا بهم، وولاؤنا الأزلي هو لعظيم كرمك معنا، نحن من نكون اليوم بفضل سخائك وحمايتك، لذلك وكما أقسمت لك قبل ألفيات مضت، حريك حربنا، وعدوك عدونا».

حينها طلب زائيل من بالاي أن يأمر الهجناء والبن بالحضور للمملكة فيما يظل بالاي ومن قدم معه من الجان في باسيلييا، لم يتم ذكر جريمة هيرانم لأحد، فأخر ما يرغب به الآن هو الذعر وهروب البن إلى ميزويا لحماية حياتهم، كما قد يفعل قرناؤهم من الجان حتى لا يخسروا من ارتبطت أفندتهم معهم، لذلك انتظر زائيل حتى يصل الهجناء إليه ليحدث بهذا الشأن، أو قد يصمت عنه معاقباً هيرانم فقط دون غيرها، إلا أنه ولأول مرة يخفق الملك، ويخطئ حساب خطواته، حيث انبثقت من بين اللحم التي أمامه هيئة ليست لجان أو بن إنما بقايا المخلوق لم يعلم زائيل ما يكون إلا أن الطيف بداخله يشفق على هذا المخلوق الذي تحدث بلا فاه يتحرك قائلا: «مولاي، الهجناء مع أورا».

## ميزويا

داخل أعماق البحر غاص ميزويا<sup>(١)</sup>، بعيداً حيث لا ينفذ أي ضوء، وفي يده حل نصف قلب أزرق نابض، وفعل الأمر عينه الذي يفعله كل مرة يأتي فيها إلى هنا، اعتصر هذا الفؤاد بهدوء بارد مثل الثلج، فما هذا القلب إلا وسيلة لا أكثر، رهينة لديه ليحقق ما يرغب به، وقد فعل سابقاً، كما سيفعل الآن وغداً، لأن هذا الفؤاد ملك لروح واهنة جبانة. انتظر ميزويا بعض الوقت حتى اقترب طيف للمخلوق الذي ينتظر، هيرانم أقبلت إليه حين استدعاهما، كما فعلت دائماً، كلما شعرت بها لديها من نصف فؤادها يعتصر ألماً في قبضته الوحشية. علم ميزويا منذ وقعت عيناه عليها أنها الخادمة المثالية له، هي من ستغذي جشعه، ما زال يتذكر الذعر في عينيها، عندما أراها نصف قلبها في يده، وجسدها الذي تغير يتأوه متفضأً من اعتصار ميزويا لقلبها النابض.

«أنتِ لن تخبري عشيرك بما أصنع، كما ستصمتين عن هذا لأي مخلوق آخر، قلبك وأنت ملك لي الآن وللأبد، لأصنع ما شئت بكما،



ستكونين خادمتي في الأرض، تؤدين ما يُطلب منك، وعندما أعتصر هذا  
الفؤاد هكذا، وفعل ميزويا هذا لتعاود هيرانم التأوه «ستأتين إلي ذليلة،  
مستجبة لكل مطالبي، كما أوامري دون نقاش، وإن لم تفعلي، فسيكون  
الموت كل ما تتمنيه لما سأكيله لك من عذاب، وأول نوع من العذاب  
سيكون قتل عشيرك من الجان أمام ناظريك، هل ما أقوله واضح؟»

أومات هيرانم ذليلة، مذعورة من بطش ميزويا، ليعلم حينها أنه  
فعل الأمر المناسب باختيارها، لطالما رغب بِسُلطة له على اليابسة كما  
المحيطات، وذلك منذ اللحظة التي تحرر فيها من أورا.

ميزويا الطُّحلب البني، من جيل الأولين، ومثل كل البنّ المائي من  
جيله هو لا يستطيع العيش خارج الماء، فقور ازدهاره اصطحبه الآفاريان  
حورا وثادياس نحو مصدر المياه حول أورا، وعندما آن الأوان، تم اختيار  
أول مجموعة من البنّ لزراعة أفئدتهم، وكان منهم بنّ مائي باسم ماراحا،  
لبحيط ذاته بجدران من الماء ويتجه حيث أمر والفخر يتملك روحه  
كما فؤاده على خدمته أورا، حين عاد البنّ ممن دفنوا أفئدتهم في الأرض  
متظرين الموت المقبل لهم، لم يعد ماراحا، فانتظروه لوقت طويل دون أي  
فائدة، ليعلم ثادياس الذي رحل بحثاً عنه موته من قبَل مخلوقات بحرية،  
والتي كانت في ذاك الأوان عظيمة الحجم والشراسة. وقع الاختيار

بعدها على ميزويا وبين آخر باسم كيلدو، ليتم إرسالهما إلى المحيط، وبينما هما هنالك إذا بتيار مائي من الأعماق يجرفهما بعيداً عن مسارهما ومسار أوراء، وفي شتاتهما أقبل عليهما مخلوق عرفاه جيداً، لقد كان ماراحا بهيئة تبدو مختلفة بعض الشيء، فلقد امتلك على كل من جانبي عنقه شقوقاً مائلة مثل التي لمخلوقات المحيط الشرسة، كما أن قدميه التحمتا معاً لتبدو مثلها أيضاً، وأما فوه فقد امتلأ أسناناً حادة، ما كان ميزويا ليعرف لولا أن ماراحا خاطبهما بلا صوت قبل أن يفرا منه، ليبدو في حوارهم الصامت والذي حملته تيارات القاع الباردة والهادئة.

ميزويا: «قيل لنا إنك قُتلت، ماذا حدث؟ وما بال هيتتك؟»

ماراحا: «كذتُ أقتل، لقد هاجمني مخلوق ضخيم، أعظم مني بمرات لا تكاد تحصى، لكادت أسنانه أن تصيني بمقتل، حيث إنها انتزعت نصف فؤادي كما جسدي، بما تبقى لي من قدرة هاجته بطحالي وانتزعت فؤاده، لألصقه بالجزء المفقود من فؤادي، فتغيرت هيئتي لما يشبهه، لكن ها أنا هنا بخير».

كيلدو: «لماذا لم تزرع فؤادك؟ لماذا لم تعد حتى؟»

ماراحا: «لأن أوراء هي الموت».

شرح لهما أنه بعد ما جمع فؤاده مع فؤاد المخلوق، عانى الأمرين من الوصب الذي أحاط بجسده، وفي إحدى المرات التي كان يهذي بها، أو ظن

أنه يهذي، ظهرت له شظايا طيف بلا لون أو هيئة، أظهر له هذا الطيف الماضي، وقصص الأرض التي عاها الزمن كما طمستها أوراء خَوْفاً من فقدان سلطانها على البين، ليعلم حينها ميزويا وكيلدو ما تبتغيه أوراء، فيقرر التحررهما أيضاً، ليقوم ماراحا بمزج فؤاديهما مع المخلوقات المائية، لكن دونما اقتسامها فلقد حافظ كل من ميزويا وكيلدو على فؤاده كاملاً مع إضافة الجزء الجديد عليهما، ليتغير العالم في نظر ميزويا، كما لو أن فؤاده كما عقله كانا في ظلام وحس منذ أمد، فبدأ بامتلاك أفكاره الخاصة، مشاعره كما رغباته، وقد رغب بجشع لا نظير له، أراد أن يكون له ما لدى أوراء، السلطة المطلقة، إن كان لها الأرض، فسبحصل هو على البحار والمحيطات، وعلى مدار السنوات تعاظمت هذه الرغبة وعلى حين غرة، أغار على رفيقيه ماراحا وكيلدو، مستزعاً فؤاديهما ثم مجتزأً عنقيهما فلا يملك من ينافسه على حكمه. عندما تم إرسال ميزويا لزراعة فؤاده مع كيلدو تم إعطاء كل واحد منهما غصناً من أوراء مثل كل البين الآخرين، طلب منهما ماراحا إتلاف الأغصان بإلقائها في أحد براكين القاع، إلا أن ميزويا الذي تطوع لفعل هذا، لم يلقِ الغصنين في البركان، بل احتفظ بهما سرّاً في كهف مائي ناءٍ وضيق، والآن حان وقت استرجاعهما، لم يعلم إن كانت زراعة فؤادين من البين ستزهر شجرة، إلا أنه لا يملك ما يخسره، كما أن لديه حياة طويلة جداً ليجد طريقة لذلك.

امتلك ميزويا بالمجمل فؤاداً ونصف فؤاد، كلاهما ممزوجان مع مخلوقات الماء، وغصنين من أوراء، دمج ميزويا الفؤادين معاً، غرس فيهما

غصناً واحداً على أمل أن ينجح الأمر، بينما أبقي الغصن الآخر لمعاودة المحاولة مع فؤاد أي بن مائي قد يصادفه مع الأيام، وبعد وقت طويل جداً انفلج الجرف الذي زرعت فيه الأفئدة مخرجاً شجرة مرجانية حمراء اللون، قرناً بعد قرن، رأى ميزويا طمعه يتشكل لما يحلم به، ثم أزهرت الشجرة المرجانية بين ذي هيئات لا تكاد تشبه البن بشيء، لقد حملوا من البن النباتات المائية ومن البحر هيئات مخلوقاته، إلا أنه لم يمانع بتاتاً فهذا أفضل، امتلاك مخلوقات يحظون بأفضل ما في الأرض، ما كان ليطلب أمراً أفضل من هذا. أما بالنسبة للبن الجدد فلقد تبعوا ميزويا دون تساؤلات، أخبرهم أنهم نتاج تضحية صديقيه، أنه هو حامل وصيتهما بسيطرة البن على المحيطات، ويوماً ما عليهم تحرير كل البن منها، فنبعه البن دون تساؤلات، وعندما أزهرت شجرتهم الجيل الثاني توقفت عن الإزهار، ليحاول ميزويا استخدام أفئدة من لديه من البن، إلا أن الشجرة لم تزهر يوماً حتى بعد انقضاء الكثير من الوقت.

بعد مضي قرون، وصلت لمسامعه دعوة تحمل اسم ماراحا، أنت من سطح الماء، أيأ يكن هذا الداعي، لا بد أنه يعلم بنجاة ذلك البن، لعله حليف، إلا أن خوف ميزويا منعه من الصعود، ليقوم الزائر بدعوة كيلدو هذه المرة، إذأ هذا البن من دون أدنى شك يعلم أسرار المحيط التي لا يعرفها أي بن، لعل من الحكمة تقصي ما يحمله هذا المخلوق، لينطلق

للسطح مظهراً ذاته، لقد كان ثادياس، ارتعد ميزويا خوفاً أن يتهبي حلمه  
بامتلاك المحيط قبل أن يبدأ، إلا أن الأفاري كان مختلفاً عما ظن.

ثادياس: «أين ماراحا؟»

ميزويا: «أتعلم عن ماراحا؟»

«بالتأكيد أعلم، أنا من أخبره عن قدومكما، أنت وكيلدو، والآن أين  
هما؟ وما هذا الوجود الذي أشعر به تحتك؟»

«كيف لك أن تعلم بما يوجد أسفل مني؟» بدا الذعر على صوت  
ميزويا.

«أنا أفاري أيها البين، فلا تستخف بقدراتي».

لم يعلم ما الذي يعنيه ثادياس بهذا، أو كيف عرف، إلا أنه من الحكمة  
عدم العبث بالمجهول، ليجيب خاضعاً:

«ما يقبع أسفل مني هو مرجان شجري ازدهر من فؤادي ماراحا  
وكيلدو، لقد رغبا تحرير البين من قبضة أورا، وعلمنا أن ثلاثة منا لن نكفي  
بروماً، لذلك زرعنا فؤاديهما معاً ممزوجين مع غصن أورا الذي حملته أنا  
وكيلدو». راقب ميزويا فيما اعتلى على حيا ثادياس التعجب دون تكذيب،  
بينما شعر هو بالارتياح لأنه صدق هذا.

«وهل أزهرت الشجرة؟»

«أجل لقد فعلت، لقد أخرجت بنتاً منها، وهم أسفل منا حيث وطننا».

صمت ثادياس في تعجب لوقت طويل قبل أن يتحدث مجدداً:

«لم أعلم أن هذا ممكن، فالبنّ في الأرض لا يزهرن بعيداً عن مسارنا المعتاد، كيف حدث هذا؟»

«لا أعلم».

أصيب ميزويا بالصدمة هو الآخر، حيث إنه لم يعلم أن ازدهار الأشجار بعيداً عن المسار أمر مستحيل.

ميزويا: «لماذا لم تخبر أورا عن ماراحا؟ ولماذا رغبت في تحريرنا؟»

«ما الذي قصه عليكما ماراحا؟»

حدث ميزويا ثادياس بما يعلمه، دون إخفاء أي شيء، ولم يفعل هذا من حسن نية، بل لأنه يعلم يقيناً أن ثادياس يعلم من العلم ما لم يُنبئ به ماراحا، وإلا لما خطط للأمور من خلف أورا، أو حاول تحرير البنّ، ففي نهاية الأمر هو آفاري، مثل حورا المخلص، لذلك إن رغب ميزويا بمعرفة المزيد من المعلومات، فلا بد له أن يكون صادقاً. إلا أن ثادياس لم يخبره بأكثر مما علمه مسبقاً، وهو يعلم جيداً أن الآفاري يُخفي أمراً ما، إلا أنه لم يرد أن يثير تحفظه بالكثير من التساؤلات فيذهب مخبراً أورا عن البنّ هنا، لذلك التزم الصمت، ويفضل هذا عقد معه ثادياس صفقة كانت

هي كل ما تمنى ميزويا، من حين لآخر، وعندما تواتيه الفرصة سيبيع الآفاري يتأ من الأرض نحو ميزويا ليحررهم من أورا، بشرط ألا يمزج أفندتهم مع مخلوقات البحر، بل مع البين فقط، فوافق دون تردد، وكانت أولى ضحاياه هي هيرانم.

خلال الألفيات الممتدة، شطر ميزويا العديد من الأفئدة متخذاً منهم رهائن له، بالرغم من أن عدد البين الذين قدموا إليه تضاعف بعد احتراق أورا، إلا أن هيرانم قامت بدورها في إرسال من تتمكن من البين إليه، فاحتفظت هي بحياتها فيما حظي هو بالسلطة فوق الأرض، قليل من البين هم من علموا أن أفندتهم رهينة عنده، منهم من وافق على الانصياع لأوامره مثل هيرانم، ومن تولى منهم عن اتباعه تم سحق فؤاده في نبضة ميزويا ليموت البين حيث يقف. بالرغم من انصياع بن المحيط له إلا أن مجموعة منهم انشقت عنه معلنين رفضهم الخضوع للمزيد من الاستغلال، رافضين شطر أفندتهم مرة تلو الأخرى، منتظرين متى يكمل نمو أفندتهم، ليعاد شطرها مرة أخرى، ومن هؤلاء البين كان رابولا، بالرغم من أن ميزويا قاتلهم، إلا أنهم تمكنوا من الهرب بعيداً حيث لا يجدهم.

جنح ميزويا كالهوة المظلمة بلا قاع، يظل يطالب بالمزيد دون شع، استمر ذات يوم بوجود تحرك غريب في المحيط، وعندما بحث عن

مصدر هذا، وجدبتاً من جيل الأولين، يتخبط في الماء ويكاد يغرق، لينقذه عبر إحاطته بجدران هوائية، مصطحباً إياه إلى حيث موطنه في الأعماق، وبعد الحديث المطول علم أنه عن هربوا من أوربا قبل وقت طويل، سبق وأن سمع ميزوريا عن هذا من هيرانم، فهؤلاء البين ثاروا ضد أوربا بعد أن استوطن هو المحيط، رغب بمعرفة ما يجول على الأرض، فهو بالكاد يعلم شيئاً، حيث إن ثادياس لا يأتي إليه كما لو أنه حذر منه، والبين الذين يُقدمون إليه جاهلون عن التفاصيل التي يرغبها، لذلك تلاطف مع هذا البين لأنه إن هرب من أوربا فهذا يعني أن له بعض المعرفة التي لا يعلمها هو. ذلك البين السريع الثقة، قصّ كل ما لديه لـ ميزوريا، أخبره عن عودة أوربا، عن نخبته الصامتة الجديدة، أفعالها في اصطياد البين، كما وحده بمعرفته القليلة جداً عن الأطياف، وأن ثادياس يحمل في داخله شيئاً منها، صعد ميزوريا من هذا الأمر، كيف له أن يغفل عن هذا؟ بالتأكيد الآفاري يحمل شيئاً من طيف الماء فيه، بهذه الطريقة علم عن ماراحا، كما أبلغه عن قدومه وكيلدو، هكذا علم عن الشجرة على الجرف، ليجد ميزوريا غايته في ثادياس، سبق وأن سمع عن طيف الماء من ماراحا، لكن لم يعلم أنه يمكن لمخلوق حل طيف داخله، إن تمكن من أخذ هذا الطيف داخله، فهذا يعني أنه سيحكم كل مصدر للماء، من المحيطات لأعالي الجبال، ولربما الأمطار أيضاً، هذا سيجعل حتى أوربا تحت رحمته، فمن

دون ماء لا توجد حياة، أجل ليكن طيف الماء له، فتكون الحياة، الأرض كلها له.

استخدم ميزويا أصحاب الأفئدة التي يأسرها لديه، أمراً إياهم بإيجاد ثادياس، وإيصال رسالته إليه ومفادها: «لتحد في مواجهة عدو قديم سكن الأرض».

إلا أن انتظار ميزويا طال، حتى أتته دعوة من ثادياس: «إلى الشاطئ القرمزي»<sup>(١)</sup>.

انطلق ميزويا مع عُصبة من بَنِّ المحيط كما بَنِّ اليابسة الذين يحكم سيطرته عليهم، وإلى الجزيرة وصلوا، لم يكن ميزويا ليخطئ أو يخسر فرصة للحصول على القوة المطلقة، أمر أتباعه بأسر ثادياس دون قتله، لطبع الجميع على مضض، متفرقين بعيداً حيث لا يراهم الآفاري، ما كانت إلا لحظات وأقبل إليهم من انتظروا، خرج سائراً من بين الجبال، لُبِرَزْ ميزويا ذاته من البحر محيطاً ذاته بالماء ليتنفس.

ثادياس: «ما غرضك من دعوتي؟»

«أنت تعلم أن أورا حية، أليس كذلك؟»



«بل شعرت بانبعائها».

«وهل ستترك الأمور على حالها؟ استدعها تؤذي الين؟»

تبسم نادياس ساخراً: «أنت من يتحدث، وقد أسرت أفئدة الين؛ لديك؟ أنت لا تختلف عنها، ترغب ما ليس لك، تستغل كل ما يمكنك من أجل المجد».

«ما دمت تعلم هذا، ما أنت فاعل به؟» تحدث ميزويا متهمكها ساخراً، ومتحدياً لنادياس.

«لورغبت فعل أمر لفعلت منذ زمن».

ميزويا: «أنت واهن جبان، تحدث عن حماية الين، إلا أنك لا تملك الجراءة للتصرف، كل ما لديك هو حديث منمق فحسب».

«هذا أنا مذنب، لا أملك الجراءة لفعل ما يتوجب علي فعله، لانه وذر أعظم من أن أحمله بمفردي، لذلك اتخذ خطوات ذليلة مُحففاً لعبه من ضميري، فليست أنا من يتحرك فعلاً، وليست أنا من لا يفعل شيئاً».

«إذا أعطيني ما لديك من طيف الماء، وسأفعل أنا ما علي فعله».

نادياس: «لم قد تعتمد أن الطيف معي؟»

«لن نتحدثني مرتين، أعلم أنك من يحمله، ماراحا نجا من الموت لأول مرة بفضلك، لقد أخبرني أن طيف الماء قد زاره».

ناديأس: «أنت أدكى مما تبدي، أحل أنا من حرك الطيف في الماء  
عندما شعرت بخط يصب ماراحاء، لذلك أرسلت شظايا الماء تُنقذه  
من الموت لأنني احتاج إليه، وما يهبطني هو أنه قتل على يدك دون علمي».  
ميزوبيا: «إذاً أنت تعلم ما أنا قادر على فعله من أجل الحصول على  
ميتفاي، فامنحني الطيف».

«لم قد ترغب بالطيف؟»

«لاكون القوة التي يحتاجها الين».

ناديأس: «أنت لا تفعل هذا من أجل الين، بل من أجل جشعك، فلا  
تعتقد أن لك شرف حمل الطيف فيك».

«لا بأس سأخذه رغماً عنك إذاً».

«عليك انتزاع فؤادي مني أولاً».

أشار ميزوبيا بيديه ليتجلى الين من خلف الجبال مغبرين على ناديأس  
لوحيد، إلا أنه لم يترزع من مكانه، حتى إن الين ترددوا في خطاهم، إلا  
أن المحيط كانوا أقرب، قام أحدهم بإرسال حزام مائي حاد نحو قدمي  
تدهاس ليترعها، فيخر أرضاً، لتسل دماؤه بين رمال الشاطئ القرمزي،  
ولسراحه التي ضربت الأفاري بلطف مختطفة دماؤه معها نحو الضفاف  
الخضراء، ناديأس لم يتأوه أو يصرخ، كل ما بدا عليه هو القليل من التغيير

في تعابير وجهه، حتى لونه الأسود لم يصرح إن كان خائفاً أم لا، قام اثنان من البنّ برفعه من ذراعيه، جازين إياه إلى ميزويا، بينما قدماه المبتورتان تركتا أثر سحلهما على الرمال، رفع ثادياس عينيه ناظراً إلى ميزويا دون أي خوف أو تردد، ليرتعد خوفاً من هذا المخلوق.

«امنحني طيف الماء».

«لا»

أشار ميزويا لأحد البنّ اللذين أمسكا ثادياس، ليقوم الآخر بتمزيق إحدى ذراعيه من مكانها، ليظل معلقاً من ذراع واحدة فحسب، ولأول مرة يتأوه ثادياس دون صوت يعلو أكثر من الأنين، ليزداد غضب ميزويا وغيظه.

«سأمنحك موتاً رحيماً إن منحني الطيف».

«أعتقد أنني أنتظر الرحمة منك؟ أتيت هنا عالماً ما تكيده لي، فارني أفضل ما لديك، أنت لن تزعزع عزيمتي».

حينها تم انتزاع الذراع الأخرى للآفاري ليخر أرضاً جذعاً من جسد بلا أطراف، ووجهه المتلبّد مع الماء أطلق فقاعات الهواء، أما دماؤه فلم تعد تتزف، فهو يكاد أن يجف، حتى لونه الأسود الداكن ازداد قُتْمَةً، حينها أطلق ميزويا حبلاً من الطحالب عاقداً إياها حول عنق ثادياس،

معلقاً إياه في الهواء وخانقاً إياه بهدوء، أراد التلذذ برؤية الضوء يغادر عينيه.

«سأمزق ما تبقى من جسدك وأخرج طيف الماء، إنه لي عاجلاً أم آجلاً».

تعالى صوت ضحكات نادياس حتى عكست الجبال صداها، وبابتسامة متفاخرة خبيثة كما عينين تأججتا لهيباً وبقيناً قال:

«لتفعل إذاً، فطيف الماء ليس معي، أنا لا أستحقه، كما أنت، الأطياف ستجدُ من يُلبّي نداءها، وعندما يحين الوقت، سيتهي كل شيء، أنت، أورا، وكل من طال وجودهم على الأرض، ستندثرون جميعاً، هذا عهدُ نم القسمُ عليه».

استشاط ميزويا غضباً، هاتفاً: «بل هو معك، وسأنزعه منك الآن».

أحكم ميزويا قبضته على عنق نادياس الذي تحبّط جسده بعنف لا مثيل له، ثم ثَقَّبَ صدر الآفاري مستزعاً فؤاده المغطى بالكالا من جسده، لتفادر آخر أنفاسه جوفه، وأحيلت عيناه لبياض، وحتى بعد ذلك لم يوقف ميزويا اعتصار عنقه، ولم يتوقف حتى فصل رأسه عن جسده المزق والميت، إلا أنه لا أثر لطيف الماء.

لقرون وأفليات بحث ميزويا عن طيف الماء، أو خيط قد يوصله إليه، بلا فائدة، بل هو اختطف بعض الجليل الضال الذين يعلم أن نادياس

اعتنى بهم فقط كي ييوحوا بالمعلومات، لكن الجميع جاهلون، حتى مع أشد أنواع التعذيب لم يتحدثوا، إما أنهم لا يعلمون شيئاً، أو أن ثادياس أنشأ جيلاً جباراً على الألم.

ثم تعالت الأصوات بعودة ابن أورا البار، الجندي المخلص سيون، علم حينها ميزويا أنه لا يملك أي فرصة للنجاة لو أن حرباً بينه وبين أورا اندلعت، وخاصة أن سيون بن ماثي، ليرسل بعض جنوده بالقرب من جزيرة أورا، ويبعداً عن مسارها، ليراقبوا أوضاع الماء هناك، ليحضروا سيون له إن تمكنوا، لتتاح لهم الفرصة عندما تحبب النيلوفر داخل الماء وهو مسموم<sup>(١)</sup>. أدرك ميزويا أن أفضل فرصة له للنجاة من بطش أورا وتحقيق غايته هي بتسخير سيون له ومجدداً تفشل خطته عندما طارده النيلوفر كالمسحور محاولاً استعادة فؤاده، ليكتفي بجزء صغير منه قبل الفرار مع البين التي كانت تحارب الموت معه. الآن لم يجد ميزويا سبيلاً للنجاة إلا بالتحالف مع أورا، ليتجه حيث هي، مقدماً لها فؤاد من خانها كعربون سلام بينهما، بدا على هيئة أورا اليأس، إلا أن هذا لم يمنعها من التساؤل عن البين من خلفه.

«لا أذكر إنتاج هذه الهيئة من البين».

انتفض ميزويا من واقع أن عليه إخبار أورا بازدهار الأئدة في خارج

---

١- في هجناه حين فر سيون من جزيرة أورا لينقذ لا يالا والدة إيلهاب.

مسارها، عدا أنه علم أن الكذب أو التزييف لن يُنجيه هنا، إن كان يرغب بالتحالف فعليه أن يكون صادقاً إنها مكرراً.

«لأنهم بنّ أزهروا من شجرة نبتت نتيجة ازدراع اثنين من أفئدة البنّ في قاع البحر».

أورا: «وكيف هذا؟ لا شيء يزهر خارج مساري، لقد قمت بزراعة عشرات الأفئدة مجتمعة في بقعة واحد لعلها تزهر، وأنت أزهرتها باثنين فقط؟»

«لست أنا من فعل، بل ماراحا وكيلدو هما من فعلا، وأنا بقيت أراقب نحسب، لقد زرعنا أغصانك التي وهبتها مع الأفئدة».

أورا: «أستطيع رؤية نصفهم الذي هو لي، ولكن ليس هذا كل ما أراه، أليس كذلك؟ ما الذي تخفيه عليّ؟»

ارتعد ميزويا فهو لا يعلم ما الذي تحدث عنه، حتى نادياس لم يعلم كيف أزهر البنّ بعيداً عن مسارها، أو لعله علم لكنه ما كان ليخبر أبداً، هذا هو نوع البنّ الذي كان عليه نادياس، دائماً يخطط لكل شيء، لعله علم أن ميزويا سيلتجئ لـ أورا ذات يوم، وأراد تدمير أي فرصة لها للتحالف، عدا أنه ما كان ليدع الآفاري يتصر مجدداً، لن يجعل شيئاً يسير وفق خطته بعد الآن.

«حقاً لا علم لي بما تقولينه، كل ما أعلمه هو أن ثادياس لديه الخبر اليقين، هو من أخبر ماراحا، عن قدومي وكيلدو، لقد سألتني سؤالك ذاته من قبل لكن لم أملك إجابة».

أورا متبسمته بتهكم وضجر: «يا لهذا الـ ثادياس! أجده يعبت معي في كل تحرك، لكن أنعلم ماذا؟ لقد تعلمت أمراً منه، وهو أن لا أثق بمخلوق ما، ثم أتى سيون وعزز هذا اليقين في، لذلك سأجد ما أرغب به بنفسي». وبأسرع من طرف عينه كان ميزويا معلقاً رأساً على عقب، وهورا أمامه يعتصر سائلاً أسود من كفيه، هو يعلم جيداً ما تأثير هذه الأزهار عليه، لعله لم يختبرها إلا أنه سمع الين من قبل يخبرونه عن مدى فظافة أزهار حورا، لذلك نطق قبل أن يطاله العذاب.

«أنا أعلم شيئاً عن الأطياف».

توقف حورا دون أمر من أورا التي أجابت: «لا سيم ما تعرفه، فرف أشاطرك معرفتك، فلا تتعجل بالنطق».

ارتعد ميزويا قائلاً: «أقسم أنني لم أختك، لقد أحضرت لك النبلوفر هدية وعربوناً لعهدنا، فقط دعيني أخبرك ما لدي دون تعذيب».

شعر بالهواء من حوله يتخبط بشدة، وإذا به أورا أمامه، لتعلم من وضعيته لاهثة: «ماذا عن النيلوفر؟»

لم يعلم كيف يفسر تعابير وجهها، هي مزيج بين النهم القاتل، الرغبة، كما الجنون.

«فؤاد النيلوفر معي».

ما أن أنهى كلمته إذا بحبال تلتفّ حول عنقه تعصره، ومن بين أنفاس أورا الساخطة تساءلت: «أقتلته؟»

بالكاد وجد الينّ القدرة كي يجيب فقد سُحقت حنجرتة بحبال أورا، ليجيب قائلاً: «لا، ليس بعد».

حينها حلت قليلاً من قبضتها على عنقه، ليتنفس الصعداء، وبصوت يرتجف تحدثت قائلة: «أين فؤاده؟ أعطني إياه».

نظر ميزويا إلى أورا وما كان لينسى النظرة التي اعتلتها، لقد كانت كمن تلبسها جنون أرعن، كشوق لأحب الأحبة، أو كعطش لا يرتوي. انشأ ميزويا للينّ ممن معه والذين كانوا بلا فائدة تُذكر، فأقبل أحدهم نحو أورا حاملاً بين يديه صدقة كبيرة، ومن داخلها صوت نبضات قلب صاخبة، وحين لم يصل الينّ بالسرعة التي رغبها أورا أطلقت حبالها غمظفة الصدقة غير مبالية بالينّ الذي فقد ذراعيه من عنفها، فتحت الصندوق بتلف حذر، وعندما وجدت القلب داخله ينبض ارتسم الجنون ابتسامة على شفتيها، ويدها حملتا الفؤاد كما لو كان أثمن ما في الوجود ومن خلفها وسوس حورا قائلاً: «لندمر هذا الفؤاد القذر».

مد يده نحو القلب الذي كان ينبض، وقيل أن يلمسه إذا به أورا تطلق  
أشواكاً عملاقة اخترقت جسد حورا الذي علق بها بينما قادته بعيداً عن  
ثمينها، لتقول بغضب مليء بالازدراء:

«لا تنسَ مكانك أيها الأفاري القذر، إنه لي، هولي وحدي فلا تلمسه».  
علم حينها ميزويا أن حفظه لقلب سيون أنقذ حياته، ليردف بهدوء  
قلقى: «هل تقبلين هذا التحالف ما دمت سأخبرك بما أعلم؟»  
أبعدت أورا حبالها قائلة: «لتخبرني أيها المائي».

«لعل نادياس هو من أخبر ماراحا كيف يزهر الأشجار بعيداً عن  
مسارك، فلقد امتلك طيف الماء داخله».

أورا: «لا تتحاذق معي، أنا من قدم شظايا طيف الماء لـ نادياس».  
«أجل إلا أنها ليست أكثر من شظية، إلا أن أحد الأولين الذين  
اصطدتهم، أخبرني أن نادياس جمع عن تناثر الأطياف»  
أبصر البين الذعر الخالص في أورا التهمس جزعاً من الموت: «لا! هذا  
لا يمكن! فالأطياف كلها تلاشت للأرض، وما حمله نادياس ما هو إلا  
شظايا ما تبعثر».

«أقسم لك إنه كان يحمل الطيف كله داخله، فلقد انطلقت إليه مُطالباً  
بالطيف، أردته لأحي نفسي عندما علمت أنك عدت، خشيت أن يظللني

غضبك من خيائتي، لذلك طالبت بالطيف لأجل حماية ذوي الماء مثلي،  
إلا أن نادياس رفض، وخضنا معركة بيننا، وفي رغبة منه للحماية ذاته  
أخبرني أن الطيف ليس معه، وإنما اختار من يرثه من المخلوقات، فرحل  
بعيداً عنه».

نجمدت أورا لوقت قد يكون طويلاً لتنفوه قائلة: «ليكن بيننا عهد  
أنا المائي: بعد انقضاء الحرب، سيكون الماء لك واليابسة لي، وحتى ذلك  
الحين تذكر أنني رحيمة فلا تختبر غضبي».

وافق ميزوها على مفضل، فالآن ليس الوقت المناسب للمساومة  
بحر. أياً يكن السبب فدأورا ترنعد ذهراً عند ذكر الأطياف، كما أن نقطة  
مضها هي سبون ليكن إذاً، لكل شيء زمان والآن ليس وقت تقييد  
نورأو نعلما لضمان امتلاك الماء أولاً ثم يمين موعد الخطوة التالية.

## الجنة

امتثلت هيرانم أمام ميزويا بعد أن تم استدعاؤها، لطالما استصغرها، لكنها أداة فعالة، والآن ستثبت فعاليتها مجدداً.

هيرانم: «لماذا استدعيتني؟»

«هل رحل الجان إلى باسيلييا؟»

«أجل»

«أنت تعلمين أني حليف لـ أورا الآن، أليس كذلك؟ هذا يعني أنك خادمة لها أيضاً، أنت ومن معك من الإين والهجناء».

«أعتقد أن أحداً منهم سيوافق على العمل مع أورا؟ لا، هم لن يفعلوا».

«دعي الأمر لي، ونفذي ما يُقال لك فحسب».

رغبت الرفض أو الجدال، لكنها نظرت إلى فؤادها النابض بين كفيه، وعلمت أن الأفضل أن لا تثير سخطه، وحتى لو لم يغضب، فهو قد يعتصر فؤادها في سبيل التسلية فحسب، هذا نوع المخلوقات الذي يكونه.

هيرانم: «ما الذي تريده إذا؟»

«قريباً، سيتم استدعاؤكم من قبل زائينيل، وسترحلون عبر المحيط، كما سيحاجكم من تبقى من الجبان لحراستكم، كل ما عليك فعله هو انتظام الصمت، وعندما تعبرون الخندق المائي العظيم، ستقومون بإخطارنا عبر الماء، ونحن سنقوم بالمتبقي، هذا ليس صعباً، اليس كذلك؟»

هيرتم: «ماذا ستفعل بنا؟»

«هذا لا يمتك»

«هل ستفهم؟»

ميزويا: «ومنذ متى بات لديك ضمير يشرع؟ هم رهائن لدي بفضلك، فلا تصطنعي الاهتمام الآن، أنا وأنت أزهرنا من الجليل ذاته، وكلانا أنانيان لا يحبهما إلا النجاة وأنفسنا، استمري في فعل هذا، وقومي بدورك كما المعتاد».

عادت هيرانم إلى منزلها ذليقة، تتساءل إن كان يمكن للأمور أن تتخذ مُنحَنًى آخر؟ هل يمكن لحياتها أن تكون مختلفة عما هي اليوم لو أنها لم تقدم فؤادها لميزويا؟ لربما لو أنها انتظرت قليلاً، لتظهر فؤادها من أورا عبر حملها بابنتها زالجون، كما حدث مع لا يالا، هنالك الكثير من ماذا لو، علماً أن هذا لا يهم، هي تعلم أنه كان بإمكانها إنهاء الأمر منذ أمد بعيد.

إما بالإفصاح عن الأمر لـ بالاي، أو رفض العمل مع ميزويا، لربما لو  
أنها أخبرت نادياس الحقيقة آنذاك لما كانت في هذه الحال المثيرة للشفقة،  
لكن رفض ميزويا كان ليتسبب في موتها، وهو الأمر الذي لم ترغب به،  
لم تعلم هيراثم سبب تشبثها اليائس بالحياة، هي لم تكن يوماً مقاتلة،  
ليست مغامرة، لم تؤثر على حياة أحد بالإيجاب، في الحقيقة هي لم تكن  
شيئاً يوماً غير قرينة بالاي، الذي لم تعد تعلم إن كان وجوده معها بسبب  
الرابط بينهما أم أنه اختار الوجود مع من عاهدته فحسب، لربما لو علم  
عشيرها بطريقة لقطع هذه الرابطة لفعل منذ أمد، فمن يرغب بعشيرة  
صماء؟ بالنظر للأمور مجدداً، هو فقد اهتمامه بها منذ أمد، منذ ألفيات  
طويلة، حتى بات جزؤه من الفراش بارداً، لم يعد للحديث بينهما مكان،  
في أعين أنفسهما باتا غريبين، هو من ذرف الدموع على ألسنها يوم فصل  
ميزويا فؤادها، هي من لم ترغب الابتعاد عنه أبداً، ثم هنالك زالجون،  
الذي كان مقرباً من والده أكثر منها، هو لا يستجيب لها، ولم يفعل يوماً،  
هيراثم تعلم أن ابنتها يشعر بالخزي منها، في حين أن إناث البين شاركن في  
حروب سابقة ولديهن القوة والعزم الكافيان لمجابهة الصعاب والموت،  
إلا أن هيراثم الضعيفة بقيت حيث هي وكما هي، لم تحرك ساكناً، وعندما  
تم اختيار سفير للهجته يتعامل مع الجان، لم يتم اختيارها، عشيرة قائدة  
الهجته، هيراثم أولى بهذا المنصب من أي أحد آخر، لكن تم إعطاء هذا

النصب لـ لا يالا، هيرانم الصامته دوماً، ولعلها ستظل طيلة حياتها صامته، لا تملك مكاناً لها في الحياة، هي اختارت الانزواء بعيداً عن كل شيء، اختارت الخضوع لمخاوفها دون أي شيء آخر، لتخضع لها.

كما أخبرها ميزويا لم تمض إلا أيام وأتى أمر من زابنيل، يقضي قدوم كل من في منطقة المهجاء لـ باسيلييا دون استثناء، ليقوموا بواجبهم في هذا التحالف كما الحرب، وخلال يومين صنعوا أربع سفن كبيرة الحجم لتحملهم إلى مملكة الجان، ملؤوا المراكب بالموونة وإن كان هذا الأمر ليس ضرورياً، فالجنّ ذوو الخصائص المائية منهم قادرون على تحريك الماء أسفل منهم بسرعة، ليصلوا خلال يوم ونصف اليوم، إلا أن الاحتياط واجب، وضعت السفن على الماء، واعتلاها سبعة آلاف من المهجاء مغرقيّن، وكل واحد من المراكب يحمل خمسة من الجنّ الماء، ويحرسها من فوقها خمسة من الجان، ومن أسفلها تسعة من الجنّ المائي، هم سيمبرون عجباً غريباً عليهم، لا يعلمون من عدوهم فيه، أو إن كانوا سيتعرضون للهجوم، عدا أن تقتهم بعددهم أكبر من حذرهم، أيّاً كان من يحاول الهجوم عليهم، ما هو إلا أحمق، أو هذا ما ظنوه.

كانت هيرانم خلال الرحلة في اضطراب كبير، تخشى تنفيذ الأوامر التي فُرضت عليها، ليس لأن ضميرها أُنّبها، بل لأنها لم ترغب أن يلاحظ المهجاء من حولها ما تخطط له ليقفوها قبل أن تنجز مهمتها، حينها

سيعتصر ميزويا فؤادها دون رحمة، لن ترغب الموت، أكثر من أي شيء.  
 آخر خشيت الموت، ظلت تستشعر الماء أسفل منها<sup>(١)</sup> تنتظر وصول  
 للحنق المائي الأعظم، وشعرت من مراقبة زاجون ها أنه يستشعر  
 اضطرابها، لذلك تماشته، لا يمكن أن يكشف أمرها ليس الآن. قبل أن  
 ينقضي نصف اليوم الأول، كان المهجناء فوق الحنق الأعظم هناك  
 اتجهت هيرانم لحافة السفينة طالبة من الين المائي الذين يحرسون الميناء  
 الاستطلاع أسفل السفينة، لأنها استشعرت بوجود اضطراب تحت الماء.  
 وقد نفذ الين نظراً لأنها عشيرة القائد، حينها أزهرت من يدها زهرة  
 بلامون بنفسجية، مزيج بين أزهارها الزرقاء وطحالبها الحمراء، لتلقيها  
 في الماء، ثم عادت إلى موقعها الأول كما لو أن شيئاً لم يحدث، ولم يشك  
 أحد في شيء. ما أن عبروا حدود الحنق، حتى تحبّطت الثفن بعنف،  
 ليتغير التيار أسفل منها، وتندفع بشكل جانبي في المحيط كما لو أن أحداً  
 ما يجذبها بقوة، حاول الين استعادة السيطرة على السفن عبر تحريك الماء  
 عدا أن هذا لم يجدي، ليطلقوا أحزمة ورقية غليظة، يحيطين السفن بها في  
 محاولة منهم لجذبها بأجسادهم عندما امتنع الماء عن مطاوعتهم، إلا أن  
 بعضهم تمزقت أطرافه، منهم من انشطرت أبدانهم إلى نصفين، آخرون  
 تم جرحهم خلف السفن بعنف، حتى ياتوا أشلاء، أما الجان فقد حلّقوا

---

١- لديها القدرة على استخدام الماء لأنها طهرت فؤادها عبر شطره ثم دمج مع شطر فؤاد  
 لين مائي (الطحالب الحمراء).

سرعين خلف السفن لحمايتها كما عوائلهم التي عليها، في حين أن بعض من على السفن علموا أنهم وقعوا في فخ ماء، ليقفزوا من فوق السفن، وعندما لامست أجسادهم الماء هوجوا من قبل أسماك مفترسة ذوات أسنان حادة، لتمزق أبدانهم ويتصبغ المحيط بلون دمائهم.

ثبت هيرانم جسدها بحافة السفينة ما أن بدأت بالاندفاع، أما زالجون والجناء فقففوا من لهيبهم إلى الماء حله يصيب أيًا من يقوم باقتيادهم، بلا طائل فالسفينة تتحرك وفق قوة لا يرونها، عدا أن الأمر لا يحتاج الكثير من الذكاء لمعرفة من المتسبب في هذا، إنه ميزويا ومن معه، والآن هم عاصرون غير قادرين على القفز للماء أو الابتعاد للساء، لأن هذا يعني نيل الين للخطر.

تعالَت أصوات الصرخات في السفن من هول ما أدركوا، خوفًا عما هم مقبلون عليه، وجهلاً لمصيرهم، قام الجان بالغطس أسفل السفن علمهم يتشلونها من فوق الماء، وحيث إنهم ليسوا مثل الين فالمخلوقات البحرية لن تؤذيهم، عندما غطسوا أسفل السفن كان المفترضون بانتظارهم كما لو أنهم جزء من هذا الهجوم، لينقض أحدهم على الجان، فيغرز المخلوق البحري أسنانه في جسد الجان مُمزقًا إياه وفي ذعرهم أدرك الجان أن هولاء ليسوا مخلوقات بحرية، بل إنهم ينّ مائي وحشي، لم يطل الجان الانتظار لتلتحم مجموعة منهم مع أعدائهم، بينما يقوم الآخرون برفع السفن

للهواء فلقد انجرفوا بعيداً للغاية نحو المجهول. وبحركة واحدة، وقوة عظيمة، تحركت الجان حاملين السفن للأعلى بعيداً عن الماء، حينها صرخ صوت من إحدى السفن: «ألسنا في مسار أوراق»

عمت الفوضى وتعالى الصرخات أكثر، وقبل أن يتمكنوا من فعل أي شيء، أو يُمنحوا فرصة للتفكير، إذا بقاذفات نارية كاوية تصيب الجان الذين يحملون السفن، لتهاوى السفن فوق الماء من علو كبير، فتمزق فور ارتطامها بالماء ويهوي من كان عليها في المحيط.

فيما تخبط البِنّ والمجنّاء في الماء، إذا بعدة شبكات ورقية غليظة تقبل إليهم من تحت المحيط، لتصطادهم جميعاً داخلها، ثم تتسلهم من الماء ليمسوا معلقين في الهواء، داخل مصيدة عُيِنَت لهم، وفي هذه الشبكة تخبط الأسماك التي تم اصطيادها معهم، باحثين عن النجاة لكن لا نجاة لأحد الآن أو اليوم.

تعالى الصراخ في الأرجاء، وأجسادهم تلاصقت معاً، بعضهم يقف فوق الآخر، يدوسون بعضهم بعضاً، يحاولون تمزيق هذه المصيدة التي تسلبهم حريتهم، ومن مات تحت وطء الأقدام التي داست عليه هو المحظوظ منهم، أشعل المجنّاء اللهب في محاولة لحرق الشبكة اللزجة التي لم تشتعل، لقد كانت مصنوعة من الطحالب حيث منعتهما لزوجتهما من الاشتعال، ثم تعالى صوت مفرور قائلًا:

«مرحباً بكم جنودنا المستجدين».

أخست كل الأصوات في تلك اللحظة، ناظرين لـ ميزويا الواقف فوق الماء محاطاً بالين المائي كما الجان، وبالقرب منهم تقف هيرانم.

زالجون: «ما الذي يحدث هنا؟ ما الذي فعلته؟»

خفضت هيرانم عينيها ولم تحب، في حين أن ميزويا تبسم بمكر قائلاً: «لقد فعلت ما عليها فعله لتحيا، كذلك يجب عليكم أنتم، هذا إن كنتم تقدرُون حياتكم».

«لا يم عددكم، فالغلبة في العدد لنا»

صرخ أحدهم، ليشير ميزويا لأحد أتباعه خلفه، فيقترب حاملاً معه صدقة عملاقة ليفتحها فيتعالى صدى نبضات أفئدة مختلفة، كما لو كانت لحناً جيلاً، حزيناً، عُزِفَ بشوق الين لأفئدتهم المسلوية منهم، عندما رأت المخلوقات أنصاف الأفئدة شهقوا جميعاً بذعرٍ من الواقع الذي هم فيه، والخديعة التي قضوا حياتهم تحت ظلها، كم وَهْمُ الحرية قاسراً أخرج ميزويا نصف فؤاد من الصدقة، واعتصره بعنف مُفرط، إنها ليس للدرجة تهشيمه، وعندما فعل تعالى صوت صرخات من إحدى الشبكات المعلقة في الهواء، انتفض كل الين ذعراً من صوت الوصب الذي وصل إلى آذانهم، لتقع أعينهم على ين يقبض على موضع قلبه، ثم اعتصر ميزويا القلب حتى تمزق، مُنْسِلاً كأشلاء من بين أصابعه، ليصق الين الدماء

ميتاً، فيُعَمّ الصمت المطلق، كما لو أنهم يخشون إطلاق صوت يقودهم للموت، أو يخشون أن إطلاق الصوت لن يوقفهم من هذا الكابوس مواجهين الواقع الذي هم فيه الآن.

ميزويا: «لن تكونوا أكثر منا في لحظات، كل ما علي فعله هو اعتصار أفئدتكم التي معي، والتي حصلت عليها بفضل هيرانم، هي من قادتكم إلى عالمة ما أنا فاعل بقلوبكم، جاعلاً إياكم أسرى لدي، والآن أن أوان حصد ما عملت عليه لآلفيات لا تحصى، والفضل كله لك هيرانم أينما البلامون الأزرق».

تمنت البلامون لو أن طوفاناً يأتي ويمرحها لأعمق نقطة في المحيط، فترقد في ظلام بعيداً عن الجميع، عن هذا الخزي الذي تشعر به، رفعت نظرها لتقع عينها على ابنها الذي امتلأت عيناه كرهاً، حقداً، كما خزي منها، لتدرك حينها أنه لطالما نظر إليها هكذا، لطالما أبغضها، ولعلها لم تحبه هي الأخرى، بالرغم من الحقن الذي طغى عليه إلا أنها لم تنزعج أو تحزن، لم يسمها إن مقتها، ولم تكثر بـم يفكر بها.

أردف ميزويا: «لديكم الخيار هنا، أن تعملوا معي وطوعاً لأمرى، مقاتلين في حربي أنا وأورا، أو سأنهيكم جميعاً، تذكروا أيها المهجناء، قلوب ذويكم بين يدي، وأنتم أيها البين، لو رفضتم العمل لدي فسأقتل أبناءكم أمام أعينكم ثم أسحق أفئدتكم، فما اختياركم؟»

«التقتني إذًا، لقد قضى والدي اليّن حياته هارباً من أورا، كما قاتلت  
أمي الجان مع جيش زانيل، ولن أدنس ذكراهما أو مجهوداتهما من أجل  
النجاة بحياتي، لتفعل ما شئت ساموت حرة». قالت أنثى من المهجناء،  
لتطلق نحوها قبضة مشتعلة تحرق فؤادها حيث وقفت، فتلاشى صوتها  
بعيداً.

«أنت عار على اليّن هيرانم، لقد وثقنا بك، كيف لك أن تخونينا؟ كيف  
لك أن تفعل هذا؟» صرخ صوت آخر.

هيرانم: «إنما أرغب بالنجاة فحسب، لطالما فعلت، ولطالما سأفعل».  
ثم بصق صاحب الصوت الدماء من فمه بعد أن سحق ميزويا فؤاده  
بين يديه، فيتلاشى جسده للأزهار التي كان عليها، ليحل الصمت  
مجدداً، ومن أعين المهجناء أبصر الذعر في بعضها، اليأس في البعض  
الآخر، وهنالك من وجد في أعينهم الشجاعة والتحدي، مثل عيني  
نادياس ذلك اليوم التي لم تفارقه حتى هذه اللحظة، لذلك قتلهم فوراً،  
وفوق البحر تآثرت أزهار اليّن كالربيع يزهر فوق المياه، مترقصة بحرية  
مع الأمواج التي احتضنت ذكراهم، أما المهجناء الذين رفضوا الانصياع،  
فقد تم حرقهم ليتناثر رمادهم هباء مع الرياح إن هبت، أو يتساقط في  
أعماق البحر المرجاني فتناوله الأسماك، وفي خضم كل هذا التزم زالجون  
الصمت، يراقب أصدقاءه يحترقون فتتعالى أصوات آلامهم متلاشية مع

نسيم البحر، راقب فيما تهاوت أزهار الينّ على سطح الماء بحرية جيلة، صامته، لم يعلم أنه يمكن للموت أن يبدو جميلاً، أن تبدأ الحرية مع النهاية، أن يكون للصمت لحنٌ صاخب هكذا، والسكون إعصار لا يُرى، ثم أتى دوره، وقف ميزويا أمامه، لتقابل أعينها دون أن ينظر زالجون إلى هيرانم.

ميزويا: «ما اختيارك ابن هيرانم؟»

رغب زالجون لو يزيل دماء الينّ من جسده، إلا أنه ولأجل النجاة أجاب: «أنا معكم».

بعد أن امتلأ وجه الماء بالبتلات، وعم السكون الأرجاء، بدأ ميزويا ومن معه بالترحال فيما ظل الأسرى داخل شباكهم، محلقيين في السماء. داخل تلك الشبكة أغمض زالجون عينيه في استرخاء تام، في صفاء ذهن لم يحظ بمثل له، حتى أصوات المتحيين حوله لم تصل إلى مسامعه، لقد كان هو ومن يبحث عنه فقط، وعندما وجده، وبسرعة هائلة، أطلق من كفيه لهباً هادئاً وصغيراً، وبه أحرق الحزام اللزج الذي كان يقيد معصميه، وحين تحرر وضع كفه بسرعة على شبكة الطحالب، حاشأً حرارة آلاف الألهبة التي أطلقتها طيلة حياته في شعلة واحدة حارقة، امتدت حول الشبكة محرقة إياها في طريقة عين، ليسقط زالجون ومن معه نحو المحيط، إلا أنه لم يدخر أي وقت أو مجهود لينطلق بأقصى سرعة



أعماق المحيط إلى المكان الذي يصبو إليه، من خلفه تبعه البين المائي، فتتحركهم فمه الكبير ليفرز أسنانه في جسد زالجون، إلا أنه فوجئ بهجين ندم حياته من أجل حماية زالجون الذي التفت ناظراً ليجد أن الهجئاء ممن حرمهم يقاتلون البين المائي، ليصرخ أحدهم له:

«انطلق، وافعل ما عليك فعله، ولا تنظر للخلف».

أكمل طريقه بقلب يشتعل غيظاً، الماء، وبأذن أصمت عن الأصوات من حوله، وعيناه لا تريان إلا الهدف الذي يريه، حينها ومن ظلمة الأعماق سطع ضوء بركان لظى، اندفع إليه عالماً علم اليقين أن ما يفعله سيكلفه حياته، ومن دون تردد قذف جسده صوب البركان المشتعل، ليحترق البين فيه، وتذبل هيئته، بل هو فقدتها، وكل ما تبقى منه هو لهيب النار من جزء الجان فيه، علم زالجون أنه يتألم إلا أنه لم يشعر بهذا الألم، علم أنه يحتضر، إلا أنه يقاتل الموت بروحه الآن، فلم يتبق له جسد يصرخ الماء، ومن بين لهيب الحمم التي أحالت جسده لمشيم أناه صوت لطيف، قديم، غليظ، كما مألوف:

«ارتح الآن يا من مني جُبلت، سأقودك إلى حيث تبغي».

الآن بدأت الحمم تقود زالجون بين سيلها الجارف، في حركة هادئة، حيمية، ساحرة وفي أمان ظل يسبح، غير عالم ما تبقى منه، إن كان ما يزال جزءاً من الأرض أو لا، لم يعلم كم لبث، أو إلى أين يتم اقتياده، وذلك

حتى أتاه الصوت مجدداً:

«حقق رجاءك، ثم قريراً أتم».

انبتق زالجون بهدوء من البركان، ليجد ذاته أمام حضرة الملك، بدا على زائيل التعجب، إلا أن زالجون يعي سبب هذا فما يراه الآن، ليس بجان أو ينّ، إنه طيف لروح تتلاشى، وآخر أمنياتها هي الحفاظ على ما تحمله عزيزاً عليها. وبصوت واهن، متلاشٍ، تحدث قائلاً:

«مولاي، المهجئاء مع أورا».

«ما حدث لك أيها المخلوق؟»

«نبذت الينّ من بدني، قادماً إليك بها تبقى من الجان في روحي، مولاي أجب رجائي الأخير، لأرى والدي بالاي».

صرخ حينها زائيل بأعلى صوته منادياً بالاي للقدوم، لقد ارتعدت الجبال من صدى صوته الغليظ.

«مولاي، إن من عشائر الجان من يعمل مع أورا أيضاً، لقد أحرقونا، قتلونا، إنهم مع أورا عدو لك».

ما انتهى من قول هذا حتى صُفِعَ باب حجرة العرش التي هم فيها وبالاي يقف مذعوراً من طريقة استدعائه، إلا أن ما رآه أمامه سلب منه المنطق، ليتوقف فؤاده عن النبض، وجسده الأسود يتفرض من هول ما

رقت عيناه عليه، حتى وهو بلا هيئة علم أن هذا ابنه، الروح التي من  
أجلها قاتل لألفيات، البسمة التي تضيء أيامه، طيش شبابه أفقده عقله  
مرات ومرات، إلا أنه لم يحمل له إلا كل الحب، وها هو الآن أمامه بهيئة  
لا تكون له، ويحضور يصرخ هو:  
«أبي، اعتذرا».

هب بالاي إليه بعينين تفيضان دموعاً، وذراعين ممتدتين تحاولان  
إسكاه كي لا يتلاشى، ليكن طيفاً، ليكن أي شيء إلا غائباً عن الحياة،  
عدا أن ذراعيه أحاطتا ببعضهما ببعض بلا شيء تلمسانه، نظر بالاي والهلع  
بصرخ من عينيه، وصوته لا يجد الهواء ليخرج معه.  
«أبي إنها هيرانم، لا تدع لها موطناً على الأرض».

الآن بدأ زالجون يتلاشى كما صوته المتحدث يخبو، وبالاي يحرك  
ذراعيه بجزع يحاول حبسه بين ذراعيه حتى لا يتركه، وبآخر صوت تبقى  
لدى زالجون قال: «لا تأت حيث أنا بسرعة، أحبك أبي».

تلاشى زالجون أخذاً معه روح بالاي كما عقله، ليظل يحرك ذراعيه  
كالمسوس باحثاً عن خيط دخان صغير يمسكه من ابنه، باحثاً عن أي أثر  
له، وعندما لم تمسك يده شيئاً ولم تبصر عيناه أثراً له، خر بالاي للأرض  
فاتحاً فاه ليصرخ إلا أن زالجون أخذ صوته معه، فظل بالاي يصرخ صوتاً  
آخرس لا يصل لمسامع أحد، حينها دوى صوت انفجار هز المملكة.

## الفصل الثالث

### الغارة

مع هبوب الرياح...  
تحت ظل تلك الشجرة...  
ظلت دموعي تنساب...  
لصورة مني أكاد أجهلها...  
أوتار العود...  
تعزف أنغام الموتى...  
شهب السماء...  
تتساقط لتكسر الريحيل...  
مهما صرخت، ولا ترحل!...  
الوداع... كان هو الجواب...  
إلى طرقتنا التي هزقتها الأوهام...

## أثران

اكتظت أثران بالمخلوقات من جميع الفئات كما الهيئات، حتى اضطرت قاطنوها إلى بناء مباني كبيرة، لتحمل داخلها قاطنيها الجدد، كلما ازداد الازدحام ارتفعت معنويات الجميع، عالين أنهم ليسوا في هذه الحرب بنفردم. أول من وصل كانت جوام، عندما وصلت بين وحيدة أصيب من في أثران بالقلق من فشل البعثة، لقد قطعوا بحاراً وأراضي ليعثوا إليهم بمخلوق واحد فقط، إلا أن وفوداً من المخلوقات والمقاتلين أقبلوا إليهم، ليصبح الواحد ألفين، ثم أربعة آلاف، ليقبل بعد ذلك الأولون أيضاً، وقبل لهم إن البعثة الآن مع الجيل الضال وهم مستعدون للقتال، أمر واحد حدث وهو أن مجموعة من القادمين إليهم فُقدوا، لقد كانت سشات مع ابنها أنويس، عندما وصل إليهم أتوم كان يرتعد لاهثاً كما أن إصاباته بليغة، أخبرهم أنهم تعرضوا للهجوم من قبل بين المحيط، لتفقد سشات وأنويس حياتهما فيما فر هو بحياته.

كان شاوران، جلنار، سينا، وغارينا شديدي الانشغال بالكاد يجدون وقتاً لأنفسهم أو حتى النوم، غارينا تراقب أزهار الأفيون الخاصة بها والتي أزهرتها حول محيط المدينة، لتنفث سُمها في الهواء ما أن تستشعر وجود أحد غير مرغوب به، حتى نومها لم يكن عميقاً فكانت على أتم

الاستعداد لحماية وطنها، وفي النهار تغير هيئتها لتصبح النسر الذي مزجت قلبها به، فاردة أجنحتها العظيمة ععلقة في السماء مستغلة الغيوم المحملة بالماء لتبلل جسدها فتختفي على الأنظار، لقد غطت الأرض كما السماء في مراقبتها وحراستها. أما بالنسبة لسينا وشاوران فقد فرغا نفسيهما لتعليم الوافدين الجدد على القوانين وتشكيلاتهم الحربية، ليتبادل الجميع الأفكار والخبرات في الحرب القادمة، لقد باتت أثران مدينة مزدحمة، صاخبة، لا تخلو ساحاتها من مخلوق فيها لا ليلاً ولا نهاراً، أما جلنار فقد كانت مهمتها تنظيم المدينة، استقبال الوافدين الجدد من الشاطئ، ومن هنالك يتم اصطحابهم إلى المدينة، كما أخذت على عاتقها العناية بالمصابين من التدريبات، والتحقق من أن المدينة لا يتقصها شيء للوفود الكبيرة المقبلة إليهم.

في خضم كل هذا العمل المضني والاستعدادات التي لا نهاية لها، كان الشوق والحنين لـ لييين يسلب جزءاً من ابتسامة عائلتها يوماً بعد يوم، كما كانت غارينا التي لم تعد تعرف النوم بعد أن بات النصف الآخر من فراشها بارداً، لذلك كانت سعادتهم لا توصف عندما أخبرهم سيون في آخر محادثة أنهم سيعودون لأثران مع الجليل الضال، عاد للأيام ضوءها، ووجدت الابتسامة مكانها في وجوه من عدوا الثواني للقاء أحبتهم، لا بد أن الترحل كان صعباً، لا بد أنهم واجهوا من الأمور ما لم يواجهه أحد

تدكت رحلة شاقة بحق، إلا أنهم أثبتوا جدارتهم، منجزين مهمتهم بفضل شكل ممكن، ولأجل هذا عمل سكان أثران على التناغم مع لوفنين الجدد، جميعهم دون استثناء يعلمون حجم المسؤولية التي على عاتقهم، لذلك رحبوا بحلفائهم ترحاباً يليق بهم، شاطروهم منازلهم إن تلات الحجرات الجديدة، منحوهم من خبراتهم، تبادلوا القصص، كما شاركوا الطعام.

بشرغم من هذا، إلا أن الجان المهجن قدموا برغبة لإظهار قوتهم والتبجح بها، وكما هي عادة شاوران لم يسمح لأحد بتخطي حدوده، ومنع أي اعتداء على قاطني أثران، كما أنه قدم لكل الوافدين عرضاً مغرياً: عندما تنتهي الحرب، سنعود جميعنا لهذه الأرض، لهذه المدينة التي نسمي إليها، وكل من شاركنا في الحرب هو حليف لنا، جميعكم مرحب بكم لاتخاذ أثران وطناً لكم، هنا حيث تتوحد المخلوقات، حيث لا يوجد سبب للهروب، لنحيا بتناغم، لذلك لنبدأ بهذا الآن».

هو بحق عرض مغري، كان يوكيم يفكر بإنشاء وطن له مع الجان للمهجن، فحيث كانوا لم يكن وطناً لهم إنها أرضاً استعمروها حتى موعد الفرار التالي، أما هنا فوجد التناغم بين المخلوقات بلا منازعات، كل متقبل لاختلاف المخلوق الآخر، الكل هنا يرغبون بالعيش بسعادة وحسب، وعندما رآهم يحتفلون ليلاً معاً، وقائدهم يعزف على العود مطرباً الجميع، علم يوكيم أنه وصل لأرض يتغيها موطناً له.

ثم هنالك رابولا ومن معه من بين الماء المنشق، بالرغم من عديم  
المحدود جداً إلا أنهم حاولوا تقديم الحماية والدعم لأثران ولو كان هذا  
من البحر، لذلك مركزوا أنفسهم في أقرب مصدر مياه للمدينة وهو البحر  
ذاته الذي أبهرت منه البعثة، جاعلين لأنفسهم نظاماً بتناوبون فيه على  
حراسة الماء. كما المخلد أريز، الذي كان مقاتلاً لا يشق له غبار، بالرغم  
من أنه كان يوماً ما بشرياً إلا أنه يتفوق على الكثير من المخلوقات بدون  
جهد يذكر، مما جعل شاوران يثق به، مولياً إياه تدريب وقيادة كمية من  
المخلوقات. أخيراً كان هنالك جيل الأولين، منهم من هرب مع نبدرين  
ومنهم من فرقهم الأقدار بعد احتراق أورا، إلا أنه كان لقاء مؤثراً.

جلنار في أوج بهجتها فلقد اقترب اليوم الذي تأتي فيه ابتها، حسب  
آخر خبر لهم فهي مع الجيل الضال وما أن تشرق شمس الغد حتى يتحركوا  
عائدين إليهم، ولقد أشرقت شمس الغد الآن، فلا بد أنهم يستعدون  
للحراك، لقد وجدت البهجة مكاناً أيضاً في قلب شاوران الذي اشتاق  
لابته وقلق عليها حتى أن الكوايس لم تفارقه في منامه، ليتوقف عن النوم  
مرة واحدة، لتشفق جلنار عليه مُناشدة إياه أن ينال قسطاً من الراحة، إلا  
أنها تفهم ما يمر به لأنها هي الأخرى تحشى إغلاق عينيها فترى صورة  
لابتها وهي مضرجة بالدماء، وما كان يحلب لها السلى هو رؤية آثار  
مجهودات البعثة، أما غارينا فوجدت نفسها تمضي كثيراً من الليالي في متل

بئس لأننا لم نرغب أن نمضي الليالي وحيدة. مؤخراً بدت سينا غريبة،  
منزلة، وقائمة، حتى أنها بالكاد تتواجد حول شاوران وجلنار لو لم يكن  
الأمر يتعلق بالعمل، أحال الاثنان الأمر إلى شوقها لـ ليبن فيها يعلمان  
أن العلم مدى حب سينا لابتتهما، بل هي جزء منها<sup>(١)</sup> كما منهما، ولأنهما  
يعلمان أنها لا تحدث عما يجول في فؤادهما أبداً، لم يسألاها فهي لن تجيب،  
وعلى أي حال ستعود ليبن قريباً معيدة معها الأمور لنصاها.

في هذا الصباح حين تلحفت السماء بغيوم حجبت شمسها، انهمت  
جلنار حيث مخزونات المدينة، وعلى غير العادة لم تحمد أتوم، فهو أول من  
يحل لهذا المكان ليسانع المخلوقات في التجهيزات وتوفير ما يحتاجون  
إليه لتدريب اليوم، إلا أنه لم يكن هنالك ولا شخصيته الصاخبة، الغريبة  
حتى إن كثيراً من المخلوقات تتجنبه، كانت جلنار لتفعل لولا أنها تعلم ما  
مر به عندما قُتل أصدقائه، كما أنها تحمل مسؤولياتها مثل شاوران الذي  
يقبل المخلوقات بكل شخصياتها ويعمل معهم دون تفرقة، لهذا عليها  
فعل الأمر ذاته.

وقف أتوم على شاطئ بعيد، حيث لا أعين تبصره، ولا ين مائتاً منشقاً  
يردعه، على ذلك الشاطئ انتظر، معيداً التفكير في قراره، متذكراً السؤال

---

١- من هجاء: سينا قذمت فؤاد طفلها الذي امتعت جسده لـ جلنار وبهذا عادت  
للحياة ونمسي بشرية مخلقة.



الذي طُرح عليه قبل عدة أيام قصيرة: «أترغب أن تظل ظل سيون للأبد؟»

أثناء قدومه إلى أثران مع سشات وأنوبيس تمت مهاجنتهم من ميزويا، ليقدم لهم خيارين إما التعاون معه أو مصير أسوأ من الموت. سشات وأنوبيس رفضا التعاون رفضاً باتاً، لذلك ومن دون تردد أنهى ميزويا حياتهما، أما أتوم فقد ظل متردداً، حتى تم طرح السؤال عليه، لم يعلم كيف له أن يعي ما يُخفي في وجدانه؟ إلا أنه السؤال ذاته الذي لم يفنا ينهش روح أتوم.

إن كان سيون مشعاً كالشمس، فأتوم الظل الذي لا وجود له من دون الضوء، هو لم يكن حتى القمر، بل انعكاساً ذليلاً لا يظهر ما لم يسطع عليه أحد، عميقاً داخل روحه التي لا تشعر، وفؤاده الذي لم يحمل إلا السعادة فيه، مقت أتوم سيون، مقت كل شيء فيه وبه، عدا أن الحد البين تملكه أكثر من السعادة الكافية، رغب أن يكون سيون، وعندما لم يتمكن أن يكون مثله، تبعه في كل خطواته دارساً إياه بأدق التفاصيل، ارتحل معه في مغامراته، عاش كل لحظة مع النيلوفر، فإذا لم يتمكن أن يكون الشمس مثله فسيكون القمر الذي يعكس ضوء الشمس، لكن حتى هذا فشل به، لم يكن شيئاً يُذكر، بل لا أحد يعلم اسمه، الجميع دعوه ظل النيلوفر، أجل ما هو إلا ظل. والآن أتيحت له الفرصة كي

يمنع مجده الخاص، ليكون هو شمس العالم الجديد، ليُمحو أسطورة  
يون الخائن، وينهض هو أسطورة جديدة، من أجل ألا يكون العدم،  
سبيل كل شيء في طريقه لعدم.

من الأفق ظهرت سفن عظيمة مُقبلة للشاطئ، في الألق أقبل نصرُ  
نوم، ومعه لبدا الغارة.



## باسيليا

أشرق الصبح بضوئه الذي ملأ أرجاء الأرض، ومعه أصبحت البعثة في أوج سعادتها، اليوم يعودون لوطنهم حيث يتسرون لا أحد أكثر بهجة من ليين وسكارم، لقد كانا أول من استيقظا. مهيتين نفسيهما للترحال لم يرغبتا بإضاعة أي وقت، فحسب مخططاتهم سترنحلا البعثة أولاً لآلتران يتبعهم الجبل الضال بعد أن يتهبوا للرحلة فأعددهم كانت كبيرة وليسوا مستعدين للإبحار مسافة بعيدة من دون سفن غنمهم.

من فرط سعادة وحماس ليين وسكارم قاما بإيقاظ الجميع معها. في العادة فإن نامار أو سيون هما من يتوليان مهمة إيقاظهم من سباتهم الثقيل، بدا نامار متجهماً عندما تم إزعاج نومه، على عكس سيون الذي لم يمانع أن يتم إيقاظه، الجان لم يحب أن يتم إزعاج نومه بأي شكل كان إلا أنه لم يصرخ على سكارم أو ليين فهو يتغهم شوقهما وحاسهما، إلا أنه ظلّ يتحمل ويشتكي، بل حتى إيلهاب وأروو كانا في قمة الاندفاع للعودة للمتزل.

بينما البعثة تجهز أمتعتها للترحال مرة أخيرة، إذا بـ نامار يشعر بلهب يحرقه، ليخرج الحجر الذي معه من بين دخلته، ليجلده يشتعل بلهب أبيض خافت، هي إشارة من زائيل، إلا أنها لم تحمل فيها شيئاً، الف الجميع حول الحجر.



سيون: «ما الأمر؟»

تامار: «لا علم لي، إنها لا تحمل رسالة».

سيون: «لا يعجبني هذا».

نحلة انتبى من الحجارة لمب أبهى عظيم وحائق، تطاول للأهل  
حيّاً سقف المنزل الذي وقودوا فيه ليشتمل ناراً، فيها ظل الحجر بنفت  
للهب بقوة وحرارة لا مثيل لها، ثم انشطر إلى عدة أجزاء متبعثراً في  
لأرجاء، ثم تلاشى اللهب الصارخ.

علمت البعثة أن خطراً ما قد أصاب باسيلييا، تبادلوا النظرات الحائرة  
في ما بينهم، والتي امتزجت بالخوف والقلق، من دون حوار أو نقاش  
اندفعوا متسارعين صوب الشاطئ، هاهرين من بين حقول الخيزران  
التطاوله والتي انحنت للريح التي تبعث ركض البعثة، ما أن أبصرت  
أعينهم البحر حتى صنع سيون قارباً من النيلوفر واعتلوه جميعاً فيها حلق  
تامار قارباً جناحيه العظيمين ليمنح ذاته سرعة أكبر، وهرب بهما الهواء  
منطلقاً بسرعة لا مثيل لها، وخلفه القارب، كان الهدف الأول هو ترك  
تامار يتحرك دون انتظارهم، أو حمل عبء الانتقال بهم، لأن عليه الآن  
الحفاظ على كامل قوته، فرسالة كالتى حظوا بها تعني أن خطراً داهياً قد  
حل بـباسيلييا وعلى تامار الدفاع عن المملكة. ما أن أصبحوا في منتصف  
المحيط حتى تحرك الماء داخل حجر سيون والذي لحمله ليهين الآن به

يديها تحسباً لأي طارئ في أثران، وقد تحقق ما هابوه، تراقص الماء داخل الحجر باضطراب، لتأتيهم رسالة واحدة قصيرة من أثران: غارة.

ثم تهشم الحجر في يدي ليبين لتختلط دماؤها بياه الحجر، شعرت بقلبها يتوقف عن النبض، والدماء في جسدها تتجمد نظرت نحو سيون الذي رأى ما حدث، لتجد أنه هو الآخر مذهور ليس من المعركة، بل من مصيرهم، أحالت بنظرها لأصدقائها فوجدت أن وجوههم باتت شاحبة أيضاً، علم سيون يقيناً ما القرار الذي عليه اتخذوه، وإن كان يكرهه لبنادي قائلاً:

«نامار تمت الإغارة على أثران سأنطلق إلى هناك».

نامار: «تبّاً لهذا! إيلهاب هيا معي».

أشعل إيلهاب النار من كفيه محلقاً فوق القارب من دون تردد، إلا أنه أبقى عينيه على أصدقائه بخوف جليّ، في طريقة عين واحدة تباعدت المجموعتان لتكبر المسافة بينهما وكل ينتظر للمجموعة الأخرى يبرجا، ندم، وحسرة، وقبل أن يتلاشوا من أعين بعضهم بعضاً هتف نامار:

«لندخل معاركنا أحياء، ولنخرج منها أحياء».

وبما تبقى بينهم من مسافة هتفوا: «لندخلها أحياء، ولنخرج أحياء».

ليتلاشى صوت صرخاتهم مع الرياح العاصفة.

انطلق نامار بأقصى سرعته نحو باسيليا يتبعه إيلهاب الذي بات ندّاً له في السرعة، كان قلق نامار لا يساويه شيء آخر، لسببين أولهما أن إيلهاب معه، بالرغم من أنه يعلم مدى قوته ومقدرته حتى إنه بات يجابهه في التدريب كند له، إلا أن هذا لن يزيل خوفه عليه، لو أنه بمفرده لما خشي قتال أو الحرب، فما حياته إلا سلسلة لا تنتهي من المعارك، حتى حين أصبح إيلهاب متمرساً في المعارك، عدا أن قلب نامار مثقل بالخوف عليه. ثانياً، قلق على مصير طيف النار مع زابنيل، حقيقة أن الطيف لديه ما هو إلا إثبات أنهم يقاتلون من أجل هدف واحد، لكن لو حدث شيء لـ زابنيل سيفقدون طيف النار، حينها لا يوجد شيء يوقف أوراء، وستنتهي المعركة قبل أن تبدأ.

نامار: «إيلهاب، ما أن نصل للمملكة لا تفارق ظلي».

«أنا قادر على حماية نفسي».

«أعلم هذا، لكن هدفنا الأول يقبع في الوصول لـ زابنيل وحماية طيف النار فيه، إنه أحد عناصر تدمير أوراء ولا يمكننا خسارته، لهذا مهما يحدث لا تضع وقتك أو مجهوداتك في نزال واهن ولتنتقل نحو الملك».

فهم إيلهاب ما يصور إليه سلفه، هو محق في قوله، فهدف البعثة الأول هو تدمير أوراء، وفقدان الطيف يعني النهاية، وما كان إيلهاب ليموت من دون الحصول على ثأره.

الآن باتت الجزيرة على الأنظار، والدخان يتصاعد فوقها مشكلاً  
غيوماً مشوومة لا يخرقها الضوء، ومشهد البركان الثائر حتى السخط  
يقف شاهداً على سوء ما يحدث هناك، حينها تسارع نamar مع إلهاب  
قائلاً له: «مهما حدث لا تمت بُني، فبعثنا تنتظرنا».

بينما شاهد زائيل جنون بالاي الذي فقد ابنه على مرأى منه، شر  
بفؤاده يخرق، لتقع عيناه على ابنه بارموث الذي كان يقف عند الباب  
يشهد ألم اللحظة، ومن خلفه يقف زاديقي يراقب، ثم دوى صوت انفجار  
عظيم، وفي طرفة العين التي أشاح فيها زائيل بصره، وصل لمسامع  
صوت ارتطام وتحطم قريب، وعندما تبع مصدر الصوت، وجد أن  
زاديقي هاجم بارموث بجسده المتحجر قاذفاً إياه بقوة وحشية صوب  
الجدار الذي تفتت من قوة الارتطام، وعندما نظر لابنه وجده جثة لا  
تتحرك، ليشتعل سخط زائيل مشعلاً كل ذاته كما القصر لهيباً أبيض يعي  
الأبصار، حاملاً فأسه اندفع الملك فوراً صوب زاديقي الذي بدوره بعث  
حمه البركانية الساخنة صوب خصمه لتحرك برشاقة فائقة، تفاداهما  
زائيل موجهاً فأسه نحو عنق العدو الذي سلح جسده بالصخور الصلبة  
فلم تؤذ فأس الملك الغاضب، عدا أن زائيل لا يحمل اسم ملك الجان  
سدئى حيث قام بربط أطراف خصمه بأحزمة تارية بيضاء مانعاً إياه من  
الحراك وفي الأوان ذاته قام بجذب أطرافه بعنف كي يمزقه، بغتة انفلجت



الأرض من تحتها بأغصان وحبال ورقية غليظة وإذ هي تلتف حول بدن الملك لتندفع منها أشواك غليظة غزرت نفسها في جسده، ليعلم حينها أنه تم نسيمة من قبل الين، إلا أنه ما كان ليموت بسهولة، ليستخلص قوة طيف النار فيه مازجاً إياه مع لهيبه الذي توهج بقوة ألف شمس مُحرقاً كل شيء بلا رماذ، ما أن تحرر زائينيل حتى انطلق نحو بارموث يحمل جسده، نبل أن يُردم مع القصر، ومن بين الدخان انبثق ليرى ما أصاب مملكته الحبيبة.

لقد تمت الإغارة عليهم من أعدائهم، هم أفواج من عشائر الجان التمردة وبينهم المهجناء كما الين، هو تحالف فريد وُجد ليطيح به ويملكته التي قضى حياته يُنشئها، إلا أنه ما كان ليدعها تندثر، أمسك في يده حجارة نامار وأشعلها لهيباً أبيض صارخاً، وفيما هو يفعل شعر بأثار السم في جسده تسري، ليقوم بجعل له يتدفق بقوة عُجاري حدة الله الذي لم يسمح له بالظهور ولو بشكل صرخات أو تأوه، ومع هذا تحطم الحجر في يده.

شعر الملك بهجوم قادم إليه من الخلف ليتعد مسرعاً، فيجد أن زاديقي لم يتأذ بلهيبه، كما أبصر من حوله عدداً من الجان والمهجناء الذين قدموا لقتله كسرب من الدبابير، إلا أنه زائينيل، ملك الجان، سلاح الإله، وورث الغبراء، ما كان ليفنى دون جرهم جميعاً معه للموت، قذف بجثة

ابنه لمكان تغطى بالحمم البركانية، ثم أشعل جسده ناراً منه ومن طين النار، استل فأسه، أطلق أجنحته، وأخيراً ضاعف حجم قرونه العظيمة بلهب من النار البيضاء كما لو كانت أنقى شيء في الوجود.

تهافت الأعداء عليه ككيان واحد، فطرق نفسه بحلقة نارية فانفأ إياها نحوهم فيتسع قطرها مصيبة من لم يتمكن من تفاديها محرقة إياهم لعدم، أما من نجا منها فأكملوا اندفاعهم نحو الملك بأزهارهم السامة، بلهبهم الحارق، أو أسلحتهم المختلفة، ليهتف زائيل الصامد فم: «أقدموا إلي فلن أهوي بمفردي».

بيد حمل فأسه البيضاء، ويده الثانية استخدم ناره، كما أطلقها من قدميه راکلاً بها من يقترب منه، لقد استخدم كل أطرافه للقتال لم يدخر أي قوة، عندما أطلق الهجاء نحوه أحزمة من نباتاتهم السامة، جالها بأحزمة من ناره التي تفوق هيبهم غيظاً، ليطلق الجان نيرانهم الخافدة صوبه، إلا أنه انبثق منها إلى السماء ليعلوهم مُرسلاً إليهم وإبلاً من قطرات طيف النار المتأججة والتي أحرقت كل ما لمسته، وعندما تبعثروا متجنين لهيه، وللحظة واحدة نظر زائيل ليرى ما يحدث لمملكته، وأول ما وصل إليه هو أصوات صرخات شعبه والتي كانت مزيجاً من الألم، الغضب، الغيظ، الحزن، الانتفاخ، هي كل شيء إلا أصوات السلام التي اعتاد سماعها في مملكته، وفي ثورة غيظه وكرهه انهال على أعدائه بغاسه ضارباً كل ما لمسته فأسه المشتعلة لتكن أعناقهم، أطرافهم، أجسادهم

أورؤوسهم، وبناره انتزع أفتدة من تطاله يده، ومن لم تطله قذف إليهم  
خبوطاً نارية كما لو كانت سُهْب السماء مُحترقة أجسادهم، ليتساقطوا  
منتعلين، فيخبر هيب احتراقهم قُبيل لمس الأرض، أخيراً لم يبقَ من  
خصومه إلا زاديق الذي راقب دون تدخل، كما لو أنه يحتفظ بالأفضل  
لنفسه، هو يتنظر أن تخور قوة الملك لينهي الأمر بذاته، مدعيًا الانتصار  
الشريف، وأين الشرف في كل ما صنعه؟

أكثر من أي شيء. رغب زانيل بإجابة، كيف لم يعلم ما حدث وهو  
يرى الأرض ومن عليها؟ منذ اللحظة التي انضم فيها زاديق إلى المملكة  
هو لم يغادر بصر طيف النار، فكيف فعل هذا؟

«لم أتق بك يوماً، لقد راقبتك دائماً، فكيف هربت من عيني؟ كيف  
خططت لهذا؟»

زاديق: «أتشعر بآلم السم فيك؟ أتشعر بثقل جسدك الممزق من  
الجروح؟»

لم يعد زانيل يشعر بجسده حقاً، هو يعلم أن جسده ممزق من كل  
مكان، لقد فقد النظر في إحدى عينيه تماماً ولا يعلم إن كان أصيب فيها  
أم أن هذا من تأثير السم، ولا يهم حقاً فهو يعلم أنه على مشارف الموت،  
عليه فقط أن يتنظر حتى قدوم العون، حتى يُسلمَ الأمانة التي ظلت  
تهمس في روحه أمداً طويلاً.

زائيل: «أجب يا هذا، كيف تخطيت نظري؟»

«أنا لم أفعل، لم أختف يوماً على نظرك، فلقد علمت منذ وقت طويل أن لك أعيناً تراقب في كل مكان، لقد جعلت الجان يفتش الأرض ناقلاً لك كل الأخبار، لكنني خططتُ لكل شيء منذ ألفيات، منذ أن قُلتُ والدي الذي رفض الانصياع لك، هل اعتدت حقاً أني سأدس ذكري وإرث أبي بالتحالف معك، أو الخضوع لك؟»

«أنا لم أمنك يوماً بأي حال، لقد علمت أنك تخطط لشيء ما، لكن لم أعلم أن هذا ما خططت له.»

«عندما ملأت روحي كراهية لك، أقسمت على تدمير كل عزيز عليك كما فعلت معي ومع العشائر التي رفضت الانصياع لك، في رغبة مني لإنهائك التمسث مشورة أحد أعظم الجان، إنه شيخ من آل عقال والد نامار، إلا أنه كان شيخاً ذليلاً، مريراً كل ما خرج منه هو الشكوى والتشاخر الفارغ، عدا أنه حدثني عن فشل ابنه العظيم نامار بتدمير أوراء، فلقد أقبل إليه في السابق جنس من هجناء الجان، مطالبين بالانضمام إليهم لتدمير ملك الجان زائيل في مقابل منحه عرش الجان، إلا أن فخر الشيخ كان أكبر من طمعه ليرفض العرض قاتلاً بذلك المرسلين. لأعلم أنني سأجد مبتغاي مع أوراء إن كانت موجودة حقاً، تبعت القصص التي حكيت لي عن مسارها لأجدها هناك وبيتنا أقيم أول تحالف، وهو أن

تحالف عشائر الجان معها وليحقق كل منا النصر للآخر، هي ستساعدنا لإنهاء حكمك والثار لمن سلبتهم منا، وحين ينتهي الأمر سيأخذ كل منا جزءاً من الأرض ليحيا فيها، وبهذا الهدف أتيت إليك دون أن أبعد عن ناظرك، فلقد وكلت عشائر الجان بمهمة التحالف مع البن فيما قضيت جاتي هنا أدعي ولاني استعداداً لإنهائك، وها نحن هنا الآن».

قال قوله ليندفع فوراً صوب الملك ويُلقِي بكامل بدنه الحجري عليه ليهوي زائيل أرضاً، من غير أي قدرة لحماية نفسه أو جسده المحتضر، انهال عليه خصمه باللكمات الصخرية التي حطمت ما تبقى من بدنه، وفيما كانت تهوي آخر لكماته على رأسه، إذا بمنجل متوهج بلهب أسود يوي على عتق زاديقي الصخري، ليتهشم الصخر حول عنقه مما جعل زاديقي يتراجع للخلف بسرعة ناظراً بيهتان فيجد الد أعدائه نامار يحول بينه وبين زائيل.

وبابتسامة مشوومة ناقمة قال: «كم أتوق لقتلك!»

أجفل زاديقي من نامار المدرع بدخانته، وأجنحته التي غطت الشمس، وعلم أن لا أمل له بالفوز على خصمه ليس الآن بأي حال، فمواجهة نامار الغاضب تعني التوجه للموت طواعية والتاريخ شاهد على هذا، فلا رغبة لـ زاديقي بالموت، فهو ملك الجان القادم، إنه حقه الذي سعى من أجله، سيدع أمر نامار لـ أورا كي تقتله، ولقد حدث الضرر الذي



من أجله قدم إلى هنا فمملكة الجان باتت حطاماً ودُمِّرت جيوشها،  
لذلك قرر الفرار بعيداً، وعندما حرك جسده بأقل حركة انهالت عليه من  
ميمته أشواك مشتعلة، انطلق زاديق مبتعداً، ليس لتفاديا فهو صخر،  
بل ليهرب من نامار الذي كان على أعقابهِ، فجأة سرى ألم لا نظير له في  
جسد زاديق، شعر كما لو أن جسده يحترق من الداخل ويتلاشى ليرتفع في  
حركته، عدا أن السقوط أو التباطؤ الآن يعني الموت، وفي هربه رأى جاناً  
هجيناً فهتف له أن ينقذه من السم، حين أقبل الجان إليه، فوجى زاديق  
برؤيته يحترق أمامه، ومن بين اللهب انبثق جان هجين آخر بجسد أسود  
اللون، ليعلم أنه نسل نامار، رفع إلهاب كفه أمام زاديق مطلقاً له  
صوته، أما يده الأخرى فقبضها قبضة محكمة، حين فعل صرخ زاديق  
ألماً خائراً على الأرض يتأوه، وفيما هو يتدحرج أرضاً من الوصب، إناج  
نامار ينهال عليه بمنجله الأسود المشتعل، ومنه يقطر سائل زيتي أصفر،  
لقد سمم نامار منجله بِسُم من أرجون نسله، وعندما حطم عنقه انساب  
السم داخل زاديق، والآن هذا النسل يتحكم بالسم داخله، علم زاديق  
أنها نهايته، ليصرخ قائلاً: «سأخبرك كل شيء عن أورا فقط لا تقتلني».

توقف منجل نامار إلا أن نصله المدبب استقر في عين زاديق، الذي لم  
يصرخ ألماً لفقدان عينه، بل هو يستلقي أرضاً ذليلاً، ثم أردف قائلاً: «أما  
العظيم نامار سأجعلك ملكاً للجان، فأنت أحق بهذا من زابنيل، سأكون  
خادمك وقوتك الخالصة، فقط أبق على حياتي».

انشل نامار منجله من عين عدوه لتتطاير دماؤه متراشقة، ليتنفس زاديق الصعداء، وعندما التقت أعينهما علم أنه اقترف أكبر خطأ في حياته، ف نامار ينظر إليه باستحقار، كما لو أنه أذُل وأحقر من حشرة تنغذى على قاذورات الدواب، لم يحمل في عينه الكره، ولا الغضب، بل استغفاراً مخيفاً، ليجيب:

«ما كنت أبتغي حكماً، ولا أرغب مُلكاً تمنحني أنت إياه، لهذا المنجل أظهر من أن أنجسه بدمائك، إيلهاب أطلق فيه من سُمِّك، ليموت ذليلاً صغيراً كما هو».

حينها حرر إيلهاب قبضته ليسري السم سريعاً داخل زاديق الذي تعالت أصوات صرخاته في الأرجاء، وعندما تلاشت صرخاته، ونفت صدره آخر زفير فيه، نظر نامار لـ إيلهاب قائلاً: «لننه الأمر بسرعة».

انطلق الاثنان سافكين دماء كل من أغار على باسيليا، وقد كانوا حفنة قليلة، حيث إن معظمهم ابتعدوا هارين بعيداً فور رؤيتهم دخان نامار المشووم يقترب من الجزيرة.

أقبل نامار حيث زانيل الملقى على الأرض، يلتقط أنفاسه الأخيرة، ليهبط إليه قائلاً: «قاتلت جيداً زانيل».

بصوت أجش ومتلاشي: «جد بارموت، لقد ألقته في الحمم».

انجه إيلهاب إلى اللحم عندما أشار له نامار بأن يفعل، لينشق من اللحم  
بالاي وهو يحمل على كتفه جثة جانه، ليقبل حيث الملك واضعاً بارمون  
أمامه قائلاً:

«مولاي، إنه حي، لقد نأذى فحسب فلا تقلق».

شعر زائيل بالراحة قائلاً: «هو ملككم من بعدي فلتخلصوا له، وأنا  
أسف لما حدث لابنك بالاي، لقد كان فخراً لكل الجان»

انتحب بالاي على ابنه متمتاً من بين دموعه: «هو كذلك فعلاً».

بدأت أنفاس زائيل تنجو شيئاً فشيئاً، وشعر بجسده يلتصق بالأرض،  
وإذ بالصوت داخله يتحدث إليه، لينطق زائيل بآخر أنفاسه لنامار  
قائلاً: «ضع قبضتك المشتعلة داخلي، ولتأخذ الأمانة التي عُينت لك، هو  
يستدعيك فلتُلبَّ».

علم نامار ما عني بذلك، وشعر بوزرٍ عظيم يحثو على روحه، إلا أنه  
أمر عليه القيام به، وعندما أشعل يده ماداً إياها إلى زائيل إنا بـ إيلهاب  
يقبض على ذراعه مانعاً إياه:

«لا تفعل، أنت كل ما لدي ولا أرغب خسارتك».

شعر بيد إيلهاب المسكة به ترتعش، وعيناه تحملان ذعراً كالיום  
الذي فقد فيه والدته، نظر نامار إليه يعطف قائلاً:

«بني، لست أفارقك، فلا تقلق، وتذكر قولنا ضرورة إنهاء الأمر معاً». بقلب مثقل تخلى إبلهاب عن قبضته لينظر فيما أدخل نامار يده المشتعلة داخل زابنيل الذي كان أضعف من الصراخ حينها شعر نامار بوجود مألوف، دافئ، قديم يلتف حول لحيه، وعندما أخرج يده من جوف الملك شعر الآخر بخفة غريبة تسري في جسده، لم يعلم يوماً أن جسده كان لَدُنَّا هكذا، بل هو لا يذكر وقتاً شعر فيه بجسده حرّاً من أوزاره، ومع انسلال آخر لحيب لطيف النار من داخله سمع صوتاً هامساً: «أجدت وريث الغبراء، قد آذيت أمانتك، الآن أحررك مني، عسى أن تسكن روحك النعيم».

تلاشت الأصوات من حول زابنيل، كما تلاشى بصره، ومع آخر أنفاسه رأى حياته كلها أمامه، ليرحل من الكون بابتسامة فخر، قوة، ورضاً، هو من كان يوماً ما ملك الجان.

همس نامار قائلاً: «لك احترامي مولاي، ملك الجان الأعظم زابنيل». نظر نامار للهيّب الهادئ بين يديه، لتلك الكرة الحمراء الصامتة، لم يعلم كيف يمكن للهيّب أن يزن كل هذا الوزر، هو يكاد يجزم أن وزن الكون كله بين يديه، ثم همس بصوت لم يسمعه أحد، هو كصوت الكون من حوله، إنها يصدر من الهيّب بين يديه، أمر لم يعلم كيف يفسره، إنها هو كما سمعه: «خذ مني إليك».

حرك نامار يده ووضعتها على فؤاده، ليتلاشى اللهب داخله هله، ورقّة، بسرعة وعنق مفرط انتشر اللهب داخل كيانه ليشعل ناراً دائمة كادت تحرقه، ليتأوه ألماً، ومع هذا الألم شعر بيد إيلهاب تمسك بجسده الذي ترنح وانحنى على ذاته، كان إيلهاب يصرخ شيئاً إلا أن نامار لم يسمعه من بين الأصوات التي تضاربت داخله، هو يسمع كل صوت على الأرض في اللحظة ذاتها، يرى كل بذرة تنفلق لتزهر، كل حجر صغير اعتبره النمل كوناً كاملاً لهم، كل حبة رمل تترنح مع الريح، أوراق الخريف الجافة تنهاوى للأرض وتلاشى، العنكبوت يني يونه على الأشجار، الذئب تركض في قطع خلف الجواميس لاصطيادها، وصوت صرخات أطفال البشر وهم يولدون، هو يرى كل شيء، يعلم كل شيء، هو يصير سيون يعبر الأرض متجهاً لأثران، ومن بين كل ما شهد انتقلت إليه صورٌ وذكريات ليست له، بل كانت لـ زابيل، نامار يرى شيئاً من ماضي الملك، وفجأة توقف كل شيء لينبع صوت من داخله قائلاً:

«أنت من أنتظر منذ الأزل، من عُيِنَ وريثاً لي، لتحيل أمانتي فيك فأنا انتقامك، غضبك، سلاحك، وقدرُك، لتكن النار التي تتأجج بلا تردد، تحرق بلا رماد لتكن الضياء في الظلام، والحياة عند المات، فلا أحد أحقُّ منك بي، انهض وريثاً للغبراء، وذلك حتى أؤدي أمانتي».

مع هذا تلاشى الصخب، ليسترد نامار بصره فيجد إيلهاب في حالة  
جزع جعلته يشفق عليه، ووجد نفسه يحتضنه بهيته الدخانية التي أحاطته  
ليهدئ من روعه، وفعل إيلهاب الأمر ذاته لتتلاشى ذراعاه داخل الدخان  
حتى لامستا ما يختبئ من جسد نامار المتفحم، ليشعر هو الآخر بالهدوء  
والطمأنينة، حينها قال إيلهاب: «هل أنت بخير؟ كنت تتألم».

نامار: «لا تقلق علي بُني، أنا بخير، سنتحدث لاحقاً، أما الآن فعلينا  
الانطلاق لأثران بسرعة فهم بحاجة لنا».

## أثران

في هذا الصباح المثقل بالغيوم السوداء، حلقت غارينا في السماء بحرية وخفة، بين الغيوم سبحت مخفية ذاتها، وللى أزهارها التي أحاطت أثران استمعت، لعلها تجد خطوات أقدام محبوبها تصل إليها، وقبل أن تدرك أي شيء إذا بأحزمة من اللهب تحيط بها مُعرضة طريقها، كل حزام حل لهيب ذو وهج مختلف، راوغت غارينا النيران التي تدفقت بين الغيوم وعندما لم تجد مفرّاً لها من هذه الأحزمة الطائشة، أيقنت أن أفضل حل هو التوجه لما فوق الغيوم، رفعت رأسها ذا هيئة الصقر، وضربت بعظيم جناحيها بعنف، لتنتقل مثل السهم عابرة فوق الغيوم، وكم كانت حركة رعناء منها، فما أن انبثقت من الغيوم حتى تجلت نُسْمي هدفاً سهلاً لُصّاب بلهيب كاوٍ أحرق جناحيها، لتهوي عائدة للغيوم، لتندفع صوب أحلك الغيوم المحملة بهاء المطر، لعلها تطفئ جسدها المحترق، فلا وقت لإضاعته فلاثران أعداء قدموا لتدميرها.

داخل المدينة انتبه الجميع لتوهج النيران داخل الغيوم السوداء، ليعلم شاوران أن أحدهم يهاجم غارينا، وبالرغم من رغبته بالاندفاع وإنقاذها إلا أن ما حدث لاحقاً لم يسمح له، فمن حيث يزهر الأفيون الذي يحيط بالمدينة تصاعدت أعمدة دخانية عظيمة، أحدهم يحرق حقل غارينا

للدخول لأثران، لم يكن هنالك وقت للتردد أو التفكير، فشاوران مجبول  
على القتال، وأثران مليئة بالمخلوقات التي ستقاتل لحماية أنفسهم، انطلق  
القائد لأعلى قمة الهرم، ووقف مقدماً الأوامر، الآن وفي هذه المرحلة تم  
تقسيم الجيوش وتحديد قادتها، وهذا من حسن حظهم، ليحرك الجنود:  
هم يخترقون دفاعاتنا من الغرب، سينا قومي بتطويقهم من الغابات في  
الجنوب، أريز، خذ جيشك وافعل المثل من الشمال؛ نيدرین، ستولين  
الدفاع عن أسوار المدينة الجنوبية، يوكيم لتحرس أنت الأسوار الشمالية،  
وأنا سأجابههم مباشرة من الغرب، جوام، اطلبي من رابولا الدعم».

دون لحظة تردد انطلقت الجيوش متخذة مواقعها للقتال، هبط  
شاوران للأرض ليجد جلنار أمامه، والقلق بادٍ عليها ليشفق على حالها،  
بالرغم من أنها تحبب القتال إلا أنها لم تخض الحرب يوماً، لكن الآن هو  
قائد وليس زوجاً لها، اتجه إليها مباشرة قائلاً: «جدي غارينا وأنقذينا،  
هذه أزهارني استخدمها حين الحاجة، ومهما حدث لا تتأذي، اقتلي دون  
تردد، اضربي دون ندم».

قدم لها خلاصة من أزهاره والتي احتفظت بها في جسدها من الهالوك،  
تبسمت له منطلقة إلى الشمال الغربي ومنه إلى خارج المدينة عليها لا تلتقي  
بأعدائها في الطريق، فإنقاذ غارينا يعني إنقاذ أثران من الدمار، فلا أقوى  
من سمها المسبب للهذيان.

في الغرب وخارج الأسوار وقف شاوران مع جيشه ومنهم أنثور  
وابنته هانا، ولأنه لا يعلم من يهاجمهم، أهدأهم، أو تشكبلانهم، فمن  
الأفضل انتظارهم ليظهروا أنفسهم عوضاً عن التقدم ومقاتلة المجهول  
وفي ثوانٍ أقبل أعداؤهم إليهم، لقد كانوا مزيجاً من كل المخلوقات: جان  
بن من جميع الأجيال، هجناء، ومخلدين، ما أن عبروا حفل الأفيون، حتى  
بدأ أعداؤهم من الين بالهجوم عبر إطلاق حدود باتات عتيقة من تحت  
الأرض صوب شاوران ومن معه، بينما احتل هجناء الجان هذه الجذور  
المنجرفة نحوهم مطلقين نيرانهم صوب مقاتلي أتران. ضرب شاوران  
الأرض بقدمه ليرتفع منها جدار ترابي عالٍ ومن خلفه ين غلظ مائي  
قاموا بقذف مياههم نحو الجدار. ليحال طيناً ثم أطلقه شاوران نحو  
خصومهم لتغرق الجذور المتدفقة صوبهم في وحل غليظ أبداً تحركها،  
ليقوم هجناء الجان من جيش شاوران بتصليب الوحل إلى صلصال بقيد  
تحركها، بينما أزهق الين من أتران أعمدة خشية مليئة بالأسلاك الغليظة  
والسامة لتصيب عدداً من الغزاة، علماً أن خصوم أتران من الجان أحرقوا  
الأعمدة الخشبية، انطلق شاوران ومن معه صوب الأعداء، وفي كل  
خطوة خطأها، صنع حفراً في الأرض أسفل خصومهم، هذه الحفرة مليئة  
برماح عمودية، مدنية وسامة، ليهوي فيها عدد من الخصوم، وعندما  
فعلوا، أغلقها شاوران ليدفئوا فيها أحياء، فيما اقترب القائد من أعلاه  
عرف اثنين من قادتهم وإن لم يقابلهم من قبل، إلا أن سيون وأريو حكيا

عنهما أحدهما أقوسيانا والآخر واردون، إنيها من صفوة جنود أوراء،  
بينهما نخبتها العاصمة، هم أول من سقطوا في الحفرة كما تأذوا من الهجوم  
لباق جيش أتران، حينها ومن بين الأشجار اندفعت سيول من الماء  
شجرة والعارمة، مصيبة عدداً من جيش أتران فبعثتهم عن وحدتهم،  
أن كل واحد منهم فريسة سهلة، عندما نظر شاوران لمصدر الهجوم  
وجدنا بئاً أننى بوشم البلامون، ليدرك أنها هيرانم التي سمع الكثير  
عنها، أن أوان طلب الدعم خاصة أن هذا الجيش وحشي وعنيف، من  
الأرض أزهـر شاوران أزهاراً عملاقة ومتطاولة للسماء كإشارة لتقدم كل  
القوات من الجنوب والشمال، فالآن باتت خصومهم بالكامل أمامهم.

يوكيم القابع في شمال السور، ونيدرین في جنوبه أول الواصلين  
حيث شاوران، ليقوم يوكيم بالتحليق صوب السماء قاذفاً وابلاً من  
النيران على خصومه، في حين أن نيدرین أطلقت أحزمة نباتية تغطي سماء  
أسود اللون، ما أن لمس أجساد خصومها حتى ترنح البعض، بينما سقط  
الآخرون موتى فوراً، والجزء الآخر بدؤوا بالصراخ أو خدش أجسادهم  
بنوبة هستيرية، مع نيدرین كانت ديفينا وإيهاي، الذي حرر بتلات من  
الخنزقوق نحو خصومهم وعندما هبطت على أجسادهم بدؤوا بالتنظيف  
من أعينهم، آذانهم، وأفواههم، ليقوم الجان من الأعداء بإحراق بتلات  
إيهاي، فيما اندفع شاوران حاملاً بين يديه سلاحاً منحه إياه نامار سابقاً،

إنه سلاح دائري كبير القطر، مصنوع من الحديد الصلب، كان السلاح حاد النصل من الداخل والخارج كما برزت من هيكله الخارجي رؤوس مدببة حادة، وليضيفَ إليها لمسته فقد غطى شاوران نصلها بالفضة لتتل الجان، ليندفع صوب خصومه المحلقين من الجان، فأخرج من الأرض أحزمة ورقية استخدمها كموطئ لقدمه كي يصل لخصومه في السماء وفيها مزقهم بسلاحه ليصابوا إصابات بليغة أو يتسمموا بفعل الفضة، ليرُدَّ الجان بإطلاق نيرانهم عليه، فأطفأها شاوران بتراب الأرض، وعلى حين غرة أصاب شيء من لهيب النار ذراعه اليمنى، وقبل أن يطفئها إذا بسيل من الماء يضرب يده المحترقة ويطحالب خضراء تلتف حول ذراعه موقفة الاحتراق، نظر فوجدها ديفينا، ليتمالك القائد ذاته مُتجاهلاً الله، معاوداً هجومه على الجان، لينضم إليه رابولا الذي أقبل من البحر، بل لقد أحضر البحر معه في موجة واحدة ضخمة، وبينما انتهالت الأمواج عليهم، قام الينّ مع رابولا بحماية حلفائهم عبر صنع جدران هوائية حولهم ثم رفعهم فوق الماء، فيما انجرف بعض جنود أورا مع الموجة أو غرقوا، وبقي بعضهم ثابتين في مكانهم ولأن أجسادهم أمست مبللة استغل أنثوس فرصته، مستخدماً خصائص أزهاره الشتوية، محولاً المياه لجليد يحجزهم داخله، فيما عاودت نيدرلين هجومها على أعدائها وجدت مشهداً مزق فؤادها، وشل تفكيرها هذا هو رفيقها عادار.

لقد أقسمت على إنقاذه بقتله، وكانت لتفي بوعددها، ذهبت إليه  
سرعة بحيلة إياه بحبالها، التي مزقتها بشظايا من الخشب أطلقها من  
جسده، اقتربت منه أكثر لتمسك به أو تثبته فنيدين لا ترغب تسميمه،  
أرادت إراحته دونما عذاب تصيبه به، وفي تردددها أصابها عادار عدة  
مرات إلا أنها لم تبالٍ فما يشعر به هو من وصب أشد من ألم جسدها، لقد  
رأت هذا في عينيه، هو يبكي عذابه كما عذابها، وفجأة تطايرت دماؤه  
في الأرجاء، وفي صدمتها رأت ربحاً غليظاً يخترق عنقه، ليسقط عادار  
أرضاً متخبطاً، في طرفة عين أمسي آريز أمامها يحاول استعادة ربحه، لقد  
وصل إلى أرض المعركة مع جنوده، وعندما مد يده ليمسك بربحه أوقفته  
نيدين بسرعة، نظر إليها ليعلم أن من أصابه شخص عزيز عليها فتوقف  
حالاً، هبطت نيدين نحو عادار، ممسكة يده، وعيناه حملتا فيهما السعادة،  
الرضا، والطمأنينة، همست له قائلة:

«أعتذر على تأخري كل هذا الوقت، لتجد السلام الآن، فأنت حر».

وضعت يدها على ربح آريز ونزعته من عنق عاراد ليلفظ أنفاسه  
الأخيرة ويسيل سائل أسود غليظ كربه من جسده، الذي ذبل للأرض  
بسرعة، نهضت نيدين على قدمها مقدمة الرمح لآريز قائلة له والدمع  
ملء عينيه: «شكراً لك».

انطلقت سينا حيث قال لها شاوران، لتتظر لوقت ليس بطويل في مركزها، إلا أن الانتظار بدا كأبدية، في ذلك الترقب، حملت الحجر الذي يوصلها للبعثة، طالبة الدعم، وعندما رأت أزهار شاوران تطاول وجدت يدها تقبض على الحجر بقوة دون أن تشعر لينتشم بعنف في يدها، فتحركت من مركزها يتبعها جيشها، وفي تقدمها استوقفتها أمواج عاتية جرفت معها عدداً من الأعداء، أمرت سينا مئة من جنودها بالانغراب وقتل كل عدو لهم جرفته المياه، ولا تأخذهم بهم رحمة حتى لو طالبوا بها، وليكونوا حذرين، فيما أكملت طريقها مع المتبقين من الجنود ليلقي جيشها بجيش آريز ومعاً انطلقوا بقوة نحو أعدائهم محيطين بهم في حلقة تمنعهم من الفرار، من السماء تساقط الجان المصابون بفعل يوكيم والهجناء معه، لتنتهي سينا أمرهم في الأرض، بينما انطلق آريز في معركته كالمسور، ملوحاً برمح المصقول بالقضة قاتلاً الهجناء من اليمين إما بغرز الرمح في أفئدتهم، أو اعتصارهم بحبال من أزهاره، وعندما أقبل عليه الهجناء من الجان بنيرانهم وجد في رابولا الدعم ليقاتلا جنباً إلى جنب، مزج آريز سمه مع ماء رابولا الذي أرسله نحو الهجناء فيصابوا بالخلد أو الموت.

خلال هذه المعركة لاحظ شاوران أن أقوسيانا وواردون لم يهاجما أو يقاتلا أحداً، بل تجنبا القتال لسبب ما وظلا يراقبان، وذلك حتى أخفا حركتهما التالية، بسرعة فائقة تحرك الاثنان، اتجه واردون نحو شاوران

لتي لم يلاحظه إلا عندما بات وجهها قريبين للغاية، وفي أسرع من مرة العين، فتح واردون كفه المنقبضة أمام شاوران، ونفث الهواء عليه لتطير المسحوق الأسود الذي كان بحوزته على وجه قائد أثران، لينسلك الذعر إلا أنه كان أبداً من فعل أي شيء، ليشعر بألم يعتصر بدنه وبدأ العالم بالانفاز حوله، ووعيه يجبس في مكان مظلم، هو مستيقظ يرى كل شيء ويشعر بكل شيء إلا أنه رهينة جسده وهذا المسحوق الذي علم أنه من حورا.

انطلقت جلنار لتولي مهمتها في البحث عن غارينا، وكل أملها أنها لم تفقد حياتها بعد، لا هي ولا شاوران سيفخران لنفسيهما إن حدث هذا، فضلاً عن أنها لن يتمكن من النظر في عيني سكارم الذي يفعل كل ما عليه لحماية ابنتها الآن. اتجهت صوب الشمال الغربي ومنه إلى حقول الأفيون التي ما تزال نضرة، هذا يعني أن غارينا ما تزال حية في مكان ما، كما أن هذه دلالة على أنها مصابة أو فاقدة للوعي، وإلا لحررت السم في أزهارها مانعة أي عدوان على أثران، رغبت جلنار الإسراع عدا أن الحذر مهم ومطلوب في خطواتها فلا علم لها عن موقع أعدائها، ولكي تتيقن من نجاح مهمتها، اتجهت لبر مياه بالقرب منهم، ساكبة الماء عليها وعندما تيقنت من غمر جسدها كاملاً بالماء استخلصت خصائص الديفيلايا التي استعارتها من غارينا، عليها الآن الانطلاق بأقصى ما لديها

من سرعة، فكل ما تمتلك هي بضع دقائق، ومن هنالك ركضت جلنار  
بتسارع كبير وحذر عظيم.

ابتعدت عن أثران، وإلى المكان الذي شهدت منه السماء المشتعلة، لا  
بد أن غارينا هنا في مكان ما، يهدوء بدأت بالسير، خاصة أنها استهلكت  
خصائص الديفيلايا منذ زمن ليس ببعيد، حاولت جلنار الاعتماد على  
حاسة سمعها عوضاً عن نظرها، فلعل غارينا تخفي نفسها الآن، وأفضل  
حل لإيجادها هو الاستماع لأنفاسها أو خطواتها، بعد قليل من السير  
وكثير من الاستماع، وصل إليها صوت لهاث أجش لتنتقل صوته وهي  
بين رجاء ألا يكون هذا صوت أنفاس غارينا، وإن كانت هي فأميتها  
الوحيدة أنها لم تتأخر كثيراً، كلما اقتربت جلنار ازداد هلعها وخاصة  
لوجود رائحة احتراق في الأرجاء، وعندما اجتازت آخر صف من  
الأشجار، وجدت جسداً تغطي بالحروق مُلقًى على الأرض، لم تعلم لمن  
يعود هذا الجسد، إلا أن مرَّ الواقع قدم لها الإجابة بسرعة وذلك عندما هب  
نسيم هواء بين الأشجار، ومعه حمل ريشاً بُني اللون، علمت فور رؤيته  
أنه لـ غارينا، وهذه هي الملقاة أمامها. انكفأت عليها بسرعة، لتجدها  
فاقدة للوعي، لم تعلم من أين تمسكها خشية أن تؤلمها أكثر، فبالرغم  
من فقدانها الوعي إلا أنها كانت تتأوه، ومن جسدها تصاعد القليل من  
الدخان، لا بد أنها ما تزال تحترق، وصوت أنفاسها المغرغرة أظهر أنها في

وضع سيئ للغاية، على جلنار التحرك بسرعة لإنقاذها، حينها أنبتت من  
جسدها حبلاً أزهر بالجلنار ثم ألصقته بجسد غارينا مادة إياها بالعلاج،  
ولم تكف بهذا، فخلال السنوات الأخيرة، احتفظت جلنار بالعديد من  
الأزهار داخلها السام منها والشافي، وإن كان عليها استخدامها، فالآن  
هو الوقت المناسب، لذلك أطلقت ما يعادل عشرة حبال كل منها يحمل  
أزهاره الخاصة كل منها يمد غارينا بالحياة، أخيراً أطلقت من جسدها  
الطحالب التي استعارتها من رابولا علماً منها أنها أفضل علاج للحروق  
فغطت كامل جسد غارينا بها فباتت كومة خضراء لا يعلم أحد ما تحتها،  
في الدقائق التي استخدمت خلالها جلنار قوتها شعرت بالوهن الشديد،  
فلم يسبق لها أن استخدمت هذا القدر من خصائصها دفعة واحدة. بعد  
لحظات استهلكت جلنار كل وقتها المسموح لاستعارة خصائص نباتات  
الآخرين لتعيد حبالها الورقية وتتجلى لها غارينا التي بدت في حال أفضل  
فجسدها يشفى بسرعة عالية جداً، وهذا بفضل صبار جوام، فله قدرة  
عالية على إعادة البناء. ظلت جلنار تهمس اسم غارينا بهدوء، بالرغم من  
أنها لم تشف تماماً إلا أن الاحتراق توقف، كما أن ريشها عاد للنمو، جلنار  
قد أنهت علاجها مستنفدة كل ما لديها من قدرة، وعليها جعل غارينا  
تستيقظ لإطلاق سمها، لحظات فتحت عينيها مذعورة، قافزة من حيث  
هي، في الآن ذاته أطلقت أزهار الأفيون نحوها، وقبل أن تحرر سمها  
استعادت إدراكها وعلمت من يقف أمامها، لتعيد أزهارها بسرعة،

اتجهت جلتار إليها محتضنة جسدها المرتعش وورثت على ظهرها قائلة: «لقد أحسنت عزيزتي، شكراً لبقاتك حية، أعلم أنك منهكة، لكن لا بد لك من استخدام قوتك...».

اختنقت الأحرف داخل جلتار، فور أن شعرت بفؤاد شاوران يَعمِرُ وصباحاً، كل جسده أصيب بالآلم، وفي هذا العذاب، كل ما جال في فؤاده جلتار، ليبن، وأثران، إنه مدهور من فكرة الرحيل بعيداً عن عائلته، أن يكون جندياً صامتاً لـ أوراء، أجل لقد ذكرت نبدرين أمراً كهذا، إنهم يقتادون زوجها، عشيرها، وفؤادها نحو وصب بلا رحمة له إلا الموت هو حبيس جسده الآن، غير قادر على تحرير ذاته.

أحالت وجهها نحو غارينا قائلة: «سأنتقل خلف شاوران، عودي إلى أثران واطلبي الدعم منهم لانقاذ من تم سلبهم، موقعهم حيث البحر الغربي».

انطلقت دون انتظار أي إجابة، دون حذر، أو قيود أطلقت العنان للين داخلها، كما لأزهارها لتحتل كامل جسدها، ما كانت لتخسر عشيرها، ليس مرة أخرى، تبعت مرتبط فؤادها، حيث إن نهايته مقودة مع وجدان شاوران، هي وحدها تعلم أين موقعه، وفي انطلاقها نثر أزهار المالك معها ليعلم الدعم موقعهما، كان المختطفون يتحركون بسرعة كبيرة، كما هي، إلا أن سرعتها لا تكفي للوصول إليهم، حينها

لخدمت خصائص إحدى الأزهار لديها، زهرة اللبن من أنثوس،  
تزيد من قوة عضلاتها كما تركيزها، لتدفع قدراتها لأقصى مدى، حينها  
نشرت نبضات فؤادها، كما خطواتها التي بالكاد لامست الأرض،  
ومع آخر ثوانٍ بقيت لها في زهرة اللبن لمحت أعداءها ومعهم عشيرتها،  
ضربت جلنار بقدمها الأرض بمجدة إياها مع آخر رمق في قوتها، ليتعثر  
المنظفون على الجليد ساقطين للأرض، لتري أمها من وصف سيون:  
أوسيانا وواردون، نظرت نحو شاوران، لتجد عينيه جاحظتين ذهراً مما  
أبصر، وفيها رجاء لها لتذهب بعيداً، لترحل ناجية بحياتها، تبسمت له في  
استسلام لقدرها، ثم نظرت نحو خصميهما والغيط ملء روحها، لا يهم  
ما يحدث الآن ما دامت ستقتل شاوران.

بلا على واردون الحق من صنيعها، بينما ظل آقوسيانا بلا تعابير، تحرك  
واردون مسرعاً مهاجماً جلنار المسلحة بكل أنواع السموم في جسدها،  
منبتة من جسدها سوطين شوكين من الورق الحاد الأطراف، ضربت  
بسوطها صوب واردون الذي تحاشاها مهاجماً جلنار بأشواك غليظة  
استخلصها من جسده، دفاعاً عن نفسها دفعت من الأرض الواحاً  
خشية غليظة فيما ظلت تتراجع للخلف مبتعدة عن خصمها المتسارع  
نحوها، وعندما اندفع عبر آخر لوح خشبي، لم يجد عدوته خلفه، ومن  
حيث لم يحتسب، وجد سوطين شوكين يحيطان بجسده، ومنها بث السم

إليه، لقد كان بنج نيدرلين الأسود بثت جلنار كل كمة السم للمكة حتى تعالى صوت صراخ خصمها المعذب ألماً من سمها، وهذيقته من رعبه الذي لم يعلم بوجوده قبلاً، بينما بثت السم فيه شعرت، بهجوم موجه إليها من خلفها، محررة واردون ففرت بعيداً، ولكن ليس قبل أن يؤذيها الهجوم بأنّ سم أقوسيانا فيها، من حسن حظها أنها احتضت به النيلوفر داخلها، فأطلقتها في جسدها داحضة تأثير سم أقوسيانا قبل أن ينتشر، عدا أن هذا الهجوم الذي قام به عدوها أبعدته عن شاوران لنجد فرصتها بالذهاب حيث هو سرعة، إلا أن عدوها اعترض سيلها، حين دفع من الأرض جذوراً مزقت المسافة بينها وبين شاوران، وفيما هون جلنار في الصدع، مدت سوطها لعلها تمسك بشيء يمنعها من السقوط، فجأة ارتد بدنها بقوة عنيفة فلم تعد تهوي، رفعت رأسها فتجد عشرين ممسكاً بطرف سوطها الذي أدمى ذراعه دون أن ييالي، وبها لديه من قوة واهنة جذب جلنار بقوة، لشب فوق الأرض، محتضة شاوران قائلة: «هل أنت بخير؟ هل تستطيع النهوض، القتال؟»

بأنفاسه اللاهثة وصوت أجش من الوصب أجاب شاوران: «أنت منهورة، وأجل لقد دفعت برحيقك في سرايني».

نهض شاوران المترنح مواجهاً أقوسيانا، بينما واجهت جلنار واردون الذي أنقذه علاج أقوسيانا ذو الشونيز الأزرق، تواجه الخصوم استعداناً

تسعة وكل ما جال في ذهن شاوران وجلنار هو النجاة، فالיום تعود  
لين إليهما.

أول من تحرك كان غيظ واردون نحو جلنار، ثم تبعه أقوسيانا صوب  
شاوران، ليلتحم الجميع في معركة دعم فيها شاوران وجلنار بعضهما بعضاً  
خلاف خصميهما، فعندما انهالت عليهما أشواك خشبية من واردون قام  
شاوران بصددها عن عشرته بتحريك الأرض صانعاً منها جداراً حامياً،  
بينما مدت جلنار سوطيها تحت الأرض وبحركة واحدة سريعة، قذفتها  
للأعلى ثاقبة قدم واردون ليهوي أرضاً ومصيبة أقوسيانا في ذراعه وكل  
من سوطيها ملئ سماً من المغد الأسود الخاص بآريز، بحركة سريعة هدم  
شاوران الجدار منطلقاً نحو أقوسيانا، وقد أزهز أزهز من كل جسده  
ممسكاً خصمه بأحد الأحزمة البارزة من جسده معتصراً إياه بقوة حتى  
شعر بفلوع أقوسيانا تتحطم إلا أن هذا المخلوق لم يجفل حتى، أقبلت  
جلنار نحو خصمها الملقى أرضاً من فرط السم في جسده لتنتهي أمره  
بفصل رأسه عن عنقه، وفيما حملته بسوطيها لتبدأ جذب كل من جسده  
ورأسه في اتجاهين متباعدين، شعرت بألم ثاقب في صدرها، وبدفء سائل  
يفرغ فمها، نظرت حيث الألم، لتجد حبلاً ورقياً من واردون قد غرز في  
صدرها حيث فؤادها، رفعت ناظريها إليه، لتجلده يتبسم لها بخبث، ثم  
انترع الحبل منها ومعه فؤادها.

كل ما كان على شاوران فعله الآن هو وضع قوة أكبر في الضغط على أقوسيانا لينتهي أمره، ومع آخر اعتصار له، شعر بجوفه يهوي للظلام روحه تسلب منه، وبنبضات فؤاده تتلاشى، نظر إلى حيث قدره، ليرى فؤادهما يتترع من جسدها الرقيق، النحيل، الذي سرق لونه من الشمس، وإذا بهذا الجسد يهوي للأرض، بينما تضابير شعرها الرمل في افواه، لينسدل على الأرض متلطخاً بالدماء الزكية التي ملأت الأرض بشهد جمالي بديع، والهاالك المتناثر على جسدها تلاشى حزناً على مالكة الزمان تجمد، الأرض توقفت عن الحراك، وجسد شاوران تحمل عن كان ممكاً به، ليتجه صوب محبوبته النائمة بسلام خلاب، غير آبه أو مشعر ضربات أقوسيانا المحملة بالسموم تمزق جسده، فلا حياة أو شعور يضاهي هذا العدم المخيف، انكب شاوران على جسد قدره، حاملاً إياها بين ذراعيه، مشهد سبق وأن عايشه من قبل، جسدها المضرج بالدماء والخواوي من الحياة، يقبع هادئاً، دافئاً في حضنه المرتعش، وبصوت منكوب، حزين، هارب من الواقع همس شاوران:

«جلناري، افتحي عينيك، جلناري، أنت لا ترحلين حيث لا أصل إليك، جلناري لا أقوى على أنفاس لا يكون فيها عطرِكَ أفيقي، فابتاً قادمة، لنحييها بالأحضان والابتسامات، جلناري يا كل وجودي وروحي لا تحرقني ما تبقى من فؤاد محبوبك، جلناري لا تتركي محبوبك بلا نبض قلب يحيه، أفيقي وحييني بابتسامتك».

بين فراعمة القويتين المرتعشتين بدأت جلنار بالدبول كما البين، فلا  
نفس قلب لها يقيه حياً، لا أنفاس لها تمنحه الحياة، لا جلنار تَعْبُدُ قدرها  
بـ، وبهذا لا حاجة لـ شاوران للحياة أو الإبقاء على عقله، مطلقاً لجام  
جنونه، سخطه، كرهه، حزنه، ندمه، شوقه، كما حبه، جاعلاً منها صوته  
الذي لم يتمكن من إطلاقه.

رأت سينا بعينها ما حدث لـ شاوران فيما اقتاده واردون مع أقوسيانا  
بعداً، ولم يكن بمفرده بل غيره أيضاً من البين النقي الفؤاد، تم حملهم من  
قبل الأعداء الفارين خلف أقوسيانا وواردون، علمت ما رجاء أورا من  
هذا، لتطاردهم، وفيما عبروا حقل الأفيون، رأته يفقدون عقولهم، لتعلم  
أن هذا من غارينا، ما كانت إلا لحظات لتصل إليهم غارينا المصابة كما  
الترنحة، أقبلت عليها سينا بسرعة، متجاهلة خطر الأفيون، فيما قام باقي  
الجنود بإنقاذ رفقاتهم من خلال سحبهم من حقول الأفيون.

سينا: «هل أنت بخير؟ هل رأيت جلنار؟»

«لقد ذهبت خلف شاوران، أخبرني أن أطلب الدعم إنهم متجهون  
للبحر الغربي، اذهبي بسرعة».

أشارت سينا لـ أنثوس، آريز، ونيدرین للقدوم معها، فيما أمرت  
يوكيم، رابولا، وباقي الجنود بالبقاء والاعتناء بالمصابين وإنهاء حياة  
أعدائهم. كل ما رجته هو سلامة شاوران وجلنار، وأمر واحد أفقدها

عقلها من قد يوصل الأعداء إليهم؟ فلا أحد يعلم مكان أثران، لكن هذا لا يهم الآن عليها مساندة عائلتها، إنقاذهم من برائن أوراء، لتعلم أنها تأخرت حين أبصرت الواقع الذي مزق فؤادها كما روحها، بين ذراعِي شاوران يقبع جسد جلنار الذابل، وحيث فؤادها ثقب خالي الوجدان، شعرت سينا بالهواء يغادر صدرها ونبضات قلبها تتوقف، فتمجّدت قدماها حيث هي غير قادرة على التحرك لإيقاف شاوران الذي بدد جسده بالهجوم الشامل، لقد أطلق العنان لنفسه، من قدمه تفرعت جذور غليظة تمددت غامرة ذاتها تحت الأرض، من جسده أزهرت الجلنار التي غطت الشمس، إلا أنها ذبلت خاسرة بتلاتها بسرعة، أما جسده فقد تغيّر لجذع شجرة عريض للغاية ويستمر بالنمو مكتسحاً الأرض ومتطاولاً للسماء، شاوران تخلى عن كل شيء فاقداً ذاته، كان مشهداً جليلاً لا يمكن وصفه، لا يمكن أن يُعلنَ المخلوق عن عشقه بطريقة أكثر جنوناً ووفاءً من هذه، بالرغم من سحر هذا المشهد، عدا أن هذا لا يزيل واقع أن سينا فقدت قائدها، صديقتها، عائلتها، كما فقدت فؤاد طفلها، آخر قطعة تربطها بمحبوبها فارديون<sup>(١)</sup>، انطلقت سينا مسرعة نحو شاوران وجلنار، موقنة بيقيناً متقطع النظر عدم قدرتها على إنقاذ شاوران، عدا أن عليها حماية فؤاد لبيين، فيما اقتربت ومن معها صوب قائدهم المنكب على

---

١ - مزهرون: البشري الذي تزوجته سينا كما منحه فؤادها لتسعيده لاحقاً بعد أن سيطرت عليها غريزة البين.

جسد معشوقته، إذا به يهاجمهم، علم الجميع أنه لا يدرك ما يفعله، لتنهض لهم سينا:

«لا تقتلوه، علينا إبقاؤه حيًّا حتى وصول البعثة».

فقه الجميع ما تصبو إليه، عدا أن إبقاء مخلوق فاقد لعقله حيًّا أمرٌ مستحيل، كانت هجمات شاوران لهم عشوائية كما عنيفة، أصيبوا عدة مرات وحتى عندما حاولت نيدرلين تقييد حركته بسمها وجدت أنه لا يجدي معه، بل إن سمها لا يصل إليه على الإطلاق، فلم تجد سينا حلاً إلا أن تترجى ما تبقى من فواده كما روحه: «أتريد أن تراك ابتك هكذا؟ هل تريد أن تكون هذه آخر ذكرى تحملها لك؟ امنحها خاتمة شاوران، أرجوك أفق، أرجوك قاوم من أجل فواد ليين لئلا يتحطم».

توقفت الهجمات فوراً، وبصوت لم يعد ملكاً لشاوران همس بكلمات كما لو أنها أغلى ما يملك: «ليين، أشتاق إليها».

الآن باتت شواطئ أرضهم جلية أمامهم، وعلى شواطئ البحر الغربي رست البعثة، فلا وقت أمامهم للاتجاه إلى الشاطئ الأقرب لأثران، بدت الثواني كأبدية في جهلهم بما يحدث الجميع قلقون مذعورون، خاصة ليين وسكارم، فكل حياتهما وكل من يحبان هناك في أثران، لم تشغل الحرب حتى مكاناً في ذهنهما، فالأفكار المشوومة بفقدان من يحبان هي المسيطرة على كل كيانهما، ولم يجد سيون أو أريو القدرة للتخفيف عنهما، حيث إنهما

أيضاً متخبطان في القلق. أخيراً وطت أقدامهم أرض الشاطئ، وما أن لمست ليين الأرض، حتى هب نسيم لطيف كما حزين، حرك معه الغيوم لتزداد السماء كدراً وشوْماً، همست هذه الرياح بصوت حزين: «أسرعى هو ينتظر».

لم تدرك ليين ما تقصده الرياح بهذا، أو من يتظره ولم تسأل خوفاً من الإجابة، تحركت بسرعة تبع الرياح بالرحم من الضل الذي أحاط جسدها وقدميها كما لو كانت تحمل أغلالاً من حديد خليط، نفاجأ من معها باتجاه نحرهما فهذا ليس الطريق لأنثران.

سيون: «ليين، إلى أين؟»

لم نجب، لم نستطع أن نجيب، إنها مشلولة التفكير. وكل ما نفعله هو اتباع الرياح بكيان يصرخ لها بالإسراع لترى عائلتها يرجاء بك في روحها أن يستقبلوها بالابتسامة كما عهدوا وعهد منها بعدم الابتعاد والرحيل مجدداً، معها حدث ستمسك بعائلتها.

شيء ما طلب منها أن تنظر للسما كحدهس كرهته، وعندما فعلت رأت شجرة ضخمة تطاول ملامسة الغيوم، لم يكن هناك شجرة كهذه هنا، فلماذا تظهر من العدم؟ أرادت التباطؤ، لم ترغب بالوصول حيث تعلم أن وجدانتها سيتحطم، إلا أن قدميها أسرعتا الخطأ رغماً عنهما، ومن بين الأشجار الكثيفة برز جلد خشبي غير ملوِّف، وقد أحاط بيئت

ميزتها ليين، إلا أن ذهنها المشتت لم يميز إلا سيناً، التي ما أن رأتها حتى تساقطت دموعها، ناهضة من الأرض.

لم تفهم ليين ما يحدث، إلا أن ما خطف انتباهها هو صوت الأنفاس المتقطعة، الحشنة، وصوت غريب، مألوف يهمس بحنين بالك: «... يا... يا...»

كسلوبة الإرادة سارت حيث همس الذي مزق فؤادها، وأحرق روحها، لتجد من بين لحاء الشجرة الضخمة هيئة أخافتها حتى سلبت صونها منها، وكل صرخة في داخلها ترجو: «لا!» لم تعد قدمها تحملها تنخر على ركبتيها وجهاً لوجه مع هذه الهيئة التي كانت لوالديها. هذا والدعا دون أدنى مكان شك، هذا وجهه الذي يلدوي، وجسده الذي حمل حبه لوالديها أزهاراً، قد تلاشى للحاء بلا جمال، خصلات شعره لفظة رحلت فلم يبق منه إلا وجهه، وبين ذراعيه حمل هيئة إنسان، بل ما كانت يوماً ما إنساناً، ما كانت ذراعها والدها لتحمل مخلوقاً عدا ولدتها التي باتت بلا هيئة وذوت ملتصقة بجسد عموها، الذي لا يهوى عز الابتعاد عنها حتى وهو يفارق الحياة، فأطلق اللحاء هباتاً مهتة له، يجننا معاً في هذه الهيئة<sup>(١)</sup>.



مدت ليين يدها المرتعشة نحو وجه والدها تلمسه، وبما تبقى له من  
نظر رآها، ليتبسم من بين اللحاء الذي تشقق متساقطاً عن وجهه هامساً  
بحب خالص كما حنين معذب:

«أنا أعرفك»

ليين: «أنا هنا أبي، أنا هنا الآن، أرجوك، أرجوك لا ترحل».

شاوران: «أنا أعرفك، لقد اشتقت إليك».

«أعدك بالآأ أرجل مجدداً، بالآ أغيب عن عينيك، أرجوك لا تركني  
وحيدة، أرجوك لا أقوى على قسوة الحياة بمفردي، أرجوك لتعد، أرجوك  
لتقاوم».

شاوران: «لقد رحل كُلي».

«أنا هنا، ما زلت هنا، فلا تتخلّ عني، لا تهجري، سأأخذُ من دونك،  
أرجوك واحد منكما فقط ليقّ معي، أتوسل إليك، أبي أتوسل إليك، أبي  
أرجوك، لن أغادرك يوماً، أرجوك لتكون معي ولو بنصف فؤادك، أبي لا  
ترحل، لا تنطفئ.. أبي أرجوك، أنا ابتك، أنا ليين، أحتاجك قوة لي،  
دعاً يحميني... أرجوك...».

لم تعد الأنفاس تجد مكانها في صدر ليين اللاهثة، وصوتها لم يجد له  
مرقداً في أذن أو وجدان شاوران الذي رحل منذ وقت وكل ما تبقى منه

هو نقاء حبه الخالص لابنته، لكن الحب وحده لا يُجني جسداً تلاشى ولا روحاً خبت.

وفيا خفت الضوء من روحه كما عينيه همس شاوران بآخر كلماته:  
«أحبك بهجة وجودي»

ومع هذا أغمضت عيناه وزفر صدره آخر أنفاسه، فيما تيس وجهه  
للحاء نهب هيئة شاوران للأبد.

ليين: «لا لا لا لا لا، أرجوك عدا! أبي عدا لا تتركني هنا وحيدة أنا  
أحبك عد، أنا آسفة، أنا حقاً آسفة لتعد أتوسل إليك...».

وعندما لم تجد المزيد من الرجاء أو تسمع أي جواب، تكتلت كل  
الآلام، العذاب، الندم، الحزن، السخط، كما الكلمات التي لم تشكل  
وتحول كل شيء لصرخات عصفت بها الرياح، لتبرق السماء وترعد  
غضب ليين، تساقطت الأمطار دموعاً لم تجد طريقها لعينها وعصفت  
الرياح زوبعة تطاولت للسماء مُقتلعةً معها الأشجار، الآن سيشهد العالم  
نقمها وسخطها.

خلف ليين وقف سيون، أريو، وسكارم يشهدون عذابها ورجاءها  
الذي لم يجد أذنأ مصغية، في حين أنهم هم أيضاً أصيبوا بفاجعة مما يحدث  
أمامهم، هذا شاوران العظيم يرحل من الحياة تاركاً كل شيء خلفه، بين  
نراعيه محبته التي لا يقوى على العيش بدونها، وهي لم تفارقه حتى آخر

لحظاتها، في هذا المشهد لم يسع أحداً أن يشعر بشيء أو يفكر في شيء ولا حتى مواصلة ابته المنهارة، وعندما رحل شاوران أخيراً أطلقت ليبن العنان لذاتها، لم يعد يهم من يرى أو يعرف عنها، عصفت رياح حزنها حتى إن المخلوقات من حولها كادت تُقتلع من الأرض لولا أنهم ثبوا أنفسهم بها. ما يحدث الآن أمرٌ خطير، ليس عليهم فقط، بل على ليبن، من معهم هنا الآن من نيدرلين، أنثوس، وآريز، سيتساءلون عن مصدر هذه القدرة، وبالنسبة لسينا لم تبدُ متفاجئة من فعل ليبن، أو حزنه، هي تقف خرساء بلا تعبير يعلو وجهها.

اقترب أريو من ليبن الثائرة صارخاً اسمها: «ليبن، توقفي! متزدين نفسك».

سكارم: «لا تفعلي، ما كان شاوران أو جلنار ليرغبا منك فعل هذا».

سيون: «استمعي إلينا، أرجوك عودي لعقلك». ومن بين الإعصار أصدى صوت غريب ملؤه الحق السحيق قائلاً:

«دموعها كوني أنهاراً تروي آلام قلبها. صحتها كُنْ زلزلاً، بحطم أوهامها. سحقها كُنْ إعصاراً يَفْشَعُ خوفها. حزنها كُنْ أمطاراً، تُفْرِقُ قلبها، وتلتون السماء بظلام روحها».

ارتعد سيون حينها موقناً أن المتحدث هنا هو طيف الريح التي

لندجت قوتها من عظيم وصب ليين فلم تعد تعي شيئاً مما يحدث حولها  
أو ما تصنع.

برقت السماء حتى أعميت أبصار من تحتها، ورعد صوتها حقاً أصم  
أنفهم، بات الوجود حول ليين خطيراً، فالرياح من حولهم امتلات  
بظلال من الأشجار المتزعة، ولتضرب الصواعق الأرض مراراً وتكراراً  
والتمرض لأحدهما يميت، مهما ناشدها من حولها للتوقف لم تصل  
أصواتهم لها. تحرك أريو من حيث هو بجهد جهيد محاولاً الوصول  
لعشرته إلا أن الرياح نفثته بعيداً ليصطدم بجذع شجرة، أما سكارم فقد  
غير هيته للفهد وانطلق متسارعاً وهو يمتطي الإعصار ليصطدم بإحدى  
الأخشاب المتطايرة فتحطم ضلوعه، كُُلُّ من أريو وسكارم لم يتوقف عن  
المحاولة، ليقوم سيون بصب كامل تركيزه على قطرات الماء في الإعصار،  
جاعلاً إياها تتلاصق ومغيراً في هيناتها حتى بدأت تتحول لجليد، عندما  
رأى أنثوس ما يفعله قام بدعمه هو الآخر، شيئاً فشيئاً تحول الإعصار  
حول ليين لعمود جليدي متصب، وتوقف عن الحراك، تجميد إعصار  
كامل أنك سيون وأنثوس، عدا أن كل هذا بلا طائل حيث إن سخط  
ليين أقوى منهما، ليتشقق الجليد، فتكذف شظاياه الكبيرة في الأرجاء.

في كل هذا المشهد وقفت سينا عاجزة عن فعل شيء نظرت فيما  
تخطمت كل حياتها أمامها، عائلتها رحلت، والفئة التي تحبها كجزء منها

تعاين وصباً تعجز عن إزالته عنها، فوجدت نفسها تسأل: «أليس هذا ما كنت تبغين؟ ألن يجعل هذا الأمر أيسر لك؟ فلم الندم الآن؟ هذا هو العهد الذي اتخذته».

في الأفق حلق نamar مع إيلهاب مسرعين نحو أثران، وقبل أن تبجل اليايسة أمامهما، تراءت لنامار صورة من على الأرض أوقفته عن إحرك حيث هو، ليجد أسى عميق طريقه إلى دخان نامار ليتبعثر حزناً هامساً: «لقد فقدنا شاوران، وجلنار، والآن ليين في ثورة سحق أعظم منها». دمعت عينا إيلهاب من هذا النبأ، فهو يحمل الكثير في قلبه لشاوران ومثل الجميع يعلم وصب فقدان الوالدين، بعزيمة صلبة انطلق إيلهاب مجدداً قائلاً:

«علينا إنقاذ ليين، يجب أن لا نفقد أحداً آخر، قد الطريق نامار». تسارع الاثنان حيث رفاقهما يصارعون لإنقاذ أحدهم. بات إعصار ليين على مرأى من نامار، وما شهد علم أن المنطق لا يجدي معها، لذلك سيفعل أمراً قد يؤذيها الآن، إنها هذه الطريقة الوحيدة لإنقاذها. «إيلهاب، اتبع خطاي دون أسئلة أو تردد، فما سأقوم به سيتلقاها». «حسناً».

اقرب نامار نحو الإعصار بقدر المستطاع آمراً إيلهاب ليلف حوله

يُلقق الاثنان لهيها الأسود فالتحمت النيران مع الإعصار لتسي  
زوبعة نارية عظيمة، وخشية من أن تنطفئ النار من الأمطار الهائلة،  
نسر نامار مع إلهاب في إشغال لهيها في الإعصار.

راقب أريو ما يقومان به، ليشور غضبه منطلقاً نحوهما ليوقفهما عن  
إنهاء ليين، إلا أن سيون أوقفه مسرعاً:  
«إنها يوقفانها».

أريو: «سوف تحترق».

«هذه الطريقة الوحيدة لإيقافها عن إيذاء نفسها أكثر، أي إصابات  
يمكن علاجها لاحقاً».  
«هما يزيدان الوضع سوءاً بنارهما».

سكارم: «لا، لهيها يستنفذ الهواء من داخل الزوبعة، هما يستنفدان  
الهواء لتفقد ليين وعيها، فدعهما يفعل ما عليهما فعله، ولتقم أنت مع  
سيون بمنع انتشار اللهب للغابة».

نظر أريو من حوله ووجد أن الأرض تشتعل لهيماً يتشر بسرعة بفعل  
الرياح التي ما تزال تعصف، ويقلب مثلث تعاون مع باقي المخلوقات،  
استخدم هو و سيون الماء من الأمطار، بينما صنع أنثوس الصقيع منها،  
فيا قامت نيدرلين وآريز بإخماد النار مستخدمين الأتربة، أما سينا فظلت

تراقب صامتة، مهما تحدث معها سيون أو غيره هي لم تجب ببساطة، وظلت جسداً لا روح فيه يشهد تناثر حياتها هباءً.

بعد لحظات عصيبة وطويلة تلاشى الإعصار من حول ليين، وعندما انقشع عنها وجدها أريو ملقاة في الأرض فاقدة الوعي، بلا حراك، وأنفاسها ثقيلة في صدرها، حملها بين ذراعيه والدمع يتساقط من عينه على وصبها الذي أصابه بقدر ما أصابها، هو يعلم جيداً أسى فقد أحد الوالدين وهي فقدت كليهما مرة واحدة، أزهر أريو النيلوفر من جسده موصلاً إياه بـ ليين مقدماً لها العلاج اللازم، وفي صمت حزين عاد الجميع نحو أثران، ليرثوا فقداهم.

## الرشاء

خطاهم إلى أثران كانت ثقيلة، فقد حملوا على أوزارهم ذنب موت جنار وشاوران، كل صامت لا يهمس بشيء، تاركين وابل المطر يطهر نفوسهم أو يزيل بعضها على الأقل، لم يسأل سيون شيئاً من سينا أو نامار، والآخران لم ينبسا بحرف واحد، الجميع يحترمون ستار الموت الذي أسدل ظلامه عليهم، سارقاً منهم أعظم قائد حملته الأرض، ناهباً منها جبالن يتكرر أبداً.

على مشارف حقل الأفيون، توقف سيون عن الحراك ناظراً نحو من شهدهُ قدرة ليين قائلاً: «أرجو أن لا تتحدثوا بما شهدتم الآن».

نيدرین: «في داخل هذه الفتاة طيف، أليس كذلك؟»

أوما سيون بصمت، في حين أجاب أنثوس: «لن نتحدث بشيء لا تقلق فنحن حلفاؤكم، وهدفنا واحد».

آريز: «أقسم بشرفي كمحارب على الصمت».

رفع سكارم عينيه اللتين ذرفتا دمعاً أخفته قطرات المطر، ومن بين هذا الوابل وجد ظل من اشتاق إليها تقف تنتظر، ليركض إليها مسرعاً، أراد متنفساً لآله، حزنه، شوقه، كما ندمه، وحين اقترب منها وجد آثار

إصابات في جسدها، وقبل أن تتلاشى إرادته في احتضانها، إذا هي نفع ذراعيها له، كمن يأمره أن يرمي فيها، أن بطرح كل ما أصابه من سوء عليها، ومن غير إدراك منه تسارعت خطواته وأغلقت ذراعاها بحضن قوي، حميم لعشيرته، التي انهالت دموعها على جسده، وتناقلت أنفاسها داخل صدرها، لتخرج شهقات مشتعلة، لم يرغب سكارم تحطيم فؤادها، إلا أن صرخاته لم تعد تجدد مكاناً داخل روحه، فتحدث قائلاً لها من بين أنفاسه المتلاشية، وروحه المتهشمة: «فقدنا شاوران وجلنار».

انتفضت غارينا مبهدة ذاتها عن سكارم ناظرة إليه في دعر يكذب ما قيل لها، وعندما لم تجد في عينيه إلا الأسى، أطلقت شجنها دموعاً، لتتحب على من أحبت من أعماق وجدانها، معتذرة عن إخفاقها، وبين ذراعي سكارم ظلت تطرح أحزانها تأوهات لكليهما، ابتعد الجميع عن سكارم وغارينا مانحين لهما حيزهما من الحزن.

داخل أسوار المدينة وقفت المخلوقات تنتظر أن يزيل أحد جهلهم، وقف الجميع ناظرين للبعثة التي عبرت من الأسوار، جميعهم مطأطئون رؤوسهم، وبين ذراعي أريو ليين فاقلة الوعي، إلا أنه لم يقف معهم، ويهدوء انسل بين الحشود حاملاً ليين لمتزلها، حيث سيكون الصمت قاطنه الجديد. أما سيون فقد نظر إلى المخلوقات ذوي الأعين الخائرة كما الخائفة، ويعزم رفع رأسه، ويخطأ طويلة واثقة، ارتقى درجات الهرم،

في خطرة ازداد يقينه، عزمه، أسفه، وعَلِمَ يقيناً أن من يجب عليه  
 يوف فوق هذا الهرم هو من بناء، من بنى هذه المدينة، شاوران من  
 الأذن جزءاً من الأرض، وعندما وصل للقمة أخذ نفساً طويلاً،  
 انتار مواجهاً المخلوقات التي تطلعت إليه كبصيص أمل غائب،  
 بحث بصوت جلي، راسخ، واحترام لا يُرام قال: «اليوم فقدنا قائدين  
 يمكن استبدالهما، مهما مر على الأرض من أزمنة فلن يأتي مثلها أحد،  
 يوم فقدنا قائدنا شاوران، وجلناره أيضاً».

من نخته تعالت الشهقات، وخفضت بعض المخلوقات رؤوسهم في  
 سر كبير، بينما غطى البعض الآخر أعينهم، في حين أن مجموعة أخرى  
 هربت للسماء حتى تختلط دموعهم مع قطرات المطر فلا يراها أحد، وحتى  
 تخفاء الجدد ممن تعرفوا على شاوران وجلنار مؤخراً، بدت عليهم آثار  
 كرب الذي حلّ عليهم.

سيون: «اليوم هوجنا في عقر دارنا، وتمت سرقة أرواح أصدقائنا،  
 رفاقنا، وعائلاتنا، أمر لن نصمت عنه، أورا ومن معها أغاروا على وطننا،  
 ساليين منا أرواحاً لن نُعوّض، سنُكرّم هذه الأرواح الغالية برثائها، ولكننا  
 لن ننسى تضحياتهم، سنجعل أورا ومن معها يدفعون ثمن ما سلبوه منا،  
 هذا عهد بروحي أقسمه».

تفرقت المخلوقات بشجن احاط أفتلتهم، اتجه المصابون منهم إلى



المركز الطبي لتلقي العلاج، لتدرف أعينهم الدموع عندما لم تسبّلهم  
جلنار، بالرغم من وجود بينَ قادرين على علاج أبدانهم، الا ان مجرد  
وجودها في هذا المكان كان يبعث حل الإطمئنان، وثم هنالك شاوران  
الذي أقسم لهم من قبل أنه سيموت من أجل أي واحد منهم، وقد أوفى  
بقسمه، في أفتلتهم أرسلت المخلوقات وداعهم لقائدهم وعشيرته،  
الذين لولاها لما كانوا أحياء.

هبط سيون من على قمة افرم، منجهاً حيث أريو معه نامار وإيلهاب،  
في طريقهم التقوا سينا تقف بصمت

سيون: «لدينا ما نتحدث عنه، تعللي معنا».

نظرت إليه بعينين تملوان من الحياة فيهما، مجية: «دعني لأساي، لقد  
فقدت أكثر مما أحتمل اليوم».

وفيا تولت عنه، قبض سيون على ذراعها بقبضة قوية قائلاً: «لماذا لم  
تخبرينا عن الطيف داخل ليين؟ أنت بالتأكيد تعلمين بشأنه، كما تعلمين  
بشأن طريقة تدمير أوراء، فلم التزمت الصمت؟ في أي جانب أنت؟ وما  
هو عهدك مع نادياس؟»

انتزعت سينا ذراعها بعنف وفيا نظرت ييقين صوب سيون ونامار،  
أجابت:

«لن أبرر ذاتي لكما، لتفكرا بي ما شئتما، لتشككا في نواياي وأهدافي كما  
ترغبان، لا يهمني، فقريباً ستعلمان ما أعلمه أنا، حينها سأرى بأم عيني ما  
أنتم تقدمان عليه، إن كنتما تملكان الجرأة لفعل الأمر ذاته الذي أفعله أنا أم  
لا، لكن اعلمي أمراً واحداً فقط، ولكما الحرية المطلقة في تصديقي أم لا، كل ما  
أرجوه هو نهاية عهد أورا، كل ما أصبو إليه هو إتمام عهدي، الذي قطعتة».

سيون: «نحن لا نشق بك، ليس بعد الآن، فانت تخفين من الأسرار  
الكثير، وأعلم أنك لن تبوحني بشيء»، حتى لو عنى هذا موتك، لكن  
أقسم لك أنني سأنهى حياتك بيدي إن أذيت لييين، أو كتمت معلومات  
قد نؤذيها، وإن كان لديك اتصال ولو من بعيد بموت شاوران وجلنار،  
فلا مكان في الأرض أو البحر يحميك مني».

لم تحب سينا وخطت مبتعدة.

نامار: «لنبقها تحت أعيننا الآن، فإن كانت تخطط لأمر ما فسأعلمه».

سيون: «كيف هذا؟»

«تعال لتحدث، لكن لتجبه حيث منزل شاوران، فلا بد له أريو أن

يستمتع لما لدينا».

استدعى القائدان كل من يهجه الأمر للاستماع لحديث نامار، ليخرج

من حجرة لييين كل من أريو وغارينا المصابة.

سيون: «ماذا عن إصاباتك؟» تحدث موجهاً حديثه لـ غارينا

«سوف أشفى منها بأي حال، كل ما يهم الآن هو ليين»

نامار: «هل هي بخير؟»

أريو: «لقد عاجلنا الحروق التي تسببنا بها، إلا أن فوائدها قد تنطري،  
لقد شعرت بها، بكل ما مرت به، إنه ظلام لم يعرف الضوء يوماً، حتى  
الآن هي تبكي والدنيا في نومها».

سيون: «أعلم أن خسارتنا اليوم كبيرة، إلا أنه يجب علينا الإسراع في  
رد الهجوم على أوراء، نامار ما حدث في مملكة اجان؟»

أطلق نامار دخاناً أحاط بالمنزل من الداخل مانعاً أحداً من الاستماع  
لحديثهم قائلاً:

«لقد كانت إغارة من أوراء بلا شك فلقد وُجد البين هناك برفقة  
عشائر الجان والهجناء، تضررت باسيلييا كثيراً، إلا أن أسوأ ما وقع هو  
موت زابنيل».

حل الصمت في الحجرة صلماً من هذا النبأ، ليحطمه سيون قائلاً:  
«ماذا؟ زابنيل قُتل؟ ثم ماذا عن طيف النار داخله؟»

نامار: «لطيف النار وريث جديد هو أنا».

ارتعد بدن سيون فيما عقد لسانه، لم يعلم إن كان عليه أن يتجهج بها  
الأمر أم يقلق من أن يتأذى نامار.

غارينا: «ما الذي تحدثون عنه؟ ما هي الأطياف؟»

نظر سكارم لمن حوله كمن يطلب منهم الإذن لإخبارها بما يحملونه من معرفة، حينها أو ما له نامار مانحاً إياه الإذن، وعندما فعل لم تنطق إلا بسؤال واحد: «ماذا عن ليبين؟ هل ستأذى إن رحل طيفها عنها؟»

أريو: «لا نعلم، وهذا ما يفقدني صوابي، قالت لنا سيكاي، إن إزالة الطيف لن تؤذيها، لكن وحتى الآن شهدنا موت كل من حمل الطيف داخله، نادباس الذي حمل اثنين منها قُتل، زابنيل كذلك قُتل، لا أرغب أن يكون هذا قدر ليبين أو نامار أيضاً، لربما علينا سؤال سينا، فهي أفضل من يعلم عن الأطياف».

نامار: «نحن لن نشق بها بعد الآن، تلك البِنْ تخفي الكثير من الأسرار، لقد علمت عن الأطياف وطريقة تدمير أوراء، إلا أنها أبقت الأمر سرّاً، وصمتت عنه».

سيون: «لقد صرحت لنا للتو بأنها تعلم أمراً مهماً، إلا أنها لم تتحدث عنه، وفي الحقيقة لن أبعد احتمال أنها هي من قاد الهجوم على أثران».

غارينا: «لم تفعل، لقد كان أتوم، هو من قاد الجنود إلى حيث أثران، لقد رأيته من السماء بينما كنت أهوي، أنا حقاً لا أعتقد أن سينا قد نخوننا، لقد هبت لنجدة شاوران وجلنار فور أن طلبت منها».

لم يعلم سيون كيف يتجلى نيا خيانة أنوم، هذا أنه ولسب ما لم يهمر  
بالخيانة أو يصد من هذه الحقيقة

نامار: «ما كنت لأتفاجأ من هذا، إنه من قديم»

إيلهاب: «وماذا عمن كانا معه، شات، وأويس؟»

غاريتا: «أخبرنا أنه تم اعتراض طرفيهم من بين المحيط فتنوهم، إلا  
أنه نجا بذاته، ليقل إلينا».

أريو: «لقد اشترى حياته مقابل منحهم أتران، باله من مخلوق ذليل».

إيلهاب: «هذا لا يزيل الشكوك عن سينا، حتى في باسلبا، من قام  
بخيانتهم هو حارس الملك ذاته زاديق، لذلك علينا أن نكون حذرين  
ونراقبها».

سكارم: «لا أحب فكرة أن سينا قد تفعل هذا بنا، لقد أمضينا الكثير  
من الأوقات معاً، كما أنها ناتبة القائد بالنسبة لنا، لقد رأيت علاقتها مع  
ليين وعائلتها، لقد أحببتهم بصدق».

أريو: «سكارم، لا يمكننا إنكار حقيقة إخفاتها الكثير علينا، كل  
ما نعرفه قد يعرضنا للخطر، عندما يأتي الاختيار بين الحياة والموت  
فسيختار الجميع الحياة على الروابط الثمينة».

يلهاب: «هنا ما فعلته هيرانم، لقد خانت عشيرها بالاي، كما ابنها  
لشي قتل في سيل أن تحافظ على حياتها، لقد باعت كل المهجاء من الجان،  
بكر من قضت الفبات معهم».

سكارم: «حسنًا، لنقل إنها حقًا خائنة ولا يهملها إلا ذاتها، كيف تقترح  
نراقبها دون أن نلاحظها؟»

نامار: «أنا أقوم بذلك الآن عبر طيف النار، أنا أرى، أسمع، وأشعر  
بكل شيء على الأرض، كما أني أرى قيمان البحار والمحيطات كلها، قوة  
طيف النار مهولة، الآن علمت كيف امتلك زاهنيل كل هذا القدر من  
المعرفة عنا وعن تحركاتنا».

سيون: «هل يتحدث الطيف معك؟»

نامار: «لقد فعل عندما سكتني، لكن ليس الآن».

أريو: «علينا معرفة المزيد عن الأطياف وكيفية إزالتها من دون قتل  
حاملها».

سيون: «سنفعل هذا، ولكن أولاً علينا معرفة خطواتنا التالية».

نامار: «لنرتح الآن أولاً، ونمنح أنفسنا وقتها لترثي من فقدنا، حينها  
سنعلم ما خطواتنا التالية».

بينما جنح الليل، وفيما استمر المطر متساقطاً من السماء التي فقدت قمرها خلف الغيوم، سار أريو بهدوء بين الأشجار وفي الغابة الموحشة، بقلب مثقل ونبضات تصرخ حسرة مع كل نبض، خطوة تتبعها أخرى حتى وصل إلى موقع تلك الشجرة، إلى مقبرة شاوران وجلنار، أمامها وقف مطيلاً النظر، عله يجد شيئاً منها قد تبقى أو عليها ينبثقان من بين اللحاء حين، إلا أن الصمت هو كل ما استقبل أريو، ليضع كف يده حيث وجد وجه شاوران قبل أن يتلاشى، وبغصة في صوته تحدث:

«كم كرهتك شاوران! من سحيق روحي كما فؤادي أبغضتك حتى الموت، إلا أنني لم أتمكن إلا أن أحمل الكثير من الاحترام لك، عندما أعود بذكراياتي للأيام التي جمعتنا في بابل، أجد أنني أبغضت ذاتي التي لم تستطع أن ترقى لنُبُلِكَ، شجاعتك، قوتك، كما نقاء روحك التي لا تشوبها شائبة، أنت وجود كبير يلقي بظلاله علي، هذا الوجود هو أعظم ما أحبت ليين وقدسته، والآن برحيلك تركت فراغاً كبيراً في حياتها كما حياتي، ولن أستطيع يوماً أن أملأ هذا الفراغ. وأنت جلنار، كنت الشمس في ظلام روحي، حتى عندما أنت ملك له، إلا أنك منحت حياتي ضوءاً أكبر منك، منحتني حب ليين التي هي منك، ولهذا أنا شاكرٌ لك، أشكرك على تخليك عني، وركضك خلف شاوران، أشكرك لبقائك حية حتى أراك مجدداً، لأشهد حبكما الذي هو أعظم من الكون كله، لقد أحبتكما بعضكما

بغضاً حتى الموت، وحتى في الموت لم تطيقا الابتعاد، كم أحسدتكما؟ كم  
لبنفكما؟ كم أقدركما؟ كم أحببت كليكما، شاوران أنت أول وآخر نداء  
لِي، وإنه لعظيم الشرف لي أنك اعتبرتي نداءً لك، أرجوكم ارقدا بسلام  
الآن، واعلمنا أن لبيّن بأمان معي، أقسم بكل ما هو مقدس أن أحبها، أن  
أقدم حياتي من أجل حياتها، أن لا أذيقها يوماً ألم الفراق، شكرًا لكما يا كلَّ  
من أبغض، حتى نلتقي مجددًا، وداعاً.

أنا أريو وجهه ليعود أدراجه، ليجفل من اللهب الأسود الذي حام  
من خلفه، وقبل أن يُصدر صوتاً أظهر إيلهاب نفسه من ظلام الليل.  
إيلهاب: «ظنتك هنا».

«هل تبعتي؟»

«لست أكبر همومي لأتبعك، أتيت لأقدم الاحترام كما الوداع لمن رحل».  
«نأتي لنودعهم عالمين أن حروفنا لن تصل إليهم، فما الفائدة؟»

إيلهاب: «لسنا نودعهم لتصل إليهم أصواتنا، بل لتزيح العبء عن  
أفئدتنا كما أرواحنا، نعتقد أن كلمات الوداع التي نلقيها تخفف من وطء  
الحنين، أو أن اعتذاراتنا تزيح الذنب أو تمحوه، نحن نفعل هذا من أجل  
غرورنا، سلامة عقولنا، إنه من أجل أنانيتنا المفرطة نقوم بهذا».

أريو: «وعلى ماذا تعتذر؟»

إيلهاب: «لا شيء»، بل أتيت أفصح عما لم أتحدث عنه قبلاً.

ابتعد أريو فاسحاً المجال لـ إيلهاب إنها ظل على مرمى من سمعه.

إيلهاب: «كنت منبوذاً طيلة حياتي، بلا قوم أو وطن، كان وطني الوحيد هو والدتي، وعندما رحلت لم أجد أرضاً تحتويني، فسرت بلا هدئ، روحاً ساخطة على الجميع، ثم نبذني نامار هنا، لم أع السبب في بادئ الأمر، ولكن علمت لاحقاً، لأنك شاوران قائد لا يُشق له غبار، كنت مرشدي، معلمي، وقوتي، وجلنار أنت اللطف الذي كنت أنعطش له في حياتي، قدمتما لي ما لم يقدمه لي أي مخلوق آخر، منحتماي وطناً أنتمي إليه، رفاقاً أقاتل معهم، هدفاً لأحيا، لم تهتما يوماً باسم نامار الذي حملته، لم تهتما بكل الأغلال التي كبلتني، ولأول مرة ينظر أحد إلي كـ إيلهاب فقط، في نظركما لم أكن أكثر من هذا أو أقل، وبهذا حطمتما شيئاً من أغلالي، بفضلكما تحررت لأرى ذاتي الحقيقية، سأظل دائماً ممتناً لكما، وسأعمل كل ما يمكنني لأحقق رؤيتكما بإيجاد أرض حرة من أوراء، شكرًا لكما».

اتجه الاثنان عائدين لمنزل ليبين، فقد قررت المجموعة القيام باحترازاتهم لمنع سينا من الاقتراب منها دون مراقبة، فلا يعلمون ما هي نواياها الآن.

أريو: «هل شهدت قدرة الطيف في نامار بعد؟»

«لا، لم يستخدمه بعد».

«هل يمكن استخدام النار في الطيف؟»

إيلهاب: «لا أعلم بعد، لكن حقيقة أن لنا مار القدرة على رؤية وسماع كل شيء على الأرض، إنها حقاً قدرة مهيبة».

«لا عجب أن زائيل أصبح ملكاً للجبان بفضلها».

إيلهاب: «أنا أخشى عاقبة وجود الطيف فيه».

«أنفهم ذلك، فأنا أيضاً خائف».

«ومنه الأحداث الأخيرة، لقد ألفت باليأس في روحي».

أريو: «لا أملك القدرة أو الرغبة لإزالة هذا اليأس عنك، فأنا أيضاً يائس».

الآن توقف المطر، إلا أن السماء احتفظت بغيومها، لدى اقترابهما من المنزل وجدا سكارم مع غارينا يقفان خارجاً، وما أن رأياهما حتى تحركا صوبهما، بصمت.

أريو: «هل كل شيء على ما يرام؟»

سكارم: «أجل، نحن ذاهبان إلى المكان الذي عدتما منه للتو».

ليكمل سكارم سيره مع غارينا بهدوء وصمت، علم كل من أريو وإيلهاب المكانة التي احتلها وما زال يحتلها شاوران وجلنار لدى المخلوقات هنا، وخاصة المخلطين المتوحشين منهم.



في دجى من الليل سارا الاثنان، ومعهما لحت جنادب الليل أخلنها بعد  
أن انقشع عنهم خطر المطر، كانت هذه الأجواء تُنسي إحدى تلك الليالي  
الجميلة التي افترش فيها سكارم وغارينا سماء الليل بهمان فيها النجوم  
إلا أن هذه ليست مثل أي ليلة، إنها ليلة مظلمة، أسيئة، ومشوومة حتى  
إن نجوم السماء خجلت أن تتباهى بجهاها حين ضدت الأرض أصل  
مخلوقاتنا.

أمام الشجرة وقف كل من غارينا وسكارم، اندي تسلم للموعه  
أخيراً، تاركاً الشجن يجرفه، في تلك البقعة ونحت لوردق الشجر التي  
تلق بظلمها على الأرض، جلس المخلطان يحاولان إيجاد الكلمات لرداعها  
لمشاعرهما، إلا أن الندم والشوق كانا أكبر من أن يوصفا في كلمات، لم يتمكن  
سكارم من كبح فاته، وهذا ليس من شيمه، هو متمكن من فاته ومشاعره  
لطالما كان، إلا أن هذا الفقدان أكبر منه، تذكر الشاعر انني اتابته حين قد  
والدته، إلا أن هذا الأسى أعصف، أقوى، هو كاليف الخلق يخرق كبته،  
فلم يعلم كيف يُطفئه، وهذه الدموع كالزيت يزوج وصبه.

غارينا: «لو أي كنت حريصة، أكثر يقظة، لتكنت من تفادي هذه  
الحسوة القاذحة، لطالما تفاخرت بحقيقة أي من أحيي أتران، لكن ما  
كنت أحيه هو فخري الكاذب فقط، وسبب ضعفي لم أحم من قنما  
حياتها من أجلنا».

أحاطها سكارم بذراعيه قائلاً: «لو لم تكوني أهلاً لحياة وطننا لما  
ضُكَّ شاوران هذا المنصب، لما أرسل جلنار خلفك لإنقاذك، لقد علم  
تلاهما تأثير سمومك، لقد تمت مباغتتك، كما حدث للجميع، وبالرغم  
من كل شيء تمكنا من إنقاذ عدد من حلفائنا بمساعدة أزهارك».

غاريتا: «هذا لا يزيل الذنب أو يخففه، إنه ذنب يَسْحَقُ روحي، ولا  
أرغب بإيقافه أو إزالته».

«غاريتا، انظري هناك».

رفعت عينيها ناظرة حيث أشار سكارم، لتقع عيناها على تلك الشجرة  
وأوراقها المترقصة مع نسيم الليل البارد، ومن أوراقها تساقطت آخر  
قطرات المطر. وبالرغم من غياب القمر والنجوم إلا أنها تكاد تقسم أن  
ضوء القمر تسلك من بين أغصانها، في مشهد أبدي خلاب.

سكارم: «هناك يقبع أول مخلوقين أحبانا حقاً، بالرغم من أننا لم نكن  
من صلبها إلا أننا أحبانا كما ليين، ونحن رأينا فيهما الوالدين اللذين  
لم نحظ بهما يوماً، لذلك، أعتقد أن وجدان شاوران وجلنار اللذين  
أحبانا، سيعربان برويتك تتألمين هكذا؟ هما يعلمان يقيناً أنك لست المألومة  
في كل هذا، ومن أجلهما قبل أي شيء، لا تدعي الندم يتأكلك، لأنه طريق  
لا عودة منه، ولأجل من قلما حياتهما في سيلنا، دعينا نقاتل، لنحيا،



ولنحمي هذه الأرض، والمدينة التي أحباها. هل يُمكنك فعل هذا؟ من أجلهما، ومن أجل لبيين؟»

نظرت غارينا مطولاً نحوهما، ثم نهضت على قدمها صوبها، وضعت كفيها على جذع الشجرة الكبيرة، كما أسندت جبهتها عليها، وفي عيني سكارم بدا كما لو أن شاوران وجلنار يجتضنان غارينا بجذعهما الكبير المنحني للداخل.

«سأحل حبكما في روحي دائماً، شكراً لثقتكما بي، شكراً لمنح فؤادي كل الحب، لقد كنتما الكون لي، والآن سأحيا تخليداً لذكراكما، لأحكي قصصكما لكل المخلوقات، ليعلموا أن هذه الأرض حملت على ظهرها مخلوقين مثلكما ذات زمان».

انجه سكارم حيث غارينا، واضعاً يده على الأرض ومن حولها أزهرت أزهار الحواشي البيضاء في حقل أبيض باهر، بقي كما رقاقات ثلج، وفي موضعه وبرأس مُنحني قال:

«أنتما وجود لن يكرره الزمن، شاوران شكراً لكل ما علمتني إياه، لقد حفرت كل تعاليمك وتوجيهاتك في روحي، لطالما حملت عيناك الكبير من الفخر لي، وبهذا الفخر سأحيا، جلنار، لقد كنت الأم التي لم أحظ بها يوماً، لقد أحبيتك بقدر ما هبتك واحترمتك، لن أقول شكراً فهي لا تكاد تعبر عما يحمله وجداني من عرفان لكما، إلا أنني أقسم لكما هنا: لن

انجب ظنكما، سأظل دائماً فخرًا لكما، وسأقضي حياتي كلها أحاول رد  
جزء بسيط من جميلكما علي أنا».

ابتعد كلٌّ من غارينا وسكارم من حيث هما، مانحين وداعهما، امتنانهما،  
وكلمات الحب المتأخرة لمن رحلا آخذين معها أصوات العود العذب.

قُبيل شروق الشمس، وفيما تسلك قليل من ضيائها بين طيات الظلام،  
قدم كل من سيون ونامار وداعهما، في بادئ الأمر كان شاوران مجرد مخلوق  
آخر لـ سيون، يَنْ يعلمه كيفية القتال، جندي للتضحية في سبيل أوراء، ثم  
تفرد هذا الجندي بقوة ميزته عن باقي البين، لقد كان ذكيًا، مخلصًا، كما  
حزين، حين يذكر الماضي، يعلم سيون جيدًا أنه كان سبباً لتعاسة شاوران  
ولوقت طويل، بالرغم من أنه قدم له الاعتذار سابقاً، إلا أن هذا ليس  
كافياً ولن يكون كافياً يوماً، ثم هنالك جلنار التي تمسكت بالحياة وحباها  
كما لم يفعل أي مخلوق من قبل، تلك الأيام القليلة التي قضاه معها في  
بابل جعلته يدرك قوة البشر، وعندما نجت من الموت لتكون مع عشيرها  
أيقن أن المعجزات موجودة، ثم آمن بذلك أكثر عندما رآهما مع ليين،  
شاوران وجلنار تحديا كل الحدود التي رُسمت للمخلوقات، ليصنعا  
قدرهما بنفسهما، محدثين المعجزات.

بالرغم من أن نامار ليس مخلوقاً عاطفياً، عدا أنه لا يملك إلا أن يتذكر  
لقاءه مع جلنار وشاوران أول مرة، كيف فزعت عندما رآته يعبر من باب

حجرتها، كيف تحدته مانعة إياه من الحديث بالسوء عن بنتها حتى وهي لم تعلم من يكون بعد، تلك الفتاة لم تمتلك الخوف في روحها، وإن فعلت فقد كان خوفاً واحداً فقط وهو خسارة شاوران، لتقتل ذاتها من أجل حياته هو، وهو من استعاد شيئاً من وعيه بالرغم من اقترابه للفساد مطالباً بقتله حتى لا يؤذيها. لا يستطيع إنكار مفاجأته من رؤيتهما مع ابنتهما، وشيء من السرور أصابه، لربما لأنه أراد رؤية قدر سعيد وسط المآسي والحروب، بالنسبة له كانت تلك العائلة مثل رُقية لروحه حتى لا تهوي إلى ظلام اليأس، وفي عينيه كانوا صورة لما أمكن أن تكون عليه علاقته مع عائلته لو لم يقتلوا، لذلك لزم نامار زيارتهم في أثران من حين لآخر أثناء تعاونه مع باسيليا، ومن خلال تلك الزيارات العديدة تقرب أكثر من شاوران، هما من كانا في أول لقاء لهما عدوين يقاتلان بعضهما بعضاً، إلا أن الزمن جعل منهما حليفين، بالرغم من قلة حوارهما معاً إلا أنها أوجدا لغة خاصة للتداول بينهما، وكان ذلك عبر القتال، كلما فر نامار بعيداً عن مملكة الجان، وقد فعل ذلك كثيراً، فلم يطق الوجود هناك، ولعل شاوران علم بهذا ليسمح له بالزيارة وقتها رغب.

نامار: «أتعلم؟ في بادئ الأمر ظننت أنني آتية إلى هنا أقاتل شاوران، كشكل من أشكال تحميله صورتك، لقد فعلنا الأمور ذواتها التي فعلناها أنا وأنت كلما التقينا، إلا أنه مع الأيام بدأت بالقدوم هنا من أجل شاوران، وليس لأنه يملأ مكانك».

سيون: «أتعلم ما ندمي في كل هذا؟ أني أعلم عن جلنار التي لم أقضِ معها إلا بضعة أيام في بابل وهنا، أكثر مما أعلم عن شاوران الذي قضيت معه ألفتيا لا تحصى».

نامار: «لقد قاتل بجسارة حتى آخر رمق فيه، حتى جلنار فعلت».

سيون: «هل رأيتهما؟ آخر لحظاتها؟»

«أجل لقد فعلت، بالرغم من كونها لحظة مأسوية إلا أنها كانت جميلة».

«هل كانت لحظاتها مع من أحببنا جميلة أيضاً عندما رحلوا؟»

نامار: «مشهد بكاء شخص على فراق من أحب، جميل لسبب ما، لربما لأن تلك هي أصدق مشاعرنا، كلحظة صحوة، نعلم فيها يقيناً حجم مشاعرنا لمن فقدنا، ثقل وطأة الفراق، الحنين الذي يمزقنا سالباً منا رؤية ظل من أحببنا، شيئاً فشيئاً تبدأ ذكرى من رحل بالذبول في ذكرياتنا، مهما حاولنا جاهدين تذكر كيف بدوا لن نفعل، لتتسل ذكرياتهم من بين أصابعنا فلا نذكر كيف كانت ابتسامتهم الدافئة، الطريقة التي كانت أعينهم تعكس بها وجودنا، لمستهم لنا، وخطوات ركض أقدام طفلك قادماً إليك بسعادة، وحتى ذاك الجناحان العظيان يخبو لونها في عقولنا، فنبداً بالتمسك بالتفاصيل الصغيرة التي أحببناها كما لو كانت أثمن شيء في الوجود، لون أعينهم التي حملت النجوم، انعقاد قروهم العظيمة،

وتلك الندبة الصغيرة التي في كتفه من معركة ما، جل ما يبقى هو تلك الأمور التي لم نلاحظها من قبل، ونرجو عدم رحيلها عنا.

سيون: «وهل يزول الندم من عدم قدرتنا على حماية من أحبنا؟»  
«لا يزول، نحن نتعلم كيف نحيا معه فحسب».

«لقد فَقَدَ عقلك عندما خسرت زمارتا، كذلك شاوران مع جلنار، كلاهما فقد ذاته في نوبة سخط مدمرة، إلا أنني لم أفعل، وهذا ينبغي، أخشى أنني لم أحب هيلما بما يكفي لأفقد عقلي مثلكما».

نامار: «أنت أحمق! بالتأكيد لم تفقد عقلك لأن أريو كان بين أحضانك، لو أن إلهاب كان معي آنذاك لما فقدت عقلي أيضاً، كما الحال لـ شاوران لو كانت لييين معه. حين نفقد من نحب نفقد منطقنا ولا نرى سبباً للحياة، إلا أنك حملت سبيك في أحضانك فلم تفقد بصيرتك مثلي أنا وشاوران، لقد أحببت عشيرتك حتى أنك خاطرت بحياتك من أجل شظية فؤاد تربطك بها، إن لم يكن هذا جنوناً فلا أعلم ما هو».

سيون: «لا أعلم متى انقلبت الأدوار لتكون أنت الحكيم يتتا».

«هذا ما يحدث لمن يصاحبك أنت وشاوران لوقت طويل».

أخرج نامار من بين دخاته قطعة قماشية، ثم أزال طياتها مخرجاً منها سلاح شاوران.

سيون: «ما هذا؟»

«إنه سلاح شاوران، وجدته ملقًى على أرض أثران سابقاً». «لم أعلم أنه يحمل سلاحاً».

«إنه سلاح قدمته له، لقد طلبت أن يتم صنعه له أثناء وجودي في بابل، لقد حمل جميع الجان أسلحة صخرية، كما فعل الهجناء، وعلمت يقيناً أن الهجناء من البين كما المخلدين يحملون أسلحتهم الخاصة، فرغبت أن يحمي قائد أثران نفسه بسلاح، فالأزمان تتغير، والقتال بالطريقة ذاتها التي كنا نفعلها قبل آلاف السنوات لم يعد كافياً».

سيون: «لا بد أنه أحب هذا السلاح ليحمله معه».

«لقد أحبه بالفعل، فلقد تدرب على استخدامه علي، لقد تأذيت كثيراً من حله الذي طلاه بالفضة لقد كان يردد: «أريد التيقن من فاعليته، ومن أفضل من أسطورة الجان لكي أختبر سلاحي عليه؟».

اتجه نامار حيث يرقد شاوران وعشيرته، واضعاً سلاحه أرضاً ثم ابتعد دون تردد كلمات الوداع أو الشكر، فهو يعلم أنه ليس بحاجة لها. أما سيون فقد فعل الأمر ذاته كسكارم حيث أزهر الأرض ببعض النيلوفر الزرقاء قائلاً آخر كلماته قبل الرحيل:

«لقد كان تدريك فخراً لي شاوران، لقد تفوقت علي بكل السبل،

حتى باتت مجاراتك مستحيلة، ساحل ذكرك شرفاً حتى آخر يوم لي.  
جلنار، شكراً لمنحك حياة شاوران معنى، بالرغم من قصر حياتكما معاً،  
إلا أنها حملت فيها قوة لم أهدهما يوماً، لقد أنجزتما معاً ما عجزت عنه  
جميع المخلوقات مجتمعين، أنتم قوة لا يُسْهَرُ بها، والآن ارفدا بسلام  
أمين، سأعتني بابتكما كما لو كانت مني.

بينما تسَلَّتْ خيوط الشمس ممزقة الظلام، ابتعد سيون ونامار، بالرغم  
من أن المخلوقات لم تخط بوقت كاف لرتاء خسائرهم، إلا أن الوقت ليس  
حليفهم، على القاندين الآن تحديد خطوتهم التالية وسرعة.  
نامار: «لا أرغب في أن تكون قوى الخلفاء مبعثرة هكذا».

سيون: «أنتفق معك، فحيث نحن وباسيليا تفصلنا مسافة كبيرة للغاية،  
وهم يقومون أقرب لأرض أور».

«سيحتّم عليّ العودة إلى هناك ومخاطبة بلرموث بالقدوم إلى هنا، كما  
أن إطالة الغياب عن المملكة ليست في مصلحتنا الآن».

«هل تخشى أن يلجأ بعض الجان للتحالف مع أور؟»

نامار: «أجل، في الوضع الراهن أنا لا أرى طريقة لنجاحنا في هذه  
الحرب».

«أنا أرى طريقة وحيلة، هجوم واحد كاسح على جزيرتها».

«ما زال ينقصنا طيف الماء»

سيون: «سينا لن نتحدث معها فعلنا، هل يمكن للطيف داخلك أن يعلم إن كان الطيف معها؟»

«سبق وأن نحريت، لأن لبيّن تحمل طيف الريح داخلها فيمكنني أن أتبا كونها مختلفة عبر اللون الذي تصدره من جسدها، هي تصدر لوناً يشبه لون الشمس، وأنا أبعث بلون أحمر قاتم، فأني من يحمل طيف الماء سيصدر لوناً مختلفاً عن المخلوقات، وسينا لا تحمل معها أي لون، طيف الماء ليس بحوزتها».

«هذا مدهش! حسناً ألا يمكنك رؤيته في أي مكان؟»

نامار: «أنت لا تتعامل مع هاوي، بالتأكيد بحثت في كل مكان، ولا أثر له، إنه طيف الماء لذلك لا بد أنه في الماء، ولا أستطيع رؤية الماء أو ما يحيط فيه، كل ما أراه هو القاع المظلم».

سيون: «إذا تحدث مع طيفك، اسأله إن كانت هنالك طريقة للانتهاه

من أورا؟»

«هو لا يجيب، مثل طيف لبيّن، عدا أن أمراً واحداً أنا موقن منه، هذه الأطياف قوية بما يفوق الوصف أو التصور، لقد شعرت بنشوة قوة تسري في كامل جسدي كما أنه تقيل جداً كما لو أنني أحمل الكون كله داخلي، لم

أعلم أن ليين تشعر بهذا دائماً».

سيون: «لعلها لا تعلم أن ما تشعر به أمر غير طبيعي، فلقد ولدت بهذه القدرة».

«أمر واحد جيد وسط هذا البلاء، وهو أننا نعلم أن الأطياف لا تقع في الأيدي الخاطئة، فهم يصطفون حاملهم ممن يرون أنهم أكفاء لحملهم وتأدية أمانتهم، لقد اختار زائيل كاختيار مؤقت حتى آتي أنا، أخبرني أن لا أحد أحقُّ مني به، لقد أسمانا وريثة الغبراء».

«هل تعتقد أن هنالك من هو أحق من ليين بالطيف؟»

نامار: «لا أعلم، إلا أن شيئاً مني يرجو ذلك، فإن كانت نهاية حاملي الطيف هي الموت، فلا أرجوها ميتة».

سيون: «ولا أحد يرجوك ميتاً، على أي حال دعنا لا نخبرها عن موت زائيل الآن، لقد فقدت والديها فلا رغبة لي بيت اليأس والخوف في فؤادها الجريح أكثر، لنُدع لها أملاً صغيراً بالحياة، ومهما حدث لن أدع الموت يطلها».

عندما وصلا للمنزّل أيقظ نامار إيلهاب النائم مخبراً إياه عن وجهته نحو باسيلييا، ليطالب الآخر بالرحيل معه، بالرغم من رفضه إلا أن إيلهاب ما كان ليُقبل الرفض، فانطلقا نحو مملكة الجان بهدف توحيد أرض للحلفاء معاً.



## بارموث

استيقظ بارموث على عالم مختلف عن الذي عهدته، كون لا يوجد فيه والده الملك العظيم، ترك مملكة الجان خاوية على عروشها ورحل، خلفاً وراءه فراغاً عظيماً في وجدان بارموث، كما مسؤولية لم يعلم إن كان أملاً لأدائها كما والده فلقد كان شعلة الحياة التي لا تتأرجح مع الريح، وما بارموث إلا شرارة متطايرة تخبو مع أقل نسمة تحملها، كيف يمكن للشرارة أن تتحول لشعلة؟ كيف يمكنه أن يملأ المكان الذي خلفه والده؟ هو لا يستطيع، لا يجزؤ حتى.

لقد مر يوم منذ فتح عينيه، وبالرغم من معرفته مدى الضرر الذي أحاط بمملكته وشعبه، عدا أنه لم يحرك ساكناً، لم يحاول إعادة ضبط صفوف مقاتليه، أو يطمئنهم، هو لم يظهر وجهه كملك لهم، استسلم لليأس، بالرغم من أن بالاي الذي خسر ابنه يحثه أن يأخذ مكانه على العرش إلا أن مناجاته لم تجد لها أذناً تسمع، ف بارموث مغلق على ذاته في جحر مظلم بلا صوت أو ضوء، أراد الاستسلام حيث هو للموت.

وصل نامار لـ باسيلييا ليجدهم ما زالوا يتخبطون من إثر المعركة، محطمين، متبعثرين، لم يجمعوا شتات أنفسهم، بالتأكيد أن الخيانة التي تعرضوا لها عظيمة، كما أنهم خسروا رفقاءهم، إلا أن ما حدث هنا هو

ذاته ما أصاب أثران التي نهضت من صدمتها وأصلحت ذاتها خلال يوم واحد فقط، وذلك لوجود قائد لهم، وهذه المملكة لديها ملكها، فأين هو عن مملكته؟

حين رأت الجان نامار أقبل بعضهم إليه يرجونه قائداً ومتخذاً لهم، في حين أن بعضهم تحفز من وجود إيلهاب، بالرغم من رؤيته يقاتل في صفهم مع نامار، سوى أن من خائنهم كان مخلوقاً لم يعتقدوا يوماً أن يفعل، لقد أقسموا جميعاً على أنه أوفى الأوفياء ذات يوم، والآن هم غير قادرين على وضع ثقتهم بأحد، وخاصة من خائنهم مسبقاً ثم خان من أقسم على ولائه لها. علم إيلهاب من نظراتهم ما يفكرون به، وبالرغم من أنه ليس مديناً لأحد بتفسير، عدا أنه يعلم جيداً الوضع اليائس الذي هم فيه، فلا يمكن لهم أن يخسروا حلفاءهم من الجان الآن، فلقد تكبد الطرفان الكبير من الخسائر، ولا بد أن تجتمع المخلوقات لأجل المعركة القادمة.

تحدث نامار مع بالاي الذي أقبل إليه بعد أن رأى دخانه، قائلاً: «أين ملككم؟»

«في عزلة يائسة».

«لماذا؟»

بالاي: «لقد فقد والده».

«ألم تفقد أنت ابنتك؟ ألم تُحَنِّك عشيرتك؟ فما الذي يجعل خسارته مميزة  
عن غيره؟»

لم يجب بالاي، إلا أن أحد الجان نهض قائلاً: «هو لا يستحق أن يكون  
ملكاً علينا، بل أنت نامار».

«هذا صحيح، لعل الأمير كان يختبئ في جحر ما خائفاً من المعركة،  
بينما تم قتل والده كما الجان الآخرين، لكن أنت من أنقذنا من الموت».  
«أنت أحق من بارموث بالملك، فلتكن ملكاً علينا، وستبعك».

«نحن نثق بك، سبق أن أحرقت أوراء، وما دمت أنت من يقود الحرب  
كما المملكة، ستبعك، سنقسم على ولائنا لك».

تعالَت الأصوات موافقة هذا، جميعهم أيدوا نامار كما دعموه للقيادة،  
إلا أن نامار لبث صامتاً، في حين أن إلهاب الذي يقف خلفه ظل يراقب  
ما يحدث وهو على يقين تام بما ستكون إجابة سلفه، الذي في لحظات  
ضخم دخانه، فرد أجنحته، درع جسده، ثم نشر دخانه في الأرجاء قائلاً  
بصوت صارخ صارم:

«فليتقدم صوبي من لا يرغب بـ بارموث ملكاً، لأخلصه من حياته  
البائسة، لقد أقسمت قسماً لملك الجان زابنيل، على الحفاظ على مملكته  
وارثه الذي صنعه، وهذا الإرث حق لـ بارموث وليس لي، هو ملككم لا



أنا، فإن كنتم لا ترغبون به ملكاً، إن رغبتُم حنث القسم الذي أقسمتموه للملك السابق فالموت هو مصيركم، لست أمانع قتل الجان، لقد فعلت مسبقاً وسأفعل مجدداً، جميعكم دون استثناء تعلمون سبب فتكي بذوي فصيلتي سابقاً، لأنهم كانوا يدنسون فخر الجان فينا، فأبي منكم يجرؤ على تدنيس هذا الفخر الآن؟ لست أبتغي ملكاً، ولست أهلاً له، إن كنتم تعتقدون أن ملككم لا يستحق الملك، فسأجعل منه ملكاً جديراً بملكه.

صمت الجان جميعاً مرتعدين من نامار الذي هيا ذاته لقتلهم، كمن يتحداهم لذلك، ولا أحد منهم جريء بها فيه الكفاية ليقف ندّاً له، فتمسكوا بحياتهم عبر الصمت. حتى بعد ذلك لم يفض نامار عن هت القتالية، بل نظر له بالاي قائلاً:

«قدني حيث الملك».

امثل الآخر دون نقاش، فيما انطلق نامار للقصر ظل إيلهاب حيث هو، بالرغم من معرفته أن ما يقوم به قد يثير المشكلات إلا أنه لا يبالي بما يُقال عنه، كما أنه يريد إثبات ذاته كفرد من الجان وليس مجرد نسل نامار الذي يلتصق به ذعراً. وقد تحقق ما كان يتظر، فيما هو يقف في مكانه اقترب منه أحد الجان وقام بدفعه، بل هو حاول أن يفعل عدا أن إيلهاب اعتاد هذا النوع من الأمور بفضل سكارم الذي أحب المزاح معهم بهذه الطريقة، إلا أن هذا الجان لم يرغب للمزاح بل إيذاءه أو معاركته بشكل

ما، وعندما استشعر تحركه نحوه تفادى دفعته ليترنح الجان، حينها قام إيلهاب بسرعة خطفت الأبصار بعقد قدم مهاجمه بحبل ورقي، ورفع رأساً على عقب من قدمه، ليستشيط الجان غيظاً، مشعلأً لهيباً كي يحرق جبال إيلهاب، وعندما قذفه نحو الجبال أزهرت زهرة أرجون كبيرة، مشتعلة مبتلعة اللهب، ليشهق الحضور، وهذا أمر مفهوم، فلم يسبق لهجين استخدام قدرته بهذه الطريقة، وكل هذا بفضل تدريبات وتوجيهات من حوله، البعثة التي أحاطته وطورته بطريقة لم يفعلها أحد من المخلوقات، لعل كل المخلوقات قادرة على التطور بهذه الطريقة لو أنهم تعاونوا معاً.

الثف الجان حول إيلهاب، كمن يحذرونه من الإساءة لصديقهم المعقود من قدميه، وحيث إن القتال ليس من نواياه أو رغباته، أفلت إيلهاب خصمه قائلاً:

«لست هنا للقتال، فلا تلمني إن دافعت عن نفسي من هجومك».

وقف الجان على قدميه، أو الأربع منها بالأحرى ينظر شزراً نحو إيلهاب قائلاً: «ما الذي يفعله خائن مثلك هنا؟ لربما أنت من أحضر الأعداء إلينا».

«لن أنكر خيانتني سابقاً، ولن أعتذر عنها، فلقد دفعت ثمنها غالباً، وأنا هنا لأنني أعلم جيداً ما ينتظرنا ما لم نوحده صفوفنا، لقد رأيت شر

أعدائنا بأم عيني، لهذا أتيت إليكم، أقف بينكم طواعية، بين من أعلم أنهم يكرهون وجودي ويرغبون بي ميتاً، لست أبحث عن غفرانكم أو عرفان منكم، ولست أهتم به، فهدفي واحد، إيقاف شر أوراء، فما دامت هنا لا أحد سيسلم منها».

«عرفان؟ لماذا قد نحمل أي عرفان لك؟ هل يجب أن نشكر لأنك لا تقااتل في صف أعدائنا؟ أم يجب أن نبتهل لأن هجيناً مثلك يشرنا بحضوره؟ لا تتفاخر أيها الهجين، وتذكر مكانك».

لم يسمع إيلهاب هذا النوع من الحديث منذ بعض الوقت، منذ أن انتهى إلى أثران، كان هذا الازدراء رقيقاً له طيلة حياته، ولو أنه المخلوق ذاته الذي كان عليه سابقاً لا متلاً قلبه حقداً، عدا أنه يعلم الآن من يكون وأين يتمي ليصرح بيقين منقطع النظر:

«أنا إيلهاب من آل عنقال، سليل نامار، ابن دارسون، ولابالا، أنا مقاتل يقااتل باسم المخلوقات، هذا جوهرتي، هذه قضيتي، وهذه الأرض هي حيث أنتمي إنها وطني، لستُ أقل من أي مخلوق، لستُ أفضل، لدي رغبة واحدة وواحدة فقط، أن أحيا حراً في وطني الذي أنتمي إليه، أنتم لستم أفضل من البين ولا هم أفضل منكم، هذه الأرض ليست لأي منكم، للجميع حق العيش عليها، فلا تدعوني بالفجين، فلنا إيلهاب، احضروا هذا في أذهانتكم، أنا قرية همس الموت نامار».

شق نامار طريقه بين دمار القلعة، وعندما انتهى بهما الطريق تحدث بالاي قائلاً: «الملك هنا، إلا أنه لا يجيب».

«لست أنتظر إجابة منه».

حرك نامار دخانه وبقوة عظيمة ضرب الباب محطماً إياه لشظايا صغيرة، ليعبر إلى الحجرة المظلمة، مطلقاً شعلات نارية سوداء حلقت في الحجرة محيلة الظلام لنور، وفي زاوية ظلماء جلس بارموث، مطأطأ رأسه، لم يرفعه حتى عندما تحطم الباب، وظل حيث هو على الوضعية الذليلة ذاتها.

نامار: «انهض»

لم يجب بارموث أو يتحرك.

«أترغب أن تظل هكذا ذليلاً؟ انهض الآن».

بصوت محطم، أجش، بانس أجاب بارموث: «اغرب عن وجهي، لست أرغب رؤيتك».

«أتظنتي سعيداً بوجودي هنا؟ أنا أيضاً لا أرغب رؤيتك».

«ارحل إذاً، أنا أحررك من العهد الذي بيننا، لست أرغب بك في صفي ولست أرغب قوتك، نسلك حر أيضاً».

استشاط نامار غيظاً منطلقاً نحو بارموث مُتثلاً إياه من الأرض من

حنجرته، هاتفاً بحزم:

«أفق يا هذا! انظر إلى من تتحدث! أتجرؤ على إلقاء هذه الكلمات علي؟  
تحررني ونسلي! متى كُنت أنا أو ذريتي تحت رحمتكم؟ أنا همس الموت  
نامار! أعتقد أنني غير قادر على حماية نسلي بنفسه؟ لم أكن بحاجة لأن  
أعقد هذا العهد معك، إلا أنني فعلت إكراماً لوالدك، وعليك أن تفعل  
أنت أيضاً، توقف عن الشفقة على ذاتك وخذ مكانك ملكاً».

بارموث: «والدي قد قُتل، لذلك أي إجلال تحمله له لا يجدي هنا،  
فالأموات لا يسمعون أو يشعرون».

نامار: «إلا أنهم يتركون وريثه خلفهم يحملون شعلة حياتهم، أحلامهم،  
يكملون الطريق عنهم، والدك سَمَّاك ملكاً قبل أن يفارق الحياة».

«كيف لي أن أكمل عهده؟ كيف لي أن أنوب عنه؟ أن أكون في مكانه  
ذاته؟ وأنا لم أقوَ على حمايته حتى؟ كيف لي أن أقف بفخر في أنقاض مجده،  
أنا لا أستحق هذا؟ أعتقد أنني جدير بهذا الحكم؟ بحمل شعلة حياته؟  
بأن أكمل أسطوره من بعده؟ أنا لا أستحق أن أكون فصلاً في قصته  
حتى، فلا تطلب مني المستحيل، لقد فقدت وجوداً لا يعوض في حياتي،  
فَقَدَتِ الجان مقاتلاً وملكاً عظيماً».

نامار: «أعتقد أنك وحدك من فقد العزيز؟ في أثران هنالك فتاة  
فقدت كلا والديها في الغارة التي حدثت، هي لم تملك في الكون غيرهما،

إلا أني أعلم يقيناً أنها سوف تنهض لتقاتل، لتكمل مسيرتهما. إن كنت تعتقد أنك غير جدير، فاعمل لتكون جديراً بإرثه، لا تقف بفخر في انقراض مجده، بل اصنع مجدك أنت، اصنع فخراً لك، أنت لا تكمل أسطوره أو قصته، أنت تحكي قصصك أنت، إن ظننت أنه مقاتل عظيم فهذا لأنه لم ييأس يوماً، هو أيضاً تمت إبادة كل عشيرته، لقد بنى المملكة من العدم، وحد صفوف الجان حين لم يتمكن أحدٌ من فعل هذا، أتعلم لماذا؟ لأنه لم يرث ذاته، لم يقلل منها، صقل ذاته ليكون ما يريده تماماً، ولتفعل أنت، أنت لست جديراً، إلا أني سأحرص على جعلك كذلك بارموث، سأجعلك جديراً بعرشك، باسمك، وهذه الملكة، هل تسمعي يا ملك الجان؟

الآن فقه بارموث ما عناه والده بقوله: «ثق بمن ينقث السم في وجهك».

وعندما أخبره أن الثقة بوحش مسعور لا يخفي مخالبه هو الخيار الحكيم، أجل الآن علم بارموث جيداً ما عناه الملك، لقد قدم ثقته بـ زاديق الذي لم يكن يوماً مخلصاً لهم بالرغم من إتقانه الولاء، وهنا نامار يتحدث دون تكلف، يقول كل ما في جعبته، هذا ما يجب أن يكون عليه الإخلاص، ليس مخلوقاً يخفض رأسه ليضرب عندما تلتفت بعيداً، بل مخلوق مثل نامار، من لا تخشى منحه ظهره كاملاً لأنه ضرب كل

ضرباته على مرأى منك من غير خوف، أجل سيتقيد بارموث بوصية والده، سيستخدم نامار، ليثق به، ليصل لمجد خاص به عبره.

بارموث: «إذاً نامار، سأصبح الملك الذي تستحقه المملكة، وسأفعل ما تمليه علي، لتجعلني جديراً، لذلك سأستخدمك، كما سأستخدم خلفك، بكما ومعكما سأصنع مجداً يضاهي مجد والدي، لا سأصنع مجداً لا يضاهيه مجد بعده، لتكون ناري، لهبي، اجعل مني ملكاً يستحق وجود نامار من آل عتقال معه، هل هذا يكفيك؟»

نظر نامار في عيني بارموث، ليجد أن شعلة الغيظ تنوق لهياً في عينيه كما روحه، هذا ما رغب به، فتخلّى عن قبضته الدخانية قائلاً:

«سأعمل معك إكراماً لـ زائيل، وذلك حتى أرى فيك ملكاً عظيماً، إلا أنك لن تحمل حياة نسلي بين يديك».

بارموث: «لقد قلت إنك قادر على حماية نسلك وتحريره دون الحاجة للعهد بيتنا، وبهذا أنا أثق، لذلك نامار ولأني أبتغي قوتك خالصة لي، سأحرر نسلك، سواء أكنت معي أم لا، فحياة إيلهاب ملك له، ولن أمنح حياته رهينة لنسلي، على هذا أنا ملك الجان بارموث أقسم».

اقترب بالاي إلى داخل الحجرة بعد أن وقف مراقباً لوقت طويل حيث قال: «ما أوامرك مليكي؟»

غير بارموث هيئته مشعلاً النار البيضاء في كل جسده، مطلقاً قروناً  
طويلة من رأسه، ومن كتفيه انسل رداء أبيض ناري، ثم أطلق سيلاً  
من لهيب أبيض، أعاد به بناء القصر المحطم، ليعود لسابق عهده، خرج  
بارموث من الحجرة متجهاً نحو قاعة العرش، من خلفه نامار وبالاى،  
إلا أن نامار توقف عن الحراك فجأة، نظر إليه بارموث قائلاً: «ما الأمر؟»  
وفي عيني بارموث بدا كما لو أن نامار مضطرب، ولثانية واحدة تلاشى  
الدخان من حوله، مظهراً هيئته السوداء أسفل الدخان، عدا أن هذا الأمر  
كان أسرع من أن يتبينه الملك.

ما لم يعرفه أحد ولا حتى إيلهاب الذي غفل عن واقع أن نامار يسمع  
كل شيء، فوصل لمسامعه اعتراف نسله به: «أنا إيلهاب من آل عنقال،  
سليل نامار، ابن دارسون، ولايالا، أنا ذرية همس الموت نامار».

في تلك اللحظة شعر نامار كما لو أن جسده لا يتسع لروحه، كما لو أن  
نبضات قلبه تريد التحليق، حتى عندما علم مشاعر إيلهاب نحوه، إلا أن  
سماع اعترافه، وفخره بكونه سليل نامار منحه سعادة افتقدها منذ أمد،  
حتى لم يذكر شعوره بها يوماً، عدا أنه السرور ذاته الذي شعر به يوم حظي  
بدارسون، إنها ذاتها النشوة، والبهجة، اليوم وفي هذه اللحظة الساحرة  
تذكر نامار بهاء الحياة، فلم يعد ذلك الوصب الذي اجتاحت حياته مؤلماً، لم  
يعد مهملاً، بل لعله أساسى، فعندما تذوق كل أنواع العذاب، استطاع أن

يشعر بهذا النعيم الذي جرف روحه لكان لم يكن فيه منذ ألفيات طويلة.  
وكم استعاد ذاته التي كان عليها قبل أن يسيطر الدخان على وجوده، لو  
لم يكن في حضرة الملك الآن فلربما خرف الدموع.

خطا بارموث إلى حجرة العرش، قائلاً: «ما خطواتنا التالية نامار؟»

استعاد نامار وعيه من سكرة البهجة التي كان فيها متذكراً هدفهم  
ليجيب: «أقترح أن نتقل إلى أثران».

بالاي: «حيث الحلفاء؟ لماذا؟»

نامار: «لتوحيد صفوفنا، كلا الطرفين تضرر من الهجوم الذي وقع  
علينا، صفوف أورافا تضخم، كما أن لدينا أعداء من الجان ممن يرمون  
بإنهاء الحكم، من الأفضل أن تكون قوات الجيش الآن متمركزة في أرض  
واحدة، فهذا سيجعل خطر الأعداء أقل، كما سمكنا من إعادة ترتيب  
صفوفنا حتى المعركة».

بارموث: «متى هذه المعركة؟»

نامار: «هذا ما نعمل على تحديده، على القادة الاجتماع ووضع خطة  
هجوم».

بالاي: «أنت تعلم أن الجان يصبحون أقوى عند البراكين، لذلك ترك  
هذه الأرض ليس مناسباً».

معلم: «بالقرب من أتران عدة براكين كبيرة كما صغيرة، فأنت تعلم  
أنه لا يمكنني إحضار المخلوقات هنا، البركان هنا في غليان دائم، لا نعلم  
نفس سيحدث ثوران هائل، وهذا أمر لا يمكننا المخاطرة به، أما هنالك  
البراكين لا تتور كثيراً، كما أن مساحة الأرض كبيرة فيمكن للمخلوقات  
الابتعاد في حال حدوث ثوران ضخم».

بارموث: «رحيلنا من هنا سيبدو كما لو أننا نخلينا عن المملكة، إلا  
أن أعلم يقيناً ضرورة توحيد صفوفنا، والاتحاق بحلفائنا، في النهاية  
المملكة إلا أرض نعلمها، ويمكننا إعادة إعمار المملكة في حال فقداننا  
هذه».

بالاي: «هل استدعي الجان؟»

بارموث: «لا حاجة لذلك».

أكثر أمر أجه بارموث في والده كما أنه مصدر فخر له، هو استدعاؤه  
سعد صوت جهور يمز أركان المملكة، ولطالما رغب أن يفعل المثل،  
نحل صوته وعظيم فخره بوالده هتف: «أيها الجان أقبِلوا حيث ملككم».

بنزغهم من احتشاد الجان أمام القصر المرمم، عدا أن الاضطراب كما  
لترمز هما المسيطران، أقبِل بارموث إلى الساحة بيته الجديدة، ليتلاشى  
نمجه من شكهم، ثم تحدث:

«أنا بارموث من آل أكين، ورثت المملكة كما ملككم، ولأن الملك الحق يعلم أخطائه ويعترف بها، سأعبر عن ندمي لتقترى به زاديق، هذه الثقة ذاتها هي ما دمرت مملكتنا، كما أهتذر عن عدم وجودي عندما احتتم لقائد وملك، تفهقرت في ظلام متناسياً أنكم أيضاً خسرتم أحياءكم، كما تجاهلت الخطر الذي وقع على حلفائنا في أثران، إلا أني هنا الآن، لن أهرب مجدداً، ولن أترزع يوماً، لذلك أقسموا لي ولن أخذلكم».

تقدم أول جان من بين الصفوف هاتفاً: «أقسم لك، وبك ملكاً للجان، بارموث من آل أكين».

تقدمت مجموعة أخرى هفت بالأمر ذاته، ثم بصوت واحد من الجزيرة قال جميع الجان: «نقسم لك، وبك، ملكاً للجان بارموث من آل أكين». ومعها أطلق جميع الجان لهيم للسما لتويع بحبل أثوان الجان.

شعر بارموث بفخر عظيم ببلاته، بالجان، كما بحجم المسؤولية التي يحملها الآن، لا بد أن هذا هو ما شعر به والده طيلة حياته.

بارموث: «أرهدكم أن منحوني تقنكم الآن، وتغفلوا أوامري حتى متجهون لأثران حيث حلفاؤنا»

تبادل الجان النظرات في ما بينهم في شك من قراره، إلا أن بالاي قلده لهم شارحاً الهدف من هذا الأمر، ليجد الجان المنطق في ما قيل.

تقترب نامار من حيث إيلهاب الذي وقف في آخر الحشد قائلاً: «إذا،  
لُت إيلهاب من أكل عنقالي، سليل نامار».

مخرجاً أشاح إيلهاب بنظره بعيداً، عدا أنه تمكن من التمنعة ببعض  
الكلمات: «حسناً أنت استحققت هذا الاعتراف، كما أني سررت الحقيقة  
بحسب».

نامار: «هذه شهادة شرف أعتريها».

## ليبين

في عالم خال من نبضات قلبها، وضحكات من أحبت، استيقظت ليبن، الحجره مظلمة بالرغم من شعله اللهب المضامة بالقرب منها، وأنفاس شخص قريب، عندما نظرت وحدته أريو بنام هل مفعد بالقرب منها، لا بد أن مراقبتها أنهكتها، بالرغم من حبالها، إلا أن فؤادها خاوٍ من أي مشاعر، لا تعلم إن كانت ستشعر يوماً، بل هي لا تعلم إن كان كل ما مرت به حقيقياً، أحقاً رحل والدها؟ أراقبت فيها انساب الحياة من حده والدها؟ كل هذا مجرد كابوس ليس له أصل من الواقع، لا بد له أن يكون كذلك، ولكن لماذا تنساب دموعها من كابوس؟ لماذا وجدناها بلا حياة؟ هذا الواقع خفيف، موحش، بالرغم من أنها تعلم الإجابة لكل محاورها وتساؤلاتها، حتى وهي تعلم أن ما تنوي القيام به الآن سيحطم روحها أكثر، عدا أنه أمر لا بد لها من القيام به، لعله جزاؤها على غرورها، جرأتها كما عنادها، لربما هي تستحق هذا العدم.

بهدهء نهضت من فراشها، متسللة عبر النافذة، هي تعلم أن هناك أحداً ما خارج حجرتها، ولم ترغب لقاء أحد الآن، فالنافذة هي الحل الأمثل. في دُجى من الليل، وبينما سطعت النجوم في آخر لحظاتها قبل أن تغلبها

حيوط الشمس ارتحلت، بقدمين حافيتين، ابتلتا بطين الأرض الذي تشبع  
 مطراً من السماء، ومع خطواتها أفلقت البراهات المضبنة لتحلق مضبنة  
 الأرجاء لتمتزج نجوم السماء مع الأرض. لم تركض ليين، بل سارت  
 هلهول كالسباحة في الفضاء، كما لو أن الأرض قد تسزق من تحتها،  
 هي ببساطة منفصلة عن الواقع، فلا وجود للزمان أو المكان في فعلها،  
 كل ما وجد هو صورة تلك الشجرة التي رغبته رؤيتها، لعلها تبعدها  
 للواقع وتشعل شرارة سخطها. تفرق الضباب الذي افترش الأرض كلما  
 خبطت كمن يتعد من حطر محتوم، الآن وهي تقف أمام الشجرة تبعثت  
 أحلام ليين لتعكسها فطرات الندى المتساقطة كدموع لم تجد مكانها في  
 حينها اللتين أهلتا واقعهما الخضم، افترشت خطوات كالمسح حتى جلدع  
 الشجر، ماحة عن أبي أثر تشهد حياة والديها، أو يعكس هباتها ولو  
 مورقة واحدة، إلا أنه لا أثر لما لمسته، كما لو أنها لم يوحدا يوماً، ثلاثياً،  
 اتحما مع الأرض كقطعة واحده، عادت الدموع لتحد طرفها في حين  
 ليين من دون صوت نكت، بلا صراحت تأوهت، هاوية على ركبتيها،  
 بأسف فراعها محتمة ما يمكنها من الشجر، عدا أنها أعظم من ليين  
 بكثير، لقد افترشت الشجرة الأرض بحجم عظيم، كإعلان عن عظيم  
 جها، ولو بشيء بسيط، فهي تعلم لو أن عظيم جها تشكل حقاً،

لا فترش الأرض من كل أقطارها، ~~وتمدد~~ حتى أطفأ الشمس، احتل القمر، لتعظم حتى بات الكون كله، وما هذه الشجرة الآن إلا تمثيل لأول نبضات نبضها وجدانها معا ولا شيء أكثر.

من بين أغصان الشجرة تبعثرت أشعة القمر، ضاربة الأزهار التي افترشت الأرض، ومع هبوب الرياح وصل صوت العود إلى مسامع ليين، هي تعلم يقيناً أنه ليس حقيقياً، إنها بعض ما حمله طيف الريح معه من أجلاها، كمن يخفف ألمها، كم اشتاقت لصوت أوتار العود؟ لصوت اليقظ من خلخال والدتها، لماذا كان عليها أن ترحل؟ ماذا أرادت أن تثبت؟ أنه يمكنها حاية من حولها؟ أن بوسعها المساهمة في إنقاذ المخلوقات؟ كيف أمكنها أن تكون متعجرفة هكذا؟ من هي بين كل المخلوقات حتى تحميهم؟ لقد أقام والدها هذه المدينة، الحرب، الجنود، كما العالم كله من أجلاها هي، وهي فقط، أما ليين فقد رحلت بعيداً، رغبة منها ملء كبرياتها الأجوف، لتصبح شيئاً بعيداً عن والدها، وقد تحققت رغبتها في مغامرتها المرحية، لِيُقْتَلَ والدها، رحلا ليفرض عليها الواقع تلاشيها من حياتها، من سيحتضنها الآن عندما ترغب بقليل من الدلال؟ لن تجد صدر والدتها الحنون يملأ روحها دفناً، لن تجد ريحها العطر مع هبوب الرياح، وحتى أطراف أناملها التي ربت على خصلات شعرها عندما

اتخذت حجرها سكناً لها، والدتها لم تعد موجودة. أما والدها، أمانها،  
حنانها، المخلوق الذي أحبت التعلق بذراعه دائماً، فتلك الذراع التي  
احتوتها دون خوف، تلاشت فيها احتضنت من أحبت، وأنامله الغليظة  
التي بالرغم من اعتيادها القتال، عدا أنها ضربت أوتار العود بخفة ورقة  
متناهيتين، هذه الألحان تلاشت الآن بلا أمل للعودة، أين ستولّي وجهها  
الآن؟ هل من أمل للحياة؟ هل من سبب لها؟

في هذا اليأس أدارت ليبين ظهرها للشجرة متكئة عليها، وفي ظلام  
عينها المغلقتين شعرت كما لو أن أشعة الشمس بدأت بالظهور، لتفتح  
عينها متفاجئة مما أبصرت، حول الشجرة وعلى مد البصر افترشت  
الأرض أزهاراً بكل الألوان والأشكال، لقد ملأ طيب عيبرها الأرجاء،  
زهرة الحواشي البيضاء، الهدرانج الزهري، النيلوفر الأزرق، الديفيلايا،  
الأرجون الأصفر، الخربوق الأبيض، أوكالبتوس، السوسن، زهرة  
اللبن، التودالة، الحندقوق الأبيض، وغيرها الكثير وما غاب منها هي  
الأزهار الشديدة السمية، والطحالب المائية، عدا عن ذلك فكل مخلوق  
في أثران قدم احترامه، تقديره، كما رثائه لمن وقفاً هنا، إنه تأيّن بلبق  
بولديما، علمت أنها ليست وحدها من فقد والدها، بل المخلوقات  
نعلت، هي تعلم مكانتهما لدى قاطني أثران، كما الأثر الذي تركاه في

أفئدة من حولها، لعل ذكراهما ستظل متمركزة في أذهان من حولهم لوقت طويل جداً، ومن مشاهدة الأزهار علمت أيضاً أنها خلفاً أثراً في حلقائهم الجدد، حيث تناثرت أزهارهم في الأرجاء، ولسبب ما شعرت بالرضا من هذا المشهد، لربما لأنها ليست وحدها من يفتقد والديها، أو لعل السبب هو شهادة المخلوقات بعظيم فقدانها، لا تعلم لماذا إلا أن شيئاً من سخطها سكن.

من بين الضباب الذي يكاد ينقشع أقبل ظل يقترب من حيث هي، وإذا بها تصبح أربعة ظلال، عدا أن ليين لم تحرك ساكناً، لم يهم إن كان عدواً قادمًا من أجلها، فروحها أعيأها التعب، انبثقت الظلال من بين الضباب لتجدهم أريو، سيون، سكارم، وغارينا، الذين ما أن رأوها حتى تنفسوا الصعداء، بدا عليهم القلق، لا بد أنهم كانوا يبحثون عنها، أسرع أريو للذهاب إليها إلا أن سيون أوقفه، ليتراجع الجميع للخلف فيما ذهب سيون إليها متخذاً مقعده بالقرب من ليين اللامبالية بمن حولها.

سيون: «ظنتك ستكونين هنا، هل أنت بخير؟»

لم تجب وظلت تحدق للعدم، ليردف:

«أتعلمين؟ هذه ثاني مرة تفتش الأرض أزهاراً إكراماً وإجلالاً لـ  
شاوران».

كمن لكز شوقها لو الدنيا، التفتت لبيّن صوب سيون في رغبة منها  
لسماع قصص والدها التي لا تعلمها، وبعينين تلالاً تا بكثير من الفضول،  
وقليل من الحياة نظرت إليه، ليردف:

«كان هذا قبل ألفيات لا أكاد أحصيها، في مشهد عظيم مثل هذا،  
أنت البين من كل حذب وصوب، ليشاهدوا تكريم والدك، آنذاك ظننا أن  
هل أغصان أورافى أفندتنا هو الإجلال الأعظم، وقد تم اختيار والدك  
فنا الشرف، وفي ذلك اليوم الذي تم تحديده، أزهرنا الأرض على مد  
البصر، احتفالاً بالبين العظيم شاوران، وقبل أن ندرك أي شيء احترقنا.  
لقد علمت من والدك لاحقاً أنه كان يهرب ذلك اليوم، لم يرغب بأورافا  
داخلة، لظالما كان ذكياً، مدركاً للوقائع كما الحقائق، لم يخط خطوة خاطئة.  
وجلتار، أذكر لقائي بها جيداً، لقد كانت تبحث عن شاوران البين في كل  
أرجاء بابل، بل لكانت جابت الأرض كلها من أجله. إن كنت نادمة على  
رحيلك من هنا بالرغم من اعتراض والديك فلا تفعل، لأنك ما كنت  
لترجلي لو لم يرغب بهذا، أفهم ما تمرين به، أنا حقاً أصي الملك، ولك الحق  
في هذا، إلا أن التدم ولوم ذاتك سيهتكأن بك».

ليبين: «كيف لك أن تعلم؟ هل فقدت والديك؟ هل رحلت بعيداً تاركاً إياهما؟ أم هل وقفت شاهداً على موت من أحبيت دون القدرة على المساعدة؟»

«لقد فعلت، كل هذا وأكثر، أنا حقاً أنفهم الملك، سخطك، غيظك، كما كرهك، إلا أنه أيتها العزيزة ليبين ما كان والداك ليرغباً بأمك أو حسرتك، لقد أحباك حتى آخر رمق فيهما، شاوران قاوم الفساد لآخر لحظاته فقط ليراك، ليقدم لك آخر كلماته، أنعتقدين أن الندم هو ما يرغبانه لك؟»

انتحبت ليبين باكية، ومن بين أنفاسها المحترقة قالت:

«لا أذكرها، آخر لحظاته، آخر كلماته، إنها بعيدة عن ذاكرتي فلا أراها ولا أسمعها».

مد سيون من يديه جنوراً متفرعة قائلاً: «إنها معي، أترغين رؤيتها؟» من دون تردد، وكمن يقبض على الحياة في آخر رمق له أمسكت ليبين بجنود سيون لتصل بها مانحاً إياها ذكرى آخر لحظات شاوران ابتسامته المشققة، عينه المحبة، همساته: «أحبك بهجة وجودي»

لدى مشاهدة هذا تحولت دموع ليبين لآهات ملأت الأرجاء، لتجد ذاتها بين أحضان غارينا لتطلق ليبين العنان لمشاعره، دون لجام أو

تكلف، لقد فقدت وجودين لا يعوضان أبداً، لقد كانا بهجة وجودها أيضاً. نهض سيون تاركاً المجال لأريو وسكارم ليكونا مع ليبن، في حين وقف هو على مقربة منهم، بعد كثير من البكاء رفعت رأسها أخيراً فيما ما تزال بين أحضان غارينا القائلة: «أنا آسفة، أنا حقاً آسفة، لم أتمكن من حماية أثران، أو والدك، أنا...».

هذا أن ليبن أصمتها بقولها: «أستطيع أن أرى مدى الضرر الذي أصبت به، لقد تأذيت في محاولة حماية أثران، وفقدت ريشك الجميل مصدر فخرك. ولست وحدي من فقد والدي أعلم إلى أي مدى عنيا لك أنت وسكارم أنتم أيضاً فقدتما والديكما، فلا تلومي ذاتك، لا أحد هنا ملوم على ما حدث».

نظرت ليبن لمن حولها من أصدقائها، وعشيرها الذي اعتلته مظاهر الأسى عليها، لقد شعرت بما شعرت به، فأشفقت عليه قائلة: «أعلم مدى يأساً جميعاً، وهذا المجهول الذي نواجهه في الحرب، إلا أنني أرغب بإنهاء ما بدأه والنداء، لقد خاضا كل شيء من أجل حريتي فأرغب أن أحقق حلمها الآن، لذلك سأدفن كل شيء عميق في روحي الآن، وعندما تنتهي من أورا ومن معها حينها فقط سأذرف الدموع مجدداً، لذلك لنكمل طريقنا معاً كما بدأناه».

حينها ردد سكارم: «لنحيّ معاً، ولنمُث معاً».

فأوما الجميع بالموافقة، ناهضين ليعودوا حيث منزلهم، وفي طريقهم وقبل أن يصلوا إلى أثران استوقفهم مخلوق لم يعلموا كيف يحكمون عليه، بمن في ذلك لبيبن التي امتلأت روحها شكاً، وعقلها تساؤلات فلم تعد تجد مكاناً للثقة في وجدانها، أمامهم وقفت سينا.

## العهد

لم يعد للثقة مكان في قلب لبيبن، ليس لها، سينا قادرة على رؤية هذا، ولا بأس به، فهذا ما كانت تبغي بأي حال، لديها عهد عليها الإيفاء به، ولن يوقفها شيء عنه، ولا حتى فتاتها. أثناء فقدان لبيبن لوعيتها، لم تتمكن سينا من الاقتراب منها، لقد تمت إحاطتها بأصدقائها، كتحذير جلي بعدم الاقتراب، كما عدم نقتهم بها، أمر لا يمكنها لومهم عليه، وفما لم تغرب منها، وحتى في حلبة التدريب بدا جلياً على المخلوقات تخوفهم منها، وذلك من أجل الأمر الذي أقدمت عليه أثناء القتال، عندما أرسلت مئة من جنودها للحاق خلف ابن الدين جرهم سيل الله. وحين فعلوا لقي مجموعة منهم حتفهم، حيث إن ابن الماء التابعين لم يروا كانوا في انتظارهم عند نهر قريب، وكانوا يقتلوا الحلفاء جميعاً لولا أنهم انتشروا مبتعدين بسرعة، على ما يبدو أنه تم تنبئهم باقتراب سيون ومن معه، مما جعلهم يفرون من أرض المعركة، ففي نهاية الأمر مهتهم تقتضي الإخلال بصفوف الحلفاء بأكبر قدر ممكن وحدث هذا حين قتل شاوران. عدا أن المخلوقات جميعهم يتساءلون عن السبب خلف قرلها الحاطن، كان من الأفضل عدم تفريق الجيش، وصب كل جهودهم في أرض المعركة عوضاً عن السعي خلف ابن تم إبعاد خطرهم

عن أثران، هذه التساؤلات لم تتم الإجابة عليها من قبل سينا، مما زاد موقفها سوءاً، ومع هذا ما تزال على صمتها، وحتى الآن لم يتم إبعادها عن أثران، بالرغم من أن المعركة لم يمض عليها أكثر من يومين إلا أنها ما تزال تحوم في مدينتهم التي قد تكون هي من ساهم في تدميرها. هي تعلم جيداً السبب في عدم طردها حتى الآن، بل بالأحرى عدم قتلها، هم يشككون في دوافعها، وإن ثبتت شكوكهم فالموت هو أرحم عقاب قد يُقدم لها، هي تملك الكثير من المعلومات عن أثران كما المخلوقات، وإن كانت تعمل مع أورا فهذا يعني أنه لا توجد أرض ستحميهم منها إن شاركت سينا معلوماتها معها، وما كانوا ليسجنوها أيضاً خوفاً من فرارها بعيداً حيث لا يصلون لها، لذلك الآن والحل الأمثل هو إبقاؤها تحت أعينهم وخاصة أن سيون ومن معه يحتاجون لما لديها من معرفة، والتي لن تسلمها لهم مهما حدث، فلكل شيء أوانه.

سينا: «أراك قد استيقظت، هل أنت بخير؟»

ليين: «أين كنت، بينا الأعداء يقتلون والدي؟ لماذا لم تكوني معها؟ لماذا تركتها يقتلان؟»

سينا: «لقد فعلت ما علي فعله من أجل أثران، وهذه حرب، لا ينجو الجميع منها».

رأت سينا فيما استشاط الغضب من عيني ليين، بل إن جسدها كله يرتعد غيظاً، وما كانت لتفعل شيئاً لتريحها.

ليين: «هل قمت باستغلالنا؟ نحن من أحبينك لتمسي عائلة لنا، هل كانا مجرد أداة لك؟ لتحقيق عهدك مع ثادياس، أيّاً يكن هذا العهد. وهذا الطيف بداخلي، لطالما علمت به، أليس كذلك؟ علمت أي أحل مفتاحاً لتدمير أورا إلا أنك صمت عن الأمر، علمت أن تدميرها يتطلب الأطياف الثلاثة إلا أنك لم تتحدثي بهذا وتركتنا نسير في الظلام جاهلين عن الحقيقة، لقد وثق والدائي بك، كما فعلت أنا، لقد وضعنا أرواحنا بين يديك، لقد كنت فرداً منا، لم نشكك في أي شيء أخبرتنا به، حتى عندما تحدثت عن ضرورة إنشاء جيش لقتال أورا، عن إعلان الحرب ضدها، وثقنا بك، هل كان كل هذا مجرد خدعة؟ كذبة؟ هل أردت أن تجمعني كل المخلوقات هنا حتى نصبح فريسة سهلة لأورا؟ أجيبيني سينا من أنت؟ ما هدفك؟ ماذا تريد؟»

سينا: «هل تهم إجاباتي؟ سبق وأن أطلقتِ حكمك علي، أليس كذلك؟ أرى أنك فقدت كل ثقّتك بي، ولستِ المألومة هنا، كنت لأفعل الأمر ذاته، لذلك سأكتفي بصمتي، ولك أنت ومن معك الحق بالحكم علي كيفما شئتم».

رأت سينا أن ليبين تتحرك باتجاهها حتى تهاجمها إلا أن سيون استوقفها مباشرة، مانعاً إياها من التصرف وفقاً لمشاعرها.

سيون: «هذا يكفي».

«لماذا؟ لماذا توقفتني؟ إنها لا تستحق أن نحيا، بسببها فقدت والدي، لكان من الأفضل لو أنك قُتِلتَ عوضاً عنها، فلا أحد سيكسر قلبك». الآن تساقطت الدموع أنهاراً من عيني ليبين ليعتبر منها أربو ممكناً كتفيتها لتهدأ قائلاً:

«لطالما كنت ماهرة في الكذب والاستغلال سينا، لعلك حتى خدعت فارديون ليعتقد أنك أحبيته».

مع هذا فقدت سينا كل منطق في عقلها، مشعلة نار الحقد في روحها، منطلقة صوب أربو لقتله، إلا أن سيون حال بينها، مكللاً سينا بحبال من النيلوفر التي التفت حول جسدها باتاً فيها غلدرأ قوياً لتفقد وعيها بسرعة حيث هي.

فتحت سينا عينيها لتجد السماء فوقها، وعندما نظرت حولها، وجدت ذاتها داخل قفص خشبي القضبان كل واحد منها لزهر يزهره سامة من نوع مختلف، أفيون، البنج الأسود اغلدرتج، كما للمعد الأسود كما أنها ملئت بأشواك حادة وطويلة لتعيد حركتها، فأني حركة خاطئة

تعني التسمم بالأزهار، أحالت نظرها في الأرجاء فتبين لها أنها توجد في  
 حفرة أرضية ذات بركة مائية مثل تلك التي استخدمتها لبيّن للتدريب  
 على قدراتها في ما مضى، عندما تحركت سينا وجدت الأرض من تحتها  
 تأرجح، لتتظر أسفل منها فتري أن قفصها معلق فوق الماء بحبال  
 ورقية مزهرة بالسم أيضاً، ومن تحتها بركة الماء ملئت بأزهار النيلوفر،  
 وانزياحة الحاصنة بـ رايولا، إذاً هي محاصرة من كل الاتجاهات، حينها  
 وصلت لمسامعها أصوات من فوهة الكهف القابعة فوقها، وعندما  
 خرجت وجدت أريز وبوكيم يقفان على حراستها من الأهل، لتزفر أنفاس  
 لصحر عندما رأتهما وعادت لاستلقائها ناظرة للسماء الواسعة، متجاهلة  
 حراسها الذين بدورهم لمجاهلوها أيضاً. أقبل الليل عليها وتم تبديل  
 الحراسة هذه المرة تم وضع ديفينا وإيهاي، أما سينا فظلت غير متغيرة على  
 وصفتها فاتها ناظرة للسماء ونجومها المتناثرة، لديها كل الوقت لتحرر  
 نفسها، كما أنها علمت ما خطرهما التالية، موقنة أنها ما أن تنخلها فلا عودة  
 نساء ولا تراجع، لذلك تباطأت أرادت المزيد من السلام، لوقت أطول  
 بعد عدائين السلام ليس شيئاً يُسبّح لها به، فهي شرودها سمعت صوت  
 جملين يرتطبان بالأرض فوقها، فتح سينا عينها بتثاقل وحسرة على  
 تنهت سلامها مبكراً، رأت مخلوقاً لم تره منذ وقت طويل جداً، مستخدماً  
 حبلاً ورقية يسط المخلوق متعلقاً في الهواء ليقابل سينا وجهاً لوجه.

«مضى وقت طويل».

سينا: «أجل».

«لم أحسب أن أراك ثانية».

سينا: «حسبتك تخلت عن عهدنا».

«لقد فعلت».

سينا: «ما الذي أتى بك إذًا؟»

«الندم».

سينا: «لا يوجد ما تتدمين عليه، لقد كان قراراً اتخذته نادباس بنفسه».

«هل تألم؟»

سينا: «أجل».

«لماذا لم تمنعي موته؟»

سينا: «لا يمكنك منع الموت ممن اختاره».

«لطالما كنت عديمة القواد».

سينا: «ألسنا جميعاً هكذا؟»

«بلى لقد كنا في زمن ما، إلا أنني تغيرت، أما أنت فما زلت تفعلين أي

شيء من أجل نادباس».

سينا: «ومع هذا أنت هنا من أجل ندمك في التخلي عنه».

«ما خطوتك التالية؟»

سينا: «فكّي أسري».

«ثم ماذا بعد ذلك؟ لا أحد في أثران يرغب وجودك، الجميع يشتبهون بك، يعتبرونك خائنة».

سينا: «أعلم، وهذا لن يغير من خطتي شيئاً».

«ما خطتك؟»

سينا: «لست جزءاً منها».

«لماذا؟ أنت تعلمين أني لا أستطيع العودة إلى أثران إن حررتك، أليس كذلك؟ سيعلمون أني من قام بتحريرك ويقتلونني».

سينا: «أنا لا أثق بك، سبق وأن تخليت عنا، فلربما سيتكرر الأمر مجدداً، كما أني أفضل العمل منفردة».

«لا يمكنك فعل هذا بمفردك، كما أن عهد نادهاس لنا نحن الاثنين، أقسم أني لن أتخلّ عن هذا العهد مجدداً، حتى آخر لحظة لي، سأعمل معك، تقى به من أجل الأهم التي خلت».

صمت سينا لبعض الوقت لتفكر، وفي قرارة ذاتها تعلم أنها فعلاً غير قادرة على إنهاء الأمر بمفردها، وحتى لو تمت خيانتها فلا يهم لأن كل

شيء سوف ينتهي بالطريقة التي خططت لها، وسعت هي إليها، لذلك عليها الاعتماد على هذا المخلوق أمامها.

سينا: «حسناً، حرريني وسأبلغك مهمتك، لكن أولاً، ما اسمك الآن؟»

«لم أظنك ستسألين، اسمي هو سيكاي».

حررت سيكاي سينا عبر تحطيم الجزء الأسفل من القفص، وحملها على حبالها، وتحت ضوء القمر أخبرتها سينا بما يتوجب عليها القيام به، لتتجه سيكاي حيث مهمتها، فيما سارت الأخرى تحت أجنحة الليل متجهة نحو أثران، وقيل أن تصل إليها ملأت جسدها بخصائص أزهار الديفيلايا، كما استخدمت قدرة أزهار مائة لتصنع ضباباً يخفي جسدها، بهدوء ومن دون إصدار أي صوت تسللت، حتى وصلت للمكان المنشود، وترقبت بهدوء مستظرة اللحظة المناسبة، وعندما آنت لحظتها وحين غط أصحاب الدار في النوم، أطلقت حبالاً لها عبر النافذة، أول ما قامت به هو تخدير إحدى عقباتها باستخدام الزئبق العنكبوتي الأحمر، وهدوء تسللت للحجرة حيث فريستها لتفرز إحدى شوكاتها المسمومة فيها، بينما وضعت يدها على ثغر فريستها التي ما أن لمس السم جسدها حتى فتحت عينيها مذعورة، إلا أنها شلت عن الحركة أو الصراخ، لتت سجيناً جسدها، علماً أن الذعر كان يصرخ من عينيها كما أنفاسها الساخنة

على كف سينا القابضة عليها، لتقول: «أعتذر، لكن علينا الرحيل من هنا».

حلت سينا فريستها بأحزمة من أزهارها، وانطلقت بسرعة نحو البحر الشرقي، مستخدمة خصائص الماء لديها صنعت قارباً انطلقت به بعيداً، ما لم يعلمه أحد، هو أن سينا قادرة على استخدام خصائص الأزهار الشمع لعدة تجاوز الأيام، لقد مرنت نفسها كما جسدها لأفبات على هذا. حركت الماء من حولها نحو الأفق، وعندما باتت بعيدة عن اليابسة المجهت نحو ضحيتها الملقاة على أرض القارب، والدموع تنهمر من عينها، انكبت سينا على ضحيتها قائلة:

«الدموع لن تفيدك أو تنفلك الآن، فلا مكان للرحمة أو الضعفاء حيث نتجه ليين، هنالك يبدأ كل شيء وينتهي، حيث تفرق طرقنا كما نُعقِدُ أقدارنا».

## أطيار

«أنا وانت كيان واحد، الآن وللأبد».

«الجميع مرتعبون من فكرة الموت، الجميع متعطشون للحياة».

«أنه الأمر، افعلها».

«انت أثمن من أي عهد قطعت».

الجزء الثالث

# ورقة الغبراء حلفاء



منى محمد جان